تاريخ

(الرخيص الغالي)

قاسم هلالى

المهندس

(ضابط اركان حرب)

(صاحب جدول التربيع والقسمة والضرب)

حقوق الطبع محفوظة لمؤلفه

جميع الكتب يدرك من قرأها ... فتور أو ملال أو سآمة

سوى هذا الكتاب فإن فيه ... بدائع لا تمل إلى القيامة

مطبعة الابتهاج بشارع محمد على بدرب القصاص رقم ٢ بمصر

obeikandl.com

﴿ فذلكة قبل الدخول في المعركة ﴾

السرقة الادبية والموانع الحربية

غير خاف ان من يتجاسر على أن يسرق شيئاً من الاديبات العلمية والمبتكرات الفنية. لا يكبر عليه أن يسرق من البدر ضياءه ومن اياس ذكاءه ومن البحر ماءه ومن الجو هواءه ومن الطبيب أسلاحه ومن الصيدلى أرواحه ومن التاجر ارباحه ومن النجار الواحه ومن الحداد مسماره ومفتاحه ومن الشمس نورها ومن الكتب سطورها ومن المهندس نظرياته ومن الفلكى حساباته ومن الرياضى معادلاته ومن الاسد قوته ومن ضابط اركان حرب عزمه وهمته هذا اذا مكنته الفرص وغادرته الغصص ولكن من أين له ذلك ودونه عقبات المهالك وكيف تساعده الفرصة ولا تغادره وأنى تبتعد عنه الغصة ولا تساوره وأسلحة اركان حرب عليه مشهورة وجنوده الابطال مظفرة منصورة بعدد وعدد مبثوثة هنا وهناك منشورة حيث السيوف المتعددة والدروع المزردة والشيش الاحمر والترس الابهر والسهام التى تُرشق فتشُق والرماح ذات الاسنة الزّرق هناك بنادق تجعل فسيحات الفضا مازق تحدث العوائق وتجلب البوائق وهناك مدافع عذابها واقع ما له من دافع هناك طلقات دمدم تفنى كل عرمرم فى قلاع محكمة ومتاريس ملتحمة يشيب من منظرها الوليد وتربك الرجل الجليد وتجعله لا يبدى ولا يعيد وخنادق هي محط الصواعق فضلاً عما يتلقاه السارق من ضربات اقلام انكى من وخزات السهام في ميدان كر وفر ونصر وقهر وجدال ونزال وظفر وانخذال يعزّ ركل ذلك آيات بينات

والوية وشارات ترفرف على الزوايا لتضرج السارق من الخبايا واذ ذاك يصح لاركان حرب ان يقول : (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا)

فليكن كل لص آخذاً حيذره وليول هذا الامر ظهره لئلا يحمل وزره اتقاء لصرامة العقاب وحرصاً على مقام الكتاب وحفظاً لنواميس الآداب واراحة لذوي الألباب وما اكبر جريمة السطو على مصنفات الناس ورسائلهم وآدابهم التي اودعوها مؤلفاتهم وكدوا لاجلها اذهانهم وقرائحهم ثم يدعيها لانفسهم من لم يمضوا في اخراجها ساعة من دهرهم

هذه السرقة الادبية عهدها قديم قد يتصل بعهد السرقة المادية وان الاولى لهي اشد واضر وانكى وأمر لان كلا منهما وان نال صاحبه الذم والحق وجوده بالعدم الا ان ما يستفيده السارق المادي من الماديات يخفف عنه وخز سهام الالسن السالقات ويلطف وقع صارم العقوبات كانه أجير يأخذ أجرته تتسهل عليه مشقة العمل ومضرته

أما السرقة الادبية فتخالف المادية من جهة ان صاحبها يقدم عليها طمعاً في الشهرة وجرياً وراء الصيت والسمعة ليكون في وسطه رفيع الشان يشار اليه في عالم الآداب والعلوم بالبنان فاذا ضبط متلبساً بجريمته فقد لحقه من الهون والازدراء نقيض رغبته فهو قد رغب الاشتهار فلقي الاحتقار وقصد الاعظام والاجلال فانفى بدلها الاصغار والاذلال واشرأبت الى الرفعة بدون حق همته ولكن يأبى قدره الوضيع الا أن تحط رتبته وترخص بين قومه قيمته

نعم قد يفوز سارق الادبيات ببعض الخيرات كما يشاهد في كثير من ادعياء الادب الذين لم يتصلوا اليه بأدنى سبب ولم يقربوا منه باضعف نسب فيتحاون لانفسهم بعض القصائد لتنهال عليهم الصلات

والفوائد ممن يتزلفون اليهم ويثنون عليهم من امير او وزير او عين او مدير او غنى غبي جاهل شهير فاذا نشر بين الناس بواسطة الجرائد والمجلات او غيرهما قصيدة ذلك الدعيّ في الهناء او الرثاء مدحوه وفي اعينهم اكبروه ونظروا اليه بغير العين الاولى وتهامسوا بان له في الشعر القدح المعلّى واليد الطولى ولكن ذلك لا يدوم فان للحق أنصاراً وأعواناً يبينونه للناس تبياناً ويظهرونه لهم عياناً بياناً فلا يلبثون ان يضبطوا السارق ويصبوا عليه جام الغضب الماحق ويظهروا سوء ادبه وخبث أربه فيتوارى من القوم خجيلا بعد أن كان تتزنح اعطافه نشوان ثملا . وتصوّر هذا السارق بعد ان انضبط كيف يكون حاله في ذلك الوسط ؟ لا ريب في ان حاله وحال امثاله هون في هون جزاء بما كانوا يكسبون

ومن العجيب انه مع سوء نتيجة هؤلاء السارقين وعظم مايلحقهم من الخزي المهين حين يظهر امرهم للمواطنين فقد استمرأ الكثير من الادعياء مرعاها ولم يخافوا عقباها فلطالما شكت زمرة الادباء من عصبة الادعياء في إغارتهم على ما ليس لهم ونسبته لانفسهم وتذييله باسمائهم حباً في الشهرة وتطلعاً الى بدره وبئست شهرة لا تنال الا بهذه المثالب ولا حبذا صيت وفخر يقترنان بأمثال تلك المعايب على ان امثال هؤلاء المتطفّلين على موائد الآداب والعلوم الذين امرهم بين العام والخاص مشهور معلوم لو انهم اتوا البيوت من ابوابها وقرنوا الاسباب بمسبباتها وكدّوا الافكار وواصلوا في التحصيل الليل بالنهار لادركوا بغيتهم ونالوا امنيتهم وحسنت سمعتهم وارتفعت بين الناس رتبتهم وتناؤا عن مزالّ الاقدام التي تلحق بصاحبها اسوأ المذام

لكنهم ظنوا الامر سهلا ومشوا اليه مهلا بل تناوموا دونه كسلا فكسدت منهم الأفكار واقدموا على الادعاء الباطل الذى يعقب العار والشنار وينتج الخسار والبوار

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ان تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

طمعوا فى مساواة أولى الانظار وتطلعوا الى اللحاق بذوى النهى والأبصار الذين صرفوا نفيس العمر فى تخليد الذكر وتشييد الفخر ولم تكتحل اعينهم بأعمد الكسل ولم يناموا دون تحقيق الامل

أفلا يكون الاجدر باصحاب الدعاوي الباطلة ان لا يتعدوا حدود مقاماتهم السافلة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

هذا وقد كان فشوّ هذه السرقات الادبية داعياً لتثبيط همم الادباء وخمود قرائح الشعراء وتعطيل افكارهم وجمود اذهانهم وقعودهم عن بث الدّرر وإثارة الفكر خوفاً من سطو المغيرين وهجوم الدخلاء المعتدين وادّعائهم بما ليس لهم ونسبته زوراً لانفسهم. هذا هو السبب فى كساد الادب وعدم قيام اكثر الادباء بما يجب عليهم نحو امتهم حتى قال قائلهم :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريماً يرتجى منه النوال ولا مليحاً يعشق
ومن العجائب أن تراه كاسداً ويخان فيه مع الكساد ويسرق

نحن لا نعيب على الناس الاستفادة من غيرهم والاخذ من تاليف من سبقهم فان العلوم متبادلة غير أنه يجب أن يراعى فيها المعادلة أعنى ان من يغير على كلام غيره ينبغى ان يضم اليه كثيراً من بنات فكره

حتى يغلب الكثير القليل ويكاد لا يعرف الدخيل من الاصيل وعلى هذا المبدأ سار كثيرون من الادباء الذين يسرقون وعلى كلام غيرهم يغيرون وناهيك بالروائي الشهير اسكندر دوماس الذي كان جل ما له مسروقة حتى انه ألّف في سنة واحدة اربعون مجلداً ضخما ولكنه كان كما قال هو عن نفسه انه يضيف على ما يسرقه كثيراً من الافكار والاقوال يجعل الكل منسوباً اليه ومما يؤثر عنه قوله ان الحاذق الكبير لا ينبغي أن يعد سارقاً بل يجب أن يجعل فاتحاً كضباط اركان حرب الجيش

ويلتحق باسكندر دوماس في هذا المقام عديدون من ادباء السراق وشعرائهم في كثير من الامم المختلفة مثل وولتر سكوت وشكسبير الذي سرق رواية نسبها لنفسه عنوانها (الكيل بالكيل) بعد ان كانت معنونة « بروموس » وسرق رواية روميو وجوليت ورواية اوتلو . . . ولكنه كان من المهارة والاحتراس بقدير بحيث انه يضيف على المسروق اكثر مما نال منه

ولذلك يجب ان يكون الادباء والشعراء والنبهاء والنبلاء والعقلاء والازكياء والخطباء والبلغاء كذلك — ان لم يكن لهم عن السرقة الادبية مفر ومناص حذراً ان يوقعوا انفسهم في مضايق يتعذر عليهم منها الخلاص ويناقشوا سوء الحساب ويستوفى منهم القصاص

قاسم فضلي المهندس

ضابط اركان حرب

صاحب جدول التربيع والقسمة والضرب

« مصلحة الفرد تقتضي شيئاً من الحرص وتقديراً للاعتبارات الذاتيـة : ومصلحة المجموع تستلزم السير فى طريق انكار الذات وتقديس الحق العام » لذلك أقول حقق الله المأمول

﴿ كشف المسمى لمعرفة الفرق بين الاسم والمسمي ﴾

(اعنى)

﴿ قاسم عاصم وقاسم آثم ﴾

كان من ضمن اخواني في الله وفى الوطنية والتربية الفكرية سمي صاحب الذهن الوقاد والرأى المتين المرحوم قاسم بك امين ويعلم المصريون أمياله رحمه الله نحو اصلاح حال المرأة الشرقية وعمثل أمياله هذه وعواطفه كتاباه الشهيران : (تحرير المرأة) (والمرأة الحديثة)

ولقد تذاكرت معه مرة فى شأن ذلك العدد الـكثير ممن يسمون بقاسم ويشتركون معنا في ذلك الاسم فى مصر مثل قاسم باشا السلحدار وقاسم باشا المهردار وقاسم باشا الشماشرجي وقاسم باشا التتونجي وقاسم باشا وقاسم باشـا وقاسم بك وقاسم اغا أولئك الذين جمعوا ثروات هائلة وأموالا طائلة ولم يكن لهم أثر علمي أو أدبى من الآثار التى تخـلد لاصحابها المجد والفخار وتجعل أسماءهم مقرونة بالاجلال والاكبار

فماكان منه الا أن نطق بملء فيه وباح بما يكنّـه ضميره ويطويه وتبين لى من ظاهره خافيه وقلت لا عجب فكل اناء ينضح بما فيه قال لى رحمه الله ما عرفت به سموّ همته وشريف عاطفته ومحبته الحقيقية لاصلاح المرأة المصريه : هوّن عليك يا اخى ولا يضيق صدرك حرجاً مما ترى فكل ما يجمع هؤلاء الى الثرى وخير أعمال الانسان عمل ينفع

أمته ويفيد عشيرته فهيا بنا نقتسم العمل متكلين على الله عز وجل فى تحقيق العمل وكأن كل انسان له من اسمه نصيب يدعوه الى تحقيق معناه فيجيب

وتقاسم الاخوان فرضاً بينهم قسما فكان أجلهم قسما أنا

نعم أجبنا داعي الاسمين واقتسمنا العمل قسمين واختص رحمة الله عليه ولا زالت شآبيب الغفران تنساق اليه بما يعلمه جمهور المصريين من بذله الهمة وتحمله العناء فى سبيل ترقية النساء وعمدت انا فى كتابى (عجائب وغرائب المرأة والمهندس) الى ذكر أحوال كثير منهن والاتيان على مختلف عاداتهن وأميالهن تاركا للقارىء اختيار أصلح الاشكال واحسن ما ينبغى أن تكون عليه المرأة من الاحوال التى تقربها من سبيل الكمال . وأرى ان هذه الطريقة أقرب الى القبول وأدنى الى تحقيق المأمول من أن اعطي رأياً جازماً وفكراً نهائياً حاسما بحيث لا احيد عنه ولا اتحول ولا يصح ان يكون على سواه المعول . بل انا بتصدادي اشكال التربية من دنيئة وراقية مثلى كمثل البائع يعرض السلع المختلفة صوراً واشكالا المتباينة حسناً وجمالا ونقصاً وكمالا وللمشترى الحرية والاختيار من غير اكراه ولا اجبار فى أخذ ما يميل اليه ويحسن لديه ولهذا ترانى خصصت قسما كبيراً من ذلك الكتاب وقدمته بين يدي أولى الالباب يتعلق بذوات القناع والحجاب وذكر ما ينبغى ان يكنّ عليه من الفضائل والاداب وغير ذلك مما يدخل فى هذا الباب ولا يصعب بعد ذلك على القارئين استخلاص الزبدة واللباب وتمييز الشكل المناسب المستطاب

(الرجوع الى الموضوع في قاسم عاصم وقاسم آثم)

لما كان لتاريخ بلاد مصر بلاد العجائب والغرائب في أيام الغز ودولة المماليك لاحتوائه على نوادر متعددة وحكايات وحوادث مختلفة من جدّ وهزل وتولية وعزل وسير وغير وتغيير دول وانتحال ملل وفتح طريق واتساع وضيق وأفعال منكرة وأعمال سخرة ويقظة ومنام وبر وآثام وقال وقيل واهرام ونيل وذكر فضائل وتدوين رذائل . . قد بحثت ونقبت عن كل شخص يدعى باسم (قاسم) كان في ذلك العهد أو ما قرب منه لاوضح للقارىء المعميّ واكشف له عن الفرق بين الاسم والمسمى وليقف على السبب الذي من أجله اتفقت انا وزميلي المرحوم قاسم بك امين على سلوك الجادة القويمة واتحدنا وكتبنا ودوّنا وحررنا وطبعنا وعملنا على إبعاد كل شين وعيب عن اسمينا وحفظهما من كل شائبة تلوث بها كثير ممن يشتركون في الاسم معنا وليت كل فريق من الامة يعمل مثل ذلك فتكثر أعمال الخير والجد والنشاط هنالك اذ ذاك يتميز الطيب من الخبيث ويتبين النافع من الرثيث ولا يختلط الحابل بالنابل ولا الحالي بالعاطل بمجرد الاشتراك في اسم واحد ولقد عثرت بجملة ممن يسمون باسم (قاسم) ولكل منهم نوادر تعد من العجائب والغرائب وبمثل هؤلاء الذين عنى بهم البلاد تنهال على العباد المصائب وتحط بناديهم الجهالات والمتاعب ولقد بلغت نوادرهم وجهالاتهم من الكثرة بحيث يمل منها القارىء اذا استوعبها فلذا اقتصر مع كل واحد منهم على نادرة واحدة يعرف منها حقيقة امرهم وكنه شأنهم وغباواتهم

الاول ـ قاسم باشا الباشبوزق : أراد أن يأمر الباشكاتب بتحرير جواب مضمونه كمضمون جواب سبق انه حرر الى ضبطية مصر فكان أمره الذى كتبه الى الباشكاتب هكذا :

﴿ يا تحرار كالمحرار اضبط مصر ﴾

يريد بذلك : « يحرر كما تحرر لضبطية مصر »

الثاني ـ قاسم بك الاغا : بعث اليه الوالى بجواب يقول فيه لاثماً مؤنباً اياه على أمر : وهو هروب نفر من امام العدالة : « التفريط وقع منكم » فحين قرأ الاغا هذا الجواب دمدم وهمهم وهاج وتذمر وضرب برجله الارض غاضباً فسأله من معه ماذا حصل ياجناب الاغا ؟ وما الذي كدرك في الجواب ؟ قال ان كتاب الوالى يفيد :

(النفر نطّ وقع منكم)

الثالث ـ قاسم باشا السنجق : سمعه أحد اخوانه يقرأ فى أول البردة التى مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سـلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

فكان يقرأ هكذا :

(أمان تِدّ كَدّر جُبْران بِدّي سِلّمْ)

الرابع ـ قاسم باشا الاندلي : فتح المصحف الشريف فصادفه أول سورة الاعراف فتلاه هكذا :

(ألمُصْ كتابْ أُنْزِلْ اليك)

بدل : « المص كتاب أنزل اليك »

الخامس ـ قاسم باشا ميرا : سمع الفقيه المرتب فى منزله يقرأ فى

سورة مريم قوله تعالى « واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً . واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً . واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً » و و . . . الخ . فابتدر القارىء بقوله :

(ألم يذكر فى الكتاب ميرا ؟)

وكان هذا الفقيه فطناً نبيهاً يعرف جهله وغباوته فقال نعم قال :

(واذكر فى الكتاب ميرا انه كان أميراً كبيراً وجواداً شهيراً)
(ويطعم المسكين والفقيرا ويوزع البقلاوه والفطيرا ويسقي الشربات)
(بالزيرا ويجلس الضيوف على البساط دون الحصيرا ويضع اللوز)
(والفستق في الخبز بدل الذرة والشعيرا و و . . . الخ)

فما كان منه الا أن رضى عن هذا الفقيه النبيه كثيراً واولاه منه فضلا وفيراً حيث أنعم عليه وقربه اليه (عفارم) . . . .

السادس ـ قاسم باشا الفندغلى : قدم اليه أحد الكتاب عرضاً يطلب اجازة ببضعة أيام فأبى وكتب على العرض لفظ :

(يرفت)

وقصده « يرفض » فنفذ حكم الرفت وكيله ولم يقدر أحد على مراجعته في أمر هذا المسكين ولا حول ولا . . .

السابع ـ قاسم باشا غنجه‌لى : (وقد عاش ١١١ سنة) كان راكباً عربة تجرها فرس تركض بها فى ميدان محمد على بالمنشية باسكندرية وحين قربت الفرس من تمثال محمد على أجفلت فما كان منه الا أن ضرب السائق والسائس قائلا :

(غمّ عين الفرس لان حصان محمد على ـ بيتبرْبِشْ لها)

الثامن ـ قاسم باشا اوده‌مش : كان لديه عدة جوار فحملت منه احداهن سفاحاً ثم وضعت فما كان من زوجته الا انها قتلت الجارية ودفنتها في حوش السراي ثم عمدت الى المولود وذبحته وطبخته وهيأته طعاماً لزوجها بعد أن أشارت عليه بان يدعو أقرانه الى هذه الوليمة الفاخرة فلما حضروا قدمت هذا الطعام فأكل هو وأصحابه وبعد الانتهاء أخبرته بحقيقة ماحصل نكاية فيه فما كان من هذا الوحش الا أن أجابها بقوله:

(ان الدود يأكل كل ميت ولكني قد اكلت قبل موتي آدمياً أكلا هنياً)

فانظر يا رعاك الله الى ذلك الزمان الذي كان مشحوناً بالمصائب والحسرات. حيث كانت القوة بيد الاغوات. والبلاد تحت سلطة هؤلاء البكوات والبشاوات. فليس للحاكم الا راتبه وربما غالطه من يحاسبه. والامة واقعة في بليتين أغوات السلب والنهب . وسناجق الشنق والصلب. لا علم بهذبهم. ولا معارف تؤدبهم. ولا دين يردعهم. ولا مروءة تمنعهم . ولا وحدة اجتماع في البلاد. تدفع عن أهلها الفساد. اذ الكل فوضى. ومن الذل مرضى. وكانت القضايا في ملعب اليانصيب . والامر بيد من يخطىء ولا يصيب. وجردت على العباد سيوف الهلاك والتعذيب. وتعددت دواعي التخريب . والامية اذ ذاك متسلطنة. والجهالة متمكنة . والمعارف قاصرة على بعض الكتاب والحسّاب والصيارفة والمساحين والكشافين والصناجق والقواسة والشماشرجية والتوتونجية والاريقجية والسفرجية والقهوجية الذين حملوا على الطائع والعاصي . والحقوا الداني بالقاصي .

وكان معظم الحكام في تلك الايام من الجهلة الغلاظ والفجرة

الفظاظ. تربوا فى خدمة البـاب. لا فى مدرسة الاداب. فهم محاسيب العادة. كابن الكيخيا وابن الداده. وكلهم يمقت الفلاح. ويرى أن لا اثم عليه فى قتله ولا جناح. فانهم يعتقدون فى الاسترقاق. انهم يملكونه بالاستحقاق. وان ما بيدهم من الاطيان. انما هو فضل منهم واحسان. فكنت لا ترى الا مُخشّب اليدين. أو مقيّد الرجلين. أو طريحاً تحت الكرباج. أو مسجوناً عادم الابتهاج. أو مشنوقاً فى السوق. أو موضوعاً على الخازوق. للمدير التصرف التام والسلطة المطلقة. يمر فى البلاد ومعه الجزار والسياف والخازوق والمشنقة. فلا يمر عليه صباح الا بقبض أرواح. وربما لف الرجل بالقماش والزيت واحرقه بالنار. أو سلخه وهو حي بسكين الجزار. أو يلبس رأسه طاسة محماه. أو يدفنه بالحياه. وحجته عند الوالي. انه متأخر فى المال. أو عاص عن الاشغال. أو هارب من الجهادية او مصاحب للحرامية. وحاكم الخط لا يعرف الارض من السماء. ديدنه الضرب بالملح والماء. ووضع الفلقة فى أعناق الناس. والضرب على الاكف والراس. لا يعرفون من اللغة العربية إلاّ (ارم الارض) فالضرب عندهم فرض. والرحيم من يقول : (اضربه على راسه واكتم أنفاسه) ولا تسمع من كل متعوس. الا هات الفلوس. والقواس الحقير. يضرب العمده الكبير. والبواب الذليل. يصفع التاجر الجليل. تساق الاهالي الى العمليات من سائر البلاد ومعهم العلوفه والفؤوس والمقاطف والازواد فهم في حفر ترع وردف جسور وبناء سرايات وقصور وخدمة أرض الشفالك والطفل فى ورش المهالك وو.. الخ

حتى منّ الله على البلاد بالنظام بهمة ذلك البطل الضرغام (محمد على) الهمام الذى نوى بضمير صادق وعقـل حاذق قتل هؤلاء السناجق

سهر هذا البطل الكرار . وواصل الليل بالنهار . وجدّ بلا فتور وصبر بغير نفور . وأخذ يعدم الأغوات والمماليك . ويلحق الباشبوزق بالصعاليك حتى طلع نجم الاسعاد وتم له ولمصر المرام والمراد . واستمال العلماء والأعيان بتوطيد أركان النظام والعمران وتقدم فيها كل شان . تقدماً محسوساً يشعر به كل انسان ويترطب بذكره كل لسان حتى قال الآن هيان بن بيان :

دي مصر قبله وقت الغز كانت عينين فى غير شايف
لما أتاها جدّ فؤاد صارت بلاد المعارف
وكتير اذا كانوا جهّال ما يحصلوا واحد عارف
وكتير تشوف صاحي ميت وأصل موته من جهله

هذه نبذة يسيرة تتعلق بمن يشترك معنا في اسم « قاسم » وان كنت عرفت ممن سبق ان كلا منهم مجرم آثم لما سمعته في تراجمهم السالفة من ارتكاب المظالم واتصافهم من أنواع الجهل والغفلة بالعظائم فكيف لا يكون ذلك داعياً الى أن نعمل على تشريف هذا الاسم وتكميله بمحاسن العلم حتى لا يشتبه الأمر على القارىء ولا يتخبط فى طريق الاشتباه السارى لكشف المعمي ومعرفة الفرق بين الاسم والمسمي

(برهان غريب في ان كل انسان له من اسمه نصيب)

معلوم لكل انسان ان القاسم المشترك الاعظم هو الذي يقسم الاشياء بدون باق

ومما يلتحق بهذا الموضوع ما اذكره من ان المرحوم محمد ابوبكر راتب باشا رئيس محفل النيل الماسوني دعا عدداً عظيما من الاخوة الماسونيين الى حفلة عظيمة فى ذلك المحفل جمعت أسباب

الهناء والصفاء والالفة والاخاء وأعدّ بها « بوفيه » عظيما فخما والحضور اذ ذاك ما بين أمراء ووزراء وعلماء وخطباء وأدباء وقضاة ومحامين وكتاب فطاحل وشعراء اماثل ومنهم اصحاب جريدة المقطم فاتفق أن قام أحد الحاضرين عبد الكريم بك فهيم المحامى بطنطا واعترض على وجود أصحاب المقطم وكان بينهم وبينه نفور وموجدة لتعريضهم به فى جريدتهم وقال :ان من شروط الحرية الماسونية ودواعي الاتحاد الاخوية أن لا يؤذى أخ أخاه ولا يتعرض له بما تأباه الاخوة ولا ترضاه وحصل لغط كثير كاد يؤدى بهذا الصفاء الى التعكير وانتهز بعض خصوم المقطميين الفرصة محمد بك شريف المحامى وأراد أن يفرغ ما فى كنانته من سهام مسددة بالملام وعجز الحاضرون عن صدّ هذه الزوابع الجائحة وايقاف تيار هذه الاقتراحات الجارحة حتى التمس منى بعض الاخوان محمد بك بيرم وكيل محافظة مصر القيام لتسكين هذا الخصام كي تنتهى الحفلة بسلام وصفاء ووئام فنهضت قائلا : اذا صح أن لكل امرىء من اسمه نصيباً فانى ارجو بقيامى هذا أن يصبح كل من الخصمين لصاحبه حبيباً وحيث ان اسمي « قاسم » فأنا لهذا النزاع حاسم فاصم ولحيثيات الحكم فيه راسم وبحسن النتيجة جازم : (بدليل)

ان أصحاب المقطم هم أيضاً اصحاب المقتطف ولا ينكر أحد ما للمقتطف من الفوائد الجمة والمباحث العلمية العامة وهو المجلة الشرقية الوحيدة الغزيرة المادة الجزيلة الفائدة ولا شك ان هذه الحسنات يذهبن ما ينسب الى المقطم من السيئات ان كان هناك سيئات وبذلك يخلص القوم من اللوم والعتاب ويكون ذلك فصل الخطاب

ويخرج القوم لا لهم ولا عليهم خصوصاً اذا تذكرتم شريكي في الاسم اعني « القاسم المشترك الاعظم » وهو الذي يقسم عددين بدون باق أبعد الله عن جميعنا كل شقاق وخناق

فراق جميع الحاضرين هذا الكلام وحل الصفاء والوئام محل الشقاق والخصام وانتهت الحفلة في تلك الليلة بسلام ومن محاسن الصدف انه كان لا يوجد في هذه الليلة شخص يسمى بهذا الاسم غيري ولذلك قام بيرم بك المذكور وقبلني القبلة الاخوية الماسونية وبعد انتهاء الحفلة فما كان منه رحمه الله الا ان اوصلني الى منزلي بعربته الخصوصية

وعلى ذكر نصيب كل امرىء من اسمه اذكر اني توجهت ومعي حضرتا الفاضلين حنا افندي شاويش ونقولا افندي شحاده وكيلي المقطم والمقتطف الى الوابور الحربي المسمى «محمد علي » الذي جعل اذ ذاك مدرسة حربية لطلاب العلوم البحرية بقصد زيارة سعادة محمد امين باشا توفيق قبودان هذا الوابور فبعد أن أدينا التحية بادرني سعادته بقوله : ان سميك قاسم بك أمين أراد أن يخطب كريمتي لنفسه فما رأيك ؟ فأردت أن أختصر في الموضوع وأتحاشى الاطناب في مدح سمي قاسم بك لئلا يظن الباشا اني أحابيه لانه كان زميلي في المدرسة وأخي في المعارف والمعاشرة فلذا ألهمني الله أن قلت لسعادته : ان اسم سعادتك محمد امين واسم خاطب كريمتك قاسم امين واسم والده احمد امين كل من هذه الاسماء يشتمل على لفظ امين وان فاتحة الكتاب العزيز اولها الحمد لله وآخرها آمين فتوكل على الله وحقق له ما يتمناه واكتب له على كريمتك الكتاب تيمناً بأم الكتاب فاستبشر سعادته بذلك خيراً وافترّ سروراً وبشراً وعدّ ذلك فألاً حسناً

هذا ما حصل امامنا أحسن الله لنا وله العاقبة في ختامه وختامنا

وبالنسبة لكونه فريقاً عسكرياً بحرياً خاطبني بقوله :

أركان الحرب تكرم أين حلت ... وأيام العباد بهم مواسم
تحلو بالكمال فكل شخص ... يقابلهم لامر فهو باسم
فان سألوك عمن فاق علماً ... فقل لا شك بحر العلم قاسم

ولا عجب فان مهندسي ضباط أركان حرب في كل أمة هم اليد اليمنى للملوك والسلاطين والأمراء والوزراء والحكام على ساعدهم يعتمد هؤلاء في كل أمر مهم يتعلق بعلوّ شأن المملكة وصد الاطماع عنها . هم المعراج الذي يرتقي عليه السلاطين لبلوغ العلا والوصول الى قمة الفخر والفلاح . هم الذين تعلموا فنون حساب الخروج قبل الولوج والصدور قبل الورود . هم الذين عرفوا أصول الوقاية والحماية والتحفظ والاستحكامات والحصون والاحتياطيات . هم الذين يضرب بهم المثل في الابصار حتى كانوا أبصر من زرقاء اليمامة وأدق في الحكم من خزامه . هم الذين يعرفون الوفاء لاخوانهم وأمتهم قبل غيرهم لقيامهم بأشق الاعمال المحفوفة بالاهوال . هم منبع الاقدام والشجاعة والحصافة والمناعة . عليهم يعتمد وبهم يوثق ومنهم يستمد . فلهذا كنت جديراً عندي باكرام وفادتك وقبول وساطتك وتحقيق طلبتك لصاحبك . وان من الاسف أن تلغى أخيراً من مصر مدرسة أركان حرب لأن ذلك يعدّ خسارة كبرى على البلاد وأهلها فما من أمة خلت ديارها من مدرسة أركان حرب الا وقعت في أشد الكرب . ثم خاطبته بحكم وظيفته ووظيفتي قائلا :

بأركان الفؤاد أمير بحر ... أقام ومهجتي لهواه تصبو
وجيش عواذلي عمدت لقتلي ... فكيف أنا وفي الاركان حرب

قاسم هلالي المهندس ضابط أركان حرب

(قاسم هلالى)

المهندس

ضابط أركان حرب

(فاكهة الكتاب)

إذا كنت فى مصر ولم تك ساكناً ... على نيلها الجارى فما انت فى مصر
وان كنت فى مصر بشاطئ نيلها ... ومالك من شئ فما انت فى مصر
وان كنت فى مصر ولم تك صاحباً ... لأُلف له لطف فما انت فى مصر
وان كنت فى مصر ولم تك مالكاً ... لكيس حوى الفاً فما انت فى مصر
وان حزت ما قلنا ولم تك هائماً ... بميل لمن تهوى فما انت فى مصر
وان كنت فى مصر عزيزاً مرفعاً ... ولم تر تاريخي فما انت فى مصر
تاريخ سما فوق السماك منازلاً ... تدانت له فلك النجوم مع البدر
وان كنت لا تدريه رخيصاً وغالياً ... وماله من قدر وماله من خطر
عليك بان تسعى الينا وطالباً ... لتحظى بانشراح المسرة والبشر
دامت اياديكم البيضاء ودام لنا ... اهدى الكريم اليكم اطول العمر
فيا مصر تيهى بالعلوم على الورى ... فسعدك وافى بالسرور وبالنصر

قاسم هلالى المهندس
ضابط أركان حرب

تأليف

(الرخيص الغالي)

قاسم هلالى

المهندس

(ضابط اركان حرب)

(صاحب جدول التربيع والقسمة والضرب)

حقوق الطبع محفوظة لمؤلفه

جميع الكتب يدرك من قراها ... فتور أو ملال أو سآمة

سوى هذا الكتاب فان فيه ... بدائع لا تمل إلى القيامة

مطبعة الابتهاج بشارع محمد على بدرب القصاص رقم ٢ بمصر

الفاتحة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(أما بعد) فمعلوم لكل انسان أن التاريخ هو نبراس الايام ومشكات الزمان وأمين الحوادث ورائد الحقائق ونقاد الوقائع وينبوع الحكمة وملاك التربية وقوام مكارم الاخلاق واستاذ الخليقة في الآفاق لولاه ما عرف الانسان ولا وجدت صلة بين البلدان لاتساع الحضارة والعمران ولا بعد صيت لفضيلة ولا نهض ذكر لامة ولا كانت رغبة في عدل ولا عدول عن بغي ورهبة من ظلم ولا اتعاظ بعبرة ولولاه ما كان يعهد موطن للضعف . ودار للخسف ومنزل للعسف فهو الذي عمر البلاد وأنار عقول العباد وأقام المائد وأصلح الفاسد وقوّى الساعد الكل مستفيد منه آخذ عنه محتاج اليه معول فى تمحيص الحقائق عليه لافرق في ذلك بين كبير وصغير وعالم وجاهل وحاكم وأمير ومحكوم حقير

ولذلك كانت عند المصريين القدماء محكمة التاريخ هي المحكمة العليا فى ظهور الفضائل واستئصال شأفة الرذائل ففيها تتلى تراجم حياة الاخيار وأهل الفضل الابرار والقصاص من أهل الفساد الاشرار مع مراعاة الشرف والذمة والصدق في اعطاء الحقوق الى اربابها

ولا عبرة ببعض التواريخ التى كم طوت آثاراً واغفلت أخباراً وأعرضت عن ذكر فتى قاد شعباً وبطل اجتاز صعباً وعالم أنقذ أرواحاً وأديب أحيا أشباحاً وشاعر أثار عقولا ومهندس حول القحول حقولا وطبيب خفف عن النفوس الآلام وصيدلي ساعد على مطاردة الاسقام و و . . . الخ واشتغلت لاغراض فاسدة بذكر رجال هم فى الحقيقة طاعون جارف وداء عضال وجرثومة فساد البلاد وميكروب أمراض العباد

وليس الغرض هنا أن أستدل على قيمة التاريخ وفوائده ولا ان أبسط القول في بيان المقبول منه أو المردود إذ لا يتسع لى المجال فى ايراد ما يمكن أن يذكر منه بالخير أو الشر والنفع أو الضر غير انه لما كان البرهان المحسوس أقوى بيان لهذا العمل الذى يقترن بامال الافعال للسير على طريق الهدى بنصائح السابقين الذين كابدوا وجاهدوا وناضلوا وجادلوا لبث روح الانسانية وطمس آثار الوحشية فقد التزمت على قدر الامكان ومساعدة الزمان أن أكتب وأنشر هذه الرسالة بأمل أن تنال القبول عند أهل العقول الذين في قدرتهم أن يستخرجوا بواسطة المعلوم كل مجهول بفطنتهم الوقادة وافكارهم السديدة الراجحة الصائبة فى مثل هذا العمل الذي يقوى في الانسان الامل ويجعله غير قانع من زمنه بمصة الوشل التى تجلب الخجل لمن لا يقوم بفروضه وواجباته نحو وطنه واخوانه على قدر امكانه أجل . لاننا إذا نظرنا الى عالم الحيوان لوجدناه من أصغر ذرة فيه

الى اكبر جسم حاس متحرك بالارادة لاغنى لو احد فيه عما يقيم الرمق ويستبقي الحياة وتجد أن لكل فرد منه سعياً مخصوصاً فى طريق خاص لتحصيل ذلك المقوم مع وجود جملة طرق للانسان يكتسب بها تكاد تكون اعتيادية أو بمقتضي أصل الخلقة إذ العادة طبيعة خاصة كما هو معلوم

هذا ولا أجد أصلح للناس فى تعديل طرق معاشهم وانتظامها الا أن يجتهد أهل الدين في القيام بواجباتهم فيبينوا للناس الخير من الشر والضار من النافع والحلال من الحرام والخبيث من الطيب ويحثوهم على العمل بالاوامر ويرهبوهم من المنهى عنه بالزواجر فان الناس لا يعملون الا من طريق الترغيب والترهيب ثم يقفوا إلى كون الاداريون أولئك الناصحين فيكافئوا المستقيم والعامل الامين ويعاقبوا المحتال والمداهن والدجال والمائن فلا يخسوا عاملا عملا ولا يتركوا لمسئ جرما ومتى اتبع الاداريون والعلماء الدينيون هذه الطريقة ووضعوها نصب أعينهم صلح الحال وانقطعت حبال أهل الضلال والتدليس والغش والافك والبهتان . وسيجل ذلك على صفحات الايام ليعتبر بها أهل الموعظة من الانام إذ النفوس خلقت خالية من كل رذيلة قابلة لانطباع الفضيلة بالتربية الحسنة ومكارم الاخلاق وان الكمال لها أقرب والفضل بها ألصق كما دل على ذلك البرهان وأحوال الزمان والمكان فى كل عصر وآن حيث أودع الله فى الانسان ميلا الى استطلاع كل ما يقع تحت بصره وانعطافاً إلى

كشف حقيقته وهذا الميل والانعطاف هو رائد التعليم ودليل التربية ومهماز العمل ومناط الاستفادة

فلو أن أهل الذكر والعلم قاموا بما وجب عليهم من الوعظ والتذكير والانذار و التبشير وأثاروا الافكار وأشعروا النفوس بما يجب عليها عمله فى هذه الدار من القيام بالواجب والغرض والنظر فى ملكوت السموات والارض . وبذل الهمة فى نفع الامة ورفع الغمة ولفت الانظار إلى سير الاخيار وما خلقوا من محاسن الاثار ليحتذوا حذوهم ويقتفوا سننهم لاستيقظت النفوس من سباتها ونشطت الهمم من عقالها ولقامت الامة حقيقة بشكر الهها فليس الشكر فى الواقع الا أن يصرف الانسان جميع النعم والمواهب التي أنعم الله عليه بها فى مواضعها التي خلقت لاجلها

ولقد أردت أنا ان ألقي بدلوى في الدلاء وأسلك فى هذا الصنيع طريق السلف القدماء الذين شرحوا لنا أعمالهم واحوالهم واودعوها كتبهم فاستفدنا منها واقتدينا بهم فيها . وغرضي من هذا العمل الذى أرجو أن يعينني الله تعالى على اتمامه أن أشرح حالي لاخواني أبناء وطني واصور لهم ما كنت عليه فى حياتي وما تقلب على من مختلف الادوار وما عرض لي من نفع وضر وما ذقته من حلو ومر مثبتاً في هذا الكتاب بعض مقالات أدبية علمية مفيدة وحوادث عصرية عديدة دعت المناسبات لاثباتها كان قد دبجها هذا اليراع العاجز ونشرت فى كثير من الجرائد والمجلات المصرية داعياً فيها إلى التمسك

بالعواطف الوطنية وتلبية نداء الواجبات الاخوية عاملا فيه على تقويض بنيان اعمال الحيل والشعوذة والخديعة وتأييد الجد والصدق الذي يدعو اليه العقل ولا تأباه الشريعة بحجج قاطعة وبراهين ساطعة وأدلة محسوسة وشواهد ملموسة . لعلى اكون قد قمت ببعض الواجب علىّ نحو أمتى ووطنى راجياً أن لا يحرم مطالعه من عظة فيه تنفعه وعبرة إلى سلوك طريق الخير تدفعه معترفا بقلة المتاع وقصور الباع وقصر الاطلاع ولكنه فيما أري جهد المستطاع ومع ذلك فلو أن كل أمرىء جاد بما لديه وعرض على أمته ما استفاده فى حياته واهتدى فكره اليه لخرج أمام الله وأمام الوطن من الواجب عليه ولا غرو فالسخي كما قيل جوده بما ملك وخلوص النية منجح صاحبه أنى سلك

والله تعالى أسأل وبنبيه العظيم أتوسل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به النفع العميم ويثيبنى عليه ويحقق أملي الذي قصدت أن اردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

(الترجمة)

﴿ الدور الاول فى حياتي الخارجية ﴾

ولدت في يوم ١٠ محرم سنة ١٢٧٦ هجرية بمدينة الاسكندرية بحارة الراكش وتعلمت مبادئ القراءة والكتابة باحدى الكاتيب الاهلية وبعد حفظ ماتيسر من القرآن المجيد دخلت مدرسة الاسكندرية الاميرية سنة ١٢٨٣ التى كان بها وقتئذ نحو السبعمائة تلميذ منهم العربى والتركى والرومى والجريتلي والقبطى والشامى والنوبي والبربري والشركسي والطلياني والفرنسي وو . . . الخ وقد نجح من هذه المدرسة جملة وزراء وأطباء ومهندسين ومديرين وضباط عظام بالجيش المصري ومكثت بها زمنا طويلا بين فصول المبتديان والتجهيزية التي كانت يدرس بها علوم المهندسخانة مثل الهندسة الوصفية وعلم الجبر بدرجتيه وعلم حساب المثلثات المستقيمة والرسم العملي والنظري والظل والمنظور واللوغاريتمات واللغة الانجليزية والفرنساوية والتركية والفارسية فضلا عما كان من النحو والصرف والخط والبيان ثم انتقلت من هذه المدرسة سنة ١٢٩١ إلى مدرسة أركان حرب العليا بعد امتحان دام ثلاثة أيام بين خمسة وعشرين تلميذاً من اخوانى الذين تعددت أميالهم فكانوا جميعاً ما بين ملتحق بمدارس السواري والبيادة والطوبجى والطب البشري والطب البطرى والزراعة الا أنا فكنت الوحيد الذي ألتحق بمدرسة أركان حرب العليا المذكورة التى انشأها المرحوم اسماعيل باشا خديوى مصر وجلب لها اساتذة من فرنسا وانجلترا والمانيا والنمسا وامريكا وبلاد الحبشة

فضلا عن بعض الضباط المصريين الذين كانوا برتب عالية فى الجيش الفرنساوي وهم المرحومون احمد بك خفاجه مدرس فن الاستحكامات الخفيفة والاستحكامات القوية وسعد باشا ناصر مدرس فن الحروبات والمناورات العسكرية وعبد الرحمن بك على لفن الطوبجية واحمد بك ندا لعلم الكيميا واحمد بك نجيب لعلم تطبيق الجبر على الهندسة وعامر بك سعد لقطع الاخشاب والاحجار وفن العمارة ولطيف باشا سليم لعلم الميكانيكا والادروليك ومحمد بك سليمان للغة الانكليزية ومحمود بك فهمي لعلم الطبوغرافيا (المساحة) واسماعيل باشا الفلكي لعلم الفلك والجيودوزية (اسقاط الكره على مستوى) وحساب المثلثات الكروية واحمد افندي زكي (برنجي مدرسة مهندسخانة باريس) لرسم القلاع والطوابى ومصطفى افندى نصر الارجوحي لتحليل وتركيب الظواهر الطبيعية والنظاريات الكيماوية ومحمود افندى شوكت لفن الرسم النظرى ومحمود افندي راسم لفن الرسم العملي وحافظ افندى اسلام لدرس القوانين الطوبجية وعلى افندى وهبي لقوانين البيادة ومحمد افندى جاد لقوانين السوارى ومحمد افندي عبد المنعم لقانون قلعه وقشلاق ومحمد افندي صالح للمناورات والتشكيلات فى الهجوم والدفاع و و . . . الخ وجملة ضباط من طوبجى وبياده وسواري وضباط آخرين برتب اركان حرب لدرس القوانين العسكرية الالمانية الحديثة

هؤلاء الاساتذه والمعلمون الذين إذا اتخذت فى القيام بواجب شكرهم ماء النيل مداداً واستخدمت الكواكب فى حصر مآثرهم الغراء إحصاء وتعداداً لنفد ماء النيل وتبين أن عدد الكواكب قليل

فلا أستطيع إلى ذلك من سبيل فقد علموا وربوا وهذبوا وأدبوا ورقوا وخرجوا من غرس أيديهم جملة رجال عظام من وزراء وأمراء ومديرين وغيرهم من كبار الحكام الذين تربعوا فى دست الحكومة وعليهم مدار سيرها ونظامها فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خيراً عداد ما لهم من الآثار الحسان المرســـومة بحروف من نور على جبين الزمان

وان المرء يذهب ثم تبقي محاسن ذكره فى كل أمة

وكانت هذه المدرسة تحتوي كل سنة على اثنى عشر تلميذاً تحت رئاسة المرحوم (لارمي باشا) الفريق الطوبجي الفرنساوي ووكيله المرحوم حسن بك رأفت لواء الطوبجية ومما أذكره مع الاسف انه كان بالمدرسة ضابط لا يميل إليّ ويكرهنى كرهاً زائداً وما ذلك الا لكونى أسمر اللون دون اخواني التلامذة الذين هم فى منتهى الجمال المفرط وهذا الضابط بدعي (خليل كامل) سامحه الله كان ينادي كل تلميذ باسمه وقت التعليم ما عداي فانه كان ينادينى مرة بياهلالي يا أزرق وأخرى بدكرورى ونوبى وحبشي وبربري وأسود مغبش وو . . . الخ من مثل هذه الالفاظ التى كانت تضحك على اخواني وتجعلنى فى هم وغم وكدر وكرب ولم أجد لي باباً للخلاص من ذلك سوى اني كنت ادلك وجهي فى الحمام بالحجاوة والرمل بدل الصابون والليف كي يتغير لونى واقف فى التابور احمر الوجه فلا اسمع كلمة سخرية واهانة من هذا الضابط ومع كل ذلك فان جنابه حين يرى وجهى بهذه الحالة يقول : (ايش تعمل الماشطه) وبذلك وجدت نفسى في انشغال بال وتهيج بلبال ولم اعلم لذلك من سبب حقيقي وتغيرت

افكاري وضاعت حواسي حتى آل امري ذات مرة الى أن وقعت من على ظهر الحصان فى تعليم نط السد والخندق وقد انكسر ذراعي وحملني اخواني الى الاسبتالية مغمي عليّ ومكثت بالاسبتالية نحو ثلاثة شهور اقاسي آلام الاوجاع حتى من الله عليّ ببعض الشفا فهربت من الاسبتالية ليلا وتوجهت الى المدرسة ووجدت ان اخواني سبقوني فى الدروس والتعليمات وذلك ربما اخرني واعجزني عن اداء الامتحان فيترقى اخواني دوني فصرت ابكي وانوح على ما حل وحصل ورآني على هذه الحالة المرحوم حسن بك رأفت وفى الصباح قال للطبيب اتركه هنا بالمدرسة ينظر بعينه حالة اعطاء الدروس حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً

غير انه لم يكن من حضرة الضابط خليل افندى كامل الا انه قال لي : انت الآن لا تصلح لان تكون ضابطاً بالجيش وسأحول بذلك دون ترقيتك لانك صرت (شرك) ولما سمعت هذه الاقوال منه توجهت باكياً شاكياً لسعادة وكيل المدرسة ولحضرة ناظر الادارة (لارمى باشا) الذي استحضر الحكيم فى الحال قبل ان يسمع وشاية خليل كامل واستكتباه جوابا بان الكسر فى الذراع قد صار جبره بكيفية صحية لا خطر فيها ولا ضرر منها

ولاجل ان يكون البرهان على ذلك محسوساً وباب شر ذلك الضابط مغلوقا جمع ناظر المدرسة جملة من التلامذة بوجود الحكيم المشار اليه وقال لي : ان كان ذراعك قد شفي والتأم حقيقة وأصبح سليما كما كان فضم اليك هذا الحكيم وارفعه الى اعلا فما لبثت ان تحولت اليه بكل قوتي وضممته الىّ وحملته وأنا أقول : يا واحد

يا أحد يا فرد ياصمد . وجعلت أجرى به من أول أودة الباشا الى آخرها وحضرة الطبيب ينادى (هلالى ساغ سليم ولم يعد به أدنى كسر و و . . . الخ) وانتهت المسألة على هذه الصورة . ولقد كنت ظن بعد كل هذا أن يكون ذلك شفيعاً لى عند خليل أفندى كامل حاملا له على معاملتي بالحنان الوالدى ومناداتى باسمي لا بالألفاظ الجافة التي اعتاد ضاداتي بها أثناء التعليم ولكن أبت عواطفه أو قساوته الا أن تزيد عنده هذه الحادثة اسما آخر ضمه الى جدول اسمائي التي ابتكرها فصار يناديني بالمكسور بدل العبد الدكرور وأخيرا عثلث يقول القائل :

ماحيلة الرامى اذا التقت العدا واراد رمى السهم فانقطع الوتر

ومما يحسن ذكره ولا يلزم تركه ان احد اخواني التلامذة سجن لذنب بسيط ارتكبه فما كان منى الا أن توجهت الى السجن لاعطائه خبزاً وماء ومصباحاً يستضىء به فلم يوافقنى على ذلك حضرة الضابط فاحتلت على ايصال ما معى الى صاحبي بكسر باب السجن الخارجى واعطيته اياه متوكلا فى ذلك على الله قياما بما تفرضه علىّ العاطفة الاخوية نحو صديق زميل جمعتنى واياه مدرسة واحدة توجب على كل منا لصاحبه حق الشفقة والحنان وايصال الخير اليه بقدر الامكان

عند ذلك قدم حضرة الضابط شكوى فى حقى الى وكيل المدرسة الذى عرف بثاقب فكره ورجاحة عقله أن المسألة تتلخص فى أن عاطفة

حنان اخوى عند شخص قضت عليه بتخفيف ضرر عن اخيه وايصال خير اليه ومثل هذا لا عتاب فيه ولا ملام وان اهل السماح كرام وبذلك انتهت المسألة بسلام

غير ان امثال هذه الحوادث كانت من شأنها ان توسع لحضرة خليل كامل مجال الايذاء وتغزر عنده مادة الاشتقاق لمختلف الاسماء فصار يقول لى بدل العبد الزربون يا كاسر السجون

مكثت بهذه المدرسة اربع سنوات كاملات مع اخوان هم فى الحسن والجمال آيات بينات حتى انهم لفرط حسنهم وباهر جمالهم كان بعضهم يتغزل فى البعض الآخر فينشدون رقيق الاشعار ويتبارون فى حلبة هذا المضمار ببيان ما خصهم به من المحاسن القادر المختار وقد اقاموني الحكم العدل فى اشعارهم وبلاغتهم وجعلوا لى القول الفصل بين فصاحتهم وبراعتهم فمما اعجبنى قول احدهم فى اسم صدقى

الصدق يورث قائليه مهابة ... سر نحوه نسم الطريق طريقه
واحفظ به عهد الصحاب فانه ... من قل منه الصدق قل صديقه

وآخر فى اسم جوهر

لكل كلام موضع من كتابة ... كنظم عقود زينته الجواهر
فان نظم العقد الذى فيه جوهر ... على غير تأليف فما العقد ناضر

وآخر فى اسم شوقي

وقفت على ما جاءنى من كتابكم ... فكان لآلام القلوب مداويا
وهيج لى شوقا وما كان كامنا ... واذكرنى عهدا وما كنت ناسيا

وآخر فى اسم عزمى

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأي ان تترددا
وان كنت ذا عزم فانفذه عاجلا فان فساد العزم ان تتقيدا

وآخر فى اسم رشدى

اذا ابصرت رشدك فى طريق فسر فيها ولا تبغ سواها
ولا تعدل الى التشبيه حتى يكاشفك العيان بها شفاها

وآخر فى اخ له كان يقلع الطبيب ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدى وجاء لقلع ضرسك بالمحال
اعاق الظبي فى كلتا يديه وسلط كلبتين على غزال

وآخر فيمن كان تدعوه اخوانه بالغزال

قد شبهوك بظبي وانسبوك للوحاشة
فالظبي يرعى الحشيش وانت ترعى الحشاشة

وآخر فيمن يدعى خليل وقد اهدى الى اخوانه بطيخه

اتانا الخليل ببطيخة وسكينة احكموها صقالا
وقسم بالحق شمس الضحى واهدى كل بدر هلالا

وآخر فى اسم ابراهيم

سماه ابراهيم مالكه ولحسنه وصف يصدقه
اضحى كابراهيم يسكن فى نار القلوب وليس تحرقه

وآخر فى اسم على

اسم الذى يتمنى اوله ناظره
ان فانى اوله فان لى آخره

oberkandl.com

وآخر في اسم ندم باللغة الدراجة

ياللي الغزالة وهي شمس الضحى من نور ضيا خدك بقت في خجل
ياللي الغزال من لفتتك في التفات ومن سواد عينيك استعار الكحل
ياللي الغزال في وصف حسنك غلا شعره وسعره فيه مذاق العسل
اصبحت من وجدي عليك ياندم اهوي الغزاله والغزال والغزل

الى كثير من مثل هذه الاقوال التي تشف عن الحب والغرام من قوم مخلصين شرفاء وتكشف عن الوجد والهيام ولكنه بين تلامذة مجدين اعفّاء ذاقوا طعم التربية من اساتذة كرام في هاتيك الايام

هذا ولكوني اسمر اللون من بينهم قد وصفوني بالوصف الذي وصف به بعضهم امام العبد رحمة الله عليه

م الملام مظلوم غرامك لايبالى يا هلالى الوصف في لونك حلالى
ياشقيق البدر في ليلة غيابه والخدود في شكل باب فرن الرمالى

الحواجب والجبين دول حته واحده

والعيون في الضلمة شعلة نار تلالى

الوابور بالامس كان ناوي يدوسنى

قالى سامحتك نظير عشقك لخالى

بالصدود عذبتنى وحيرت فكري لو اشوفك مره أعمل ما بدالى
كم بتوعدنى و تخلف حر وعدك كم اروح اسأل عليك بنى ومخالى
ياشبيه الفحم معذور لو عشقتك وانت تعرف في الزمان دا الفحم غالى
ياشبيه العبد يا فاتح شويه ياشبيه البن فى المـــاء الزلال
لك كلام في الشعر فاق ابن زيبة وابن معتوق قال على ازجالك لآلى

كم شكيت الدهر كم تذرف عيونك حبر يجري عا العيون زي السحالى
كم سكرت وخمرتى معنى كلامك صرت لا اعرف يمينى من شمالى
ان اقل كافور رجع من بعد موته ألقى ابو الطيب صبغ روحه وجالى
وانت فيك البحتري وسحبان وهبرس
والحريري بشكل ابو زيد الهلالى
فيك بلا جسمي وعذبنى نحولى صرت م الهجران ياخلي كالخيال
رحت لك بالليل وما قدرتش اشوفك
معجزه لو كنت اشوفك فى الليالى
ياطقية لخفه يانور نى عينى ياهلالى الشك يا روحي ومالي
ياشبيه الكسبه لا استغفر الله الزيتون والا بدنجان المقالى
يا دلع دلع و يا عفريت حارتنا اوعى تبرق لى عينيك سبنى فى حالى
قد وهبت الروح ما القمري نوح والهزار غنى على قصوري وعلالى
حتى كدت من غناهم اجهل أنى فى ضياء الصبح ام غسق الليالى
النواحي فى السودان عرفت وحايدك
من فشوده لنتهى بحر الغزال
فى فرنسا لبريطانيا مع ايطاليا لبلاد الفرس مع شرق الصومال
اصبحت تعرف قوافى الشعر منك من تلامذه مع نسائم الرجال
واجتنوا الدرر الثمينه من علومك
بارتشاف الكل منها على التوالى
لو اردت الحصر في تعداد معارفك لا ابتليت بالنقص فى كل المقال
يكفينى انى أرى كل الجرائد قالت انك فى العلوم كنز اللالى
فلتفرحن ولتبتهج ياحظ دا انت نلت كل الخير يا قاسم هلالى

وهكذا من مثل هذه الاقوال التي تدل على صفاء النية وطهارة السريرة وكرم المحتد وطيب العنصر وصداقة القلب وحرية الضمير وارتفاع الكلفة من بين اخوان تربوا وترعرعوا فى مدرسة واحدة عالية مثل مدرسة اركان الحرب

ولو اردت ان اجمع هذه الاشعار لاحتاج الامر الى مجلدات تحاكي اشعار مجنون ليلى او ابن هانى وابن الفارض والاصفهانى و و . . . الخ سيما وانها قيلت ارتجالاً وتمثيلا واقتباساً بدون تكلف من تلامذة هم فى نشوة الصبا

على انى لم اكن في الحقيقة اتأثر أو أتغير من مثل هذه الاوصاف لعلمي ان الرجل بهمته ومواهبه لا بسواده او بياضه متمثلا بقول ابى الفوارس عنتر ابن شداد

يعيبون لوني بالسواد جهالة ولولا سواد الليل ما طلع الفجر
وان كان لونى اسودا ففضائلى بياض ومن كفيّ يستنزل القطر

ثم اننا فى ٢٦ الحجة سنة ١٢٩٤ هجرية ترقينا من هذه المدرسة الى رتب ملازمين ثوانى بقلم اركان حرب الجيش المصرى تحت رئاسة الجنرال استون باشا الامريكانى بماهيه لكل منا ٦٠٠ قرش صاغ و ٢٠٠ قرش صاغ بدل عليق للحصان و ٢٠٠ قرش صاغ ماهية سايس للحصان ومكثت على ذلك مدة سنة ثم عينت بمأمورية فى مديرية الفيوم تحت رئاسة الكولونيل (ميسين) الامريكانى لاجل فك زمام بعض اطيان الدائرة السنيه وكانت الدائرة تصرف لنا شهريا علاوة على ما لنا فى الجيش مبلغ ٩٠٠ قرش صاغ غير المصاريف البالغة ٣٠٠ قرش صاغ ومن نكد الطالع اني وجدت بهذه المأمورية رجلا برتبة

البكباشي يدعى (حسن افندى رحمي) يشبه ضابط المدرسة (خليل افندى كامل) فى الطباع وسوء المعاملة مع الضباط الاصاغر مثلى حتي قال لى ذات يوم: انه على علم تام بما حصل لى من الاهانة وتغير اسمي و و . . . الخ فقلت لجنابه : ومن الذى اخبرك بذلك فقال : انى انا ابن عم خليل افندى فقلت فى نفسى : يا قلب لا تحزن من . . . . لطوبه . . . الخ وانشدت قول القائل :

سبكناه ونحسبه نضارا فاجلى السكير عن خبث الحديد
غيره لو ان قوة وجهه فى قلبه قبض الاسود وجندل الابطالا
او كان طول لسانه بيمينه افنى الكنوز وانفذ الاموالا

ومكثت على هذا الحال الى ان تمت المأمورية بكدرى وتنغصى من عيشتى بسبب هذين الرجلين ثم عينت بمأمورية اخرى بطرف مرعشلى باشا واحمد بك كجك باسكندريه لاجل عمل رسومات السواحل والطوابي وو . . . الخ ومكثت مدة سنتين وانا فى غاية السرور من معاملة الرؤساء المذكورين حيث زادوا فى مصاريفي التى بلغت اذ ذاك ٢٥ جنيها شهريا ثم تحولت بجواب بالترقي الى رتبة اليوزباشى بامر من الفريق مرعشلى باشا ومحمود باشا فهمي اللذين شهدا لى بشهادة طيبة رحمهما الله ومن سوء الطالع وقتئذ ان ابتدأت الثورة العرابية المشؤومة المعلومة فى ٢ ربيع اول سنة ١٢٩٨ وكان حظي ان تعينت ثانيا باستحكامات اسكندريه لمعرفة قوة اسلحة الدونانمة الانجليزيه التى قدمت من انجلترا وعدد مراكبها ومقدار الذخيرة التي بها وعيار كل مدفع فيها وو . . الخ فقمت بما يجب علىّ بقدر الامكان ومساعدة الزمان وعملت تقريرات

ورسومات وايضاحات وبيانات وارشادات لناظر الجهادية ورئيس اركان حرب القوة العسكرية حتي اني وجدت ان القوة الموجودة عندنا غير كافية لصد قوة الدونانمة وقد جاهرت بذلك امام بعض ضباط الجيش العرابيين الذين توعدوني وهددوني بقولهم : ان جيش عرابى هو المنصور وانت بقولك هذا المغرور كما يدلنا على ذلك الجفر الفلاني وتفسير المنام الفلاني وهكذا من مثل هذه الاقوال التى دعتنى الى مخالفتهم فى افكارهم التي لم يقم على اثباتها برهان او بيان يقبله العقل وتؤيده الحجة ويعضده الانصاف وتسلمه البداهة

فما كان من هؤلاء الا ان عملوا محضرا في حقي وارسلوه الى حضرة السيدة (بنت الدمراوى) زوجة ناظر الجيش احمد عرابى على يد احد اقاربها الذى كتب المحضر بخطه وهو حضرة تلميذى (معوض افندى نديم) فامرت هذه السيدة فى غياب زوجها بكفر الدوار لمباشرة اعمال الحصار بسجنى فقبضوا عليّ وارسلونى الى محافظ مصر الذى كان وقتئذ (ابراهيم بك فوزي) وبمجرد ما وقع نظره عليّ انتهرني وسبنى بالفاظ يخجل منها الجبان قبل الانسان فمكثت فى السجن مهانا مغلول اليدين والرجلين يذيقونى من انواع التعذيب الامرّين حتى كادت الروح ان تزهق والصبر ان ينفذ وكنت اسلّي نفسي واتصبر بقولى :

كلما مرّ من سرورى يوم مر فى السجن من بلائى يوم
ما لنعمى ولا لبؤسي دوام لم يدم فى النعيم والبؤس قوم

ومن العجيب ان الامعان والمبالغة فى هذا التعذيب كانا على يد

قوم ان لم اكن انتظر منهم ايصال الخير الىّ فلا اقل من ان يبتعدوا عن التعدى علىّ هؤلاء هم اخوانى فى معاهد التربية والتعليم فى عصر واحد وهم ضباط برنجى آلاي غارديا وقد كان لسان حالى يخاطبهم

اتخذتكم درعا منيعا لتدفعوا ... سهام العداعنى فكنتم نصالها
وقد كنت ارجو منكم خير ناصر ... على حين خذلان اليمين شمالها
فان انتم لم تحفظوا لمودتي ... زمانا فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل ... وخلوا نبالى للعدا ونبالها

وقد تجاوز الحد فى الظلم والعدوان احدهم المدعو محمود افندى محمد الصاغقول اغاسى حيث دخل علىّ فى السجن مسلحاً وانا نائم شاهراً سيفه يريد قتلى ولولا لطف الله الذى سخر لى حضرة الضابط الشهم الهمام محمد افندى شامل احد ابناء اكابر ناحية الطرفايه بمديرية الجيزه حيث قبض على سيف هذا الظالم وأدار يده وكفّه عنى قائلا له . ان دخولك السجن بالسلاح ممنوع قانونا على انه ربما دافع المسجون عن نفسه وقتلك بسلاحك فهو اعلم منك بضرب السلاح وادرى بفنون الدفاع والكفاح لانه ضابط اركان حرب درس علوم الطعن والضرب فضلا عن ضعفك امام ما اوتيه من القوة الجسدية فاخرج واحمد الله على سلامتك وعدم مؤاخذتك على خرقك سياج القانون واجعل تنبيهى لك منّة لى فى عنقك حيث ابقيت على حياتك التى كانت مهدّدة بتعديك على هذا البرىء

وقد لبثت فى السجن بهذه الصورة ٣١ يوما حتى تقررت محاكمتى امام مجلس عسكرى حكم علىّ بالاعدام رميا بالرصاص وحين

سمعت هذا الحكم تجلدت وبقول عنترة العبسى تمثلت

عش عزيزا أو مت حميدا بفعل لاتضع للذل والمهانة خدا
كم محق اضاعه الدهر حتى أكل الجور لحمه والجلدا
كلما زاده الزمان انعدما زاد في نفسه علوا ومجدا

غير ان من دلائل لطف الله بي ان كان من بين اعضاء هذا المجلس عضو برتبة هي اقل رتب اخوانه الاعضاء ألا وهو محمد افندى صلحى صاغقول اغاسي فقد اكبر هذا الرجل حكم الاعدام واستعظمه فاشار عليهم بايقاف المحاكمة ريثما تتم اوزار الحرب وتصل الى نتيجة حاسمة واذ ذاك يظهر ان كان هذا الرجل محقاً فى كلامه فيستحق التبرئة او مبطلا فيدان وما يدرينا الآن انه على حق فيكون الحكم عليه بالاعدام من الظلم والعدوان وحين سمعت منه ذلك قلت :

في المهد ينطق ذو الفصاحة بالحكم ولرب قول منه قد احيا الامم

ومن عظيم عناية المولى تعالى بي ايضاً وجود احد اخواني بمدرسة اسكندرية وهو سعيد بك شيمى صهر احد اعضاء المجلس العسكرى (على باشا الديب) فقد ساعدنى كثيراً في ايقاف هذا الحكم القاسي ولولا هذا وذاك لكنت الآن من الرمم البالية فى تلك الايام الخالية

صبرت على مالو تحمل بعضه جبال حنين اوشكت ان تصعدا

وبعد ان اخرجنى من السجن على باشا الديب مع حضرة سعيد بك شيمى اعطاني جواباً بتعيينى فى حملة التل الكبير فاخذت مهماتي وتوجهت الى مكان مأموريتي وقدمت نفسي لحضرة ناظر

الجيش احمد عرابي الذى كان ملماً بجميع ما حصل منى وجرى لى فقال لى عندما رآني لماذا هذا يا هلالى يا ضلالى أتكون مع العدو علينا ؟ فقلت : حاشا هذا يا باشا

حاشاك تسمع فيّ ما نقل العدى ... وتظن ودي كان فيك تكلّفا
ان الكريم اجل قدراً أن يرى ... عمل التغير للصديق اذاهفا
لكن ينقب عن حقيقة جرمه ... متبيناً فاذا تحققه عفا
علما بان ذوى الشجاعة معشر ... جبلت قلوبهم على حفظ الوفا
فالخل يصفى وده متكرراً ... والضد اكدر ما يكون اذا صفا

ومع كل ذلك الا من تاب وعرف الخطأ من الصواب والصدق من الارتياب فى مثل هذا الباب الذى يطول فيه الملام والعتاب وكفانى ما اتانى من السب والضرب والاهانة وسلب اموالى ومهماتى و و . . . الخ التى اضاعها عليّ الضباط المتشبعون بأقوال النصر والظفر استناداً في ذلك على ما دلتهم عليه الاحلام وفك الرموز والطلاسم والاحجبة والتمائم التى لا يعلمها الا الله والراسخون فى اعراب الضمير وأبطال وفرسان التل الكبير وكفانا يا سعادة الباشا اثباتاً لنصركم وفوزكم كلمة (نصر) المكتوبة (بيد القدرة الالهية) على البيضة التى باضتها الفرخة عند صاحبها الشيخ محمد حلوه من بلدة البقلية فى ١٢ شوال سنة ٩٩ تلك البيضة التى أرسلت الى سعادتكم وحضرت انا معها بقطار واحد فكان هذا خير شفيع لى عندكم حيث اتيت بالنصر الكامل لهذا الجيش العامل المحارب بكل عسكرى باسل تحت ادارة سعادتكم أيها البطل الهمام والشجاع الضرغام المناضل والمجادل عن البلاد والعباد بالسيف الفاصل بين الحق والباطل

ولكن لا تنسى أيها القارىء ان الظاهر عنوان الباطن بدليل :

ضمائر قلب المرء تبدو بوجهه ويخبر عنوان الكلام بما فيه

(غـــيره)

وقل من أضمرت شيئاً طويته الا وفي وجهـه للشيء عنوان

فقد نظر اليّ حضرة المحترم (عبد الله نديم) لمعرفتـه بحقيقة اعتقادى وما ينطوي عليـه ضميري فى امثال هذه الامور وقال : اتصدق يا هلالي بمثل هذه الاقوال فقلت له : فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وها هو سعادة الباشا عنده من جهة البيضة الخبر اليقين فقال الباشا حينئذ : اتريد أن تغير افكارك فتكون بالسجن او تصبح كما ضاع امس من اليوم ؟ فتداركت الامر ونطقت بدعوات لسعادته تخلصاً من غضـــبه وقساوته وعند ذلك أمّن على دعائى عبد الله افندي نديم والفريق راشد باشا حسنى (ابو شنب فضه) وتبعهما جميع الحاضرين بالمجلس وهم البيكوات : احمد الزمر وعلى خنفس واحمد عيد واحمد داود وحسن جاد وعبد القادر عبد الصمد وحسن عيد ومحمد عبيد واحمد فرج وابو بربور واحمد عبد الغفار ومحمد طعيمه وفرج الدكر وسعادة على باشا الروبى

غدا توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

ان أحسنوا أحسنوا لانفسهم وان أساؤا فبئس ما صنعوا

فحصل لي عندئذ اطمئنان من جهة هذا الرجل البسيط العبيط (الملقب بالفقى الريفى) الذى لولاه لسبقت مصر اليابان فى الحضارة والعمران الذى يقدس الاعتقاد بمثل هذه الامور ولا عجب فانه لم يقرأ علوماً ولا فنونا ولم يألف المجالس العلمية ولم يعرف المناقشات

الادبية بل رجل صادقته العناية واحلته هـذا المركز الذى ليس له بأهل . . رجل اتخذ وسيلة الدين والتمسك بألفاظ القتال والجهاد والعقاب والثواب باباً للتمويه على العقول السخيفة فى أمة لا نسبة بين المتعلمين منها والجاهلين فمثل هـذا الرجل الذي يؤثر فى اهل البلاد بمثل هذه الخدع والبدع لا يكون مساوياً عندي لاقل تلميذ درس المناورات الحربيـة سيما وانه كان دائماً لا يجالس الا ارباب الطرق والاشابر المتفقهين وكثير من كذبة المنجمين الذين يتنبأون عما فى الضمير ويعملون الاوفاق ويفكون الرموز والطلاسم وأمثال هؤلاء الجهلاء البلهاء الاغبياء الذين يضرون ولا ينفعون ولذلك كنت اتكلم معه وانا على حذر منه

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشياً تجاهلت حتى قيل اني جاهل

ثم انه امرنى بان اكون تحت ادارة حسن افنـــدي رحمي البكباشي مطيعاً لاوامره مجتنباً لنواهيه

وما المرء الا راكبٌ ظهر عمره على سفر يفنيه باليوم والشهر

يبيت ويمسي كل يوم وليـــلة بعيداً عن الدنيا قريباً من القبر

فعنـد ذلك تخلخلت ركبتاى وغارت فى وجهى عينـاي لعلمي بأعمال وأفعال المذكور بمديرية الفيوم كما سبق خصوصاً وانه أحد أقارب ضابط المدرسة الذي نغص عيشـتى فى شبوبيتى فاخشى ان ينغصها هذا فى رجوليتي لانه رجل سوء يحب الايذاء كما يدل على ذلك ما سبق منه لي

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولـكن عين السخط تبدى المساويا

غير انى توكلت على الله الذى من توكل عليه كفاه شر مثل هؤلاء

الطغاة العتاة وتوجهت اليه وقابلته فبمجرد أن رآني قال لى : يكون فى علمك يا هلالى يا ضلالي اننا فى أوقات حرب وقد حضرنا هنا لأجل أن نموت ولا يكن فى فكرك أن ترجع الى أولادك بالثاني وكفى سلامتك من السجن وخروجك من المجلس العسكري بدون اعدام واللازم عليك الآن أن ترسم لنا جميع ميادين القتال من ابتداء الصالحية والفوارنة الى محطة التل الكبير مع عمل منسوب كل نقطة وبعد كل طابية عن الاخرى ومرمى عيار كل مدفع على جهات المحسمة والشلوفة والمسخوطة والسويس والاسماعيلية وكل البلاد المجاورة لميدان القتال عسى أن ننال النصر بدل الانخذال ياقاسم هلالى ونكون ضدك وعلى غير فكرك . فقلت له : ان ربى قادر على أن يأتيكم بالنصر المبين لتعرفوا قيمة الذهب من اللجين والغث من السمين وتعلموا اخلاص الابطال المدربين وتميزوا بينهم وبين الأغرار المدّعين . فقال : وكيف ذلك ؟ أتريد أن تلعب معنا لعبك الاول ؟ وما قولك اللجين والجين و و . . . الخ ؟ فقلت : يا حضرة المحترم ان كلامى هو تمام وعلى طبق المراد والمرام عند الخاص والعام . وبينما أنا أقول مثل هذا الكلام إذ حضر شيخ مشايخ طرق وجه قبلى الشيخ عبد الجواد مع جميع أهل طريقته مقيمين الأذكار (كزفة الفار) عند ذلك لم أجد لي خلاصاً من حضرة البكباشي المذكور الا بأن وضعت سيفي على الارض وربطت لجام جوادي فى وتد الخيمة ودخلت فى هذا الجمع أذكر وأوحد حتى سالت ريالتى على ثيابى وانهالت دموعي على خدودي و و . . . الخ وصرت مجذوباً كأحد المجذوبين ومتطوراً كالمتطورين ولفتت هذه الحالة نظر الشيخ الى

فأجبني وقال لى : أنت رجل غيور على الدين واحياء كلمة رب العالمين فسمعه حضرة الدكتور مصطفى بك النجدي فأراد أن يمزح مع الشيخ على حسابي في حين انه رجل لا يعرف المزاح فقال له : انه رجل درس علم الطبيعة والكيميا فكيف بعد ذلك تصدق انه مجذوب بذكر الله وأنبياه . ففى الحال تغير حضرة الشيخ عليّ وبصق فى وجهي وقال : اذهب يا ماكر فانتبهت اليه قائلا : أيليق بك وأنت رجل دين تقى شيخ طريقة ولك أتباع ومريدون أن تبصق على وجه مخلوق كرّمه الله ؟ قال : لانك درست علم الطبيعة ومن كان كذلك أصبح بعيداً عن الشريعة وهذه شهادة حضرة الدكتور ناطقة بذلك معربة عما انطوى هنالك

الادب قول قد جرى من ممازح يسوق الىّ الموت من رجل غر
وان مزاح المرء فى غير حينه يجرّ اليه الحتف من حيث لا يدرى

ولما وجدت نفسي مهاناً من كل جهة يئست من أمري وتضايقت من شأنى وصرت بين نارين لا أعرف أخف الضررين وقلت

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولم أجد مناصاً من هذه الورطة الا أن غمزت ورمزت وهمزت الى حضرة الدكتور بتلافي الامر لنجاتي من هذا المأزق الذى أوقعنى فيه بمزاحه والذي ربما يؤدى الى دخولى السجن ثانياً أو الاعدام فان القوم كانوا يأخذون بالشبهة ويحكمون بالظنة ففهم حضرة الدكتور ذلك منى وشرع يذكرنى أمام شيخ المشايخ بالخير والثناء فسرعان ما انقلب غضب الشيخ رضاً وشره علىّ خيراً خصوصاً لما بين الشيخ والدكتور من المحبة والمودة حيث كان الثانى يحفه دائماً

بالتشوق الطبي وبالرغم من كل هذا فانه بعد انصراف الشيخ بقيت أنا في وساوس وأوهام لا أدري هل أنا في يقظة أو منام لعل القارئ يتشوق الى معرفة موقف البكباشي الذي تخلصت منه أمام هذا الامر وأنا ما فعلته الا تخلصاً من فظاظته وتباعداً من قساوته فأقول.

ان حضرته لم تنطل عليه هذه الحيلة بل عدّ هذا العمل هزءاً وسخرية لمجرد الهرب من فعاله فحلفت له بالطلاق والعتاق اني صادق في أعمالي خصوصاً وان الضرب على الدفوف يهيج الاعصاب عند ذوي الألباب من الشيوخ والشباب يا جناب البكباشي المهاب المحترم الجناب عند الاعداء والاحباب كفانا الله وإياك وجع الاضراس والانياب ووعدنا معكم بأكل الكفته والكباب ووقانا جميعاً شر مناقشة الحساب والوقوع في الشك والارتياب وشر النميمة والاغتياب ورزقكم الاجر والثواب على طول وقوفكم الصلاة في المحراب وعمر بيوتكم من غير أن يلحقها خراب فقد قال تعالى . (يمح الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وقلت في نفسي:

تعابط مع الحمقى اذا ما لقيتهم ... وقابلهم بالجهل مثل أخي الجهل
وخلط اذا ألفيت يوماً مخلطاً ... يخلط في قول صحيح وفي هزل
فاني رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فلما سمع مني ذلك تركني وتوجه الى سعادة الناظر في خيمته وأخبره بما كان بيني وبينه وبين الشيخ عبد الجواد وبين الدكتور فبعث الي الناظر بالحضور وسألني عما جرى فقلت : الله أعلم بما في ضميري وهو رب القلوب وعلام الغيوب وغفار الذنوب من مصر الى نهر الداتوب أو من رشيد الى قليوب وسبحانه الستار وخالق

عبد الصمد وعبد الغفار الذى وعد المسلمين بالجنة والكفار بالنار وجعل فى الناس الاحرار مثلكم رحمة قبول الاعذار

فلما سمع الناظر منى هذه الكلمات عدها هو أيضاً فى معرض التهكمات والسخريات وقال : اننى سأجازيك على عملك بحسب استحقاقك فاستعد للموت ولما سمعت ذلك أرتعدت فرائصى خوفاً وجثيت على ركبتي وقلت. اللهم اغفر لى ولأمى قال ما بالك لا تذكر أباك ؟ قلت . أبى رجل يحتال لنفسه وأما أمى فانها ضعيفة ثم طلبت العفو فقال . اننى لا أعفو عنك مكار غدار مهذار ثرثار على اننى أترك لك أمر اختيار شكل الميتة التي تريد أن تموتها هل رمياً بالرصاص كما سبق الحكم عليك أم بطلقة مدفع أم بالسيوف والرماح وتقطيع جسدك بالسلاح ومع اني كنت أردد فى ضميرى هذين البيتين

ان هذا الموت يكرهه كل من يمشي على الغبرا
وبعين العقل لو نظروا لرأوه الآية الكبرى

فقد قلت له . يا سعادة الباشا الناظر ويا سلالة الكرام الاكابر ورب الاقلام والرمح والحسام انى أختار من بين هذه الميتات أن أموت شيخاً عجوزاً لتكثر منى لكم الدعوات الطيبات وعند ذلك نظر سعادته للحاضرين ورآى على جباههم سيما الكاظمين الغيظ والعافين وقال . قد عفوتا عن هذا الضابط لحذقه ومهارته وطلاقة لسانه وكبر آذانه وبصفتي حامى القوة والصولة والمملكة والدولة سأقلده نيشان فصاحة اللسان قلت . اعطنى يا سعادة الباشا بدل ذلك حجاب الامان حتى لا يتعدى علىّ بعد ذلك أي انسان فعندها أمر عبد الله أفندي نديم أن يعطينى رقوة عاشورا وأن يحوطنى بتحويطة

أهل النيازرجة المشهورة فجلست بجواره وقال : حيث انك من ضباط أركان حرب الذين اشتغلوا بالآلات الفلكية كالنظارة الاعتدالية والزوالية ودوائر الانعكاس والتيودوليت والبارومتر والمانومتر والبلانيمتر والبانتوغراف واليودومتر والمثلث المساح والبلنشيطة فخذ هذه التحويطة

قريط بطيط بشرحيط مشريط عطيط عبيط نط نطه كقبوطي
نطيط خريط قرنبيط بشوطه

نحيط بطيط مستحيط على الطوطي
يشحط فى البرحاط طرباط بقطه ويشحط بطامن شحيط المنفلوطي
ويلبط وطواطاً بتخبيط ضبطه

اذا برحطت وقت الرطوط بطنطوطي

فشكرته وانصرفت أقول : هكذا هكذا الخلاص من هذا القصاص بمثل ذلك الاخلاص المشحون بمجون أهل الفنون

ولا غرو اذا كان خلاصي بمثل هذا المجون الغريب فانى رأيت سعادة الناظر أحمد عرابي باشا متعلقاً بنظم الشعر وقد نظم قصيدة وأعطاها أمامي الى عبد الله أفندى نديم وقال له : اخبرنى هل رأيت أشد ركاكة منها فان الناس لما علموا انى تعلقت بنظم الشعر وشغفت به جعلوا يحفونني بكل غث وسمين فأخذ الاستاذ القصيده وقرأها ثم قال : لقد أصبتم فانى لم أقرأ شعراً ركيكا مثل هذا الشعر فأغرق الناظر في الضحك وقال: ألا تظن أن ناظمها حمار كبير فقال الاستاذ. نعم حمار وأى حمار فقال الناظر . لافض فوك فانك تقول الحق ولا تخشى فيه لومة لائم فانى أنا الناظم لهذه القصيدة . فاضطرب الاستاذ

وقال : يا سعادة الباشا دعني أقرأها مرة ثانية فانني لم أدقق النظر فيها أولا فقال : كلا كلا فان كلمة الحق سبقت

ولذلك قرأت هذه التحويطة على اخواني ضباط أركان حرب وصاروا لا يدرون ماذا يفعلون ولا يقدرون أن يتكلموا بما يضمرون وقلنا جميعاً . انا لله وإنا اليه راجعون

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الصبيان يوماً على الرقص

فقد كان أذكياء القوم اذ ذاك والمتنورون منهم يجارونهم على هذيانهم وسخافاتهم اتقاء لشرهم وغضبهم وخوفاً من انتقاضهم عليهم وأذكر ان أحد الاغنياء من أغنياء العرابيين قال لحضرة الاستاذ عبد الله نديم لقد نظمت قصيدة وأحب أن تدرجها لي في جريدتك فاعتذر بقوله: ان القصائد لعرابي والعرابيين عندنا تعد بالمئات فلا متسع في الجريدة لقصيدتك قال : انى نظمتها بواسطة أحد أدباء مصر فى وصف تفسير الاحلام والاحجبة وبيضة الفرخة للنصر المبين للعرابيين وها أنا مستعد لدفع ريال عن كل بيت فيها فقال له الاستاذ طيب الله أنفاسك ليت الجميع يقتدون بك فى ترويج هذه الصناعة التى تفوق كل الصناعات فهات ولا تقل انى رددتك خائباً وضميره يقول :

ان الدراهم فى المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

أما التحويطة فقد وضعتها فى طربوش وقلت خذ من عبد الله وتوكل على الله وبينما أنا في الكلام مع اخوانى إذ صدر لي أمر حضرة البكباشي بتعيينى في خط النار لاعطاء كلمة (سر الليل) فى

الجيش وكانت الساعة وقتئذ توافق احدى عشرة ونصفاً وقد أرفق معى عسكري مراسله لم أعرفه قط قاطبة مطلقاً أبداً ولما قطعت معه مسافة كيلو متر تقريباً فى الوادي اذا بهذا العسكرى قد أوقف حصانى وأخذ يحكك بي وانتهى به الامر الى أن سألنى كم الساعة؟ فقلت له اننا الآن فى منتصف الليل ثم امتطيت سيفى من غمده ووضعته بحذاء أنفي وضعاً رأسياً بين عينى وقلت له : وهذا هو عقرب الساعة يدل على صدق قولى دلالة واضحة فأسرع العسكري بالفرار من امامى وهو يقول :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وبعد ان توجهت بنفسى وأعطيت سر الليل الى على باشا الديب كانت الساعة واحدة بعد نصف الليل ثم مكثت معه ساعتين ثم رجعت الى خيمتى الساعة أربعة ليلا ولم أكد أضع رأسي على وسادتي لاستريح نوعاً حتى قال لي أحد الاخوان : ان حضرة البكباشي صار تعيينه بعد ذهابك فى مأمورية بجهة الصالحية تحت ادارة رئيس القوة العسكرية محمود باشا سامى البارودى فحمدت الله على فراقه وبينما أنا أتلو الحمد اذ همس فى أذني أخى ضابط اركان حرب محمد افندى رحمي وقال : ان البكباشي فى الحقيقة ذهب هو وسبعة ضباط من الجيش الى تسليم خطوط الدفاع للقوة الهاجمة وليس الامر كما قيل لك . فكان هذا الامر كالصاعقة الساحقة وقلت.

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجب من حالنا ان تأخرا

فقد أصبحت أذنابنا وهي أرؤس غدونا بحكم الطبع نمشى الى الورا

وبينما نحن فى هذا الحديث اذا بالجيش الانجليزى احتاط بنا

احاطة السوار بالمعصم وعند ذلك ناداني حضرة القائمقام محمد بك بليغ بأن أرافقه لننظر مقدار قوة الحصار فقمت وركبت جوادى وتبعته وقطعنا مسافة كيلو متر من ميدان القتال واذا بطلق المدافع ابتدأ على عساكر الآلايات البيادة والسوارى الخيالة الذين كانوا نياماً فى حالة تعب شديد لانهم مكثوا طول الليل فى اقامة الاذكار وتلاوة الادعية ليلة ٣٩ شوال سنة ١٢٩٩

ولما كان سلاح الطوبجية بعيداً عنهم هربوا وتركوا متاعهم وجميع مواد غذائهم وذخائرهم وأسلحتهم بحالة هرج ومرج فظيعة ولما شاهدت هذه الحالة الشنيعة أردت تدارك الامر بتسكين قلقهم وتخفيف رعبهم وتقويتهم فذهبت الى محمد باشا نجاتى لواء الطوبجية وطلبت منه ارسال مدافع لحمايتهم ووقايتهم فأحالنى على حضرة الهمام الطوبجى المشهور حسن باشا رضوان لاخذ بطاريته فوجدته مجروحاً فى فخذه وبجواره ابراهيم أفندى برهام قتيلا فلم أجد بداً من القيام بالدفاع أنا ومن معي بقدر ما تسمح به قوتنا ولبثنا مدافعين مناضلين حتى الساعة الثانية عشرة وقت الزوال وفى هذه الاثناء كانت الحالة شنيعة مريعة فظيعة اذ قد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وكانت الاشلاء تمزق والاجسام فوق بعضها تتكدس خصوصاً أنفار العمليات العزل من كل سلاح ولقد ختمت هذه الحالة بما سمعناه من خبر وصول قوة انجليزية عظيمة من خلفنا الى مدينة الزقازيق وأخرى الى بنها وكوم حماده حتى فت هذا الخبر فى عضدنا وثبط من همتنا فلم نجد مفراً من التقهقر مع زميلي بليغ بك المشار اليه وما حان وقت الغروب ونحن نقاسى الآلام والخطوب

الا والقوة الانجليزية قد استولت على قلعة مصر والعباسية فى أول القعدة وأنتهى بنا الامر الى أن اتخذ بليغ بك طريقاً سار فيه وأنا طريقاً آخر وكانت الطرق مملوءة بجثث القتلى وأشلائها والخيول تمر عليها وتجتازها بحالة تنفطر القلوب من منظرها وتنذهل العقول لهولها وقد قلت له وقت افتراقنا وأنا أودعه :

لئن نحن التقينا قبل موت شفينا النفس من ألم الخطوب
وان ظفرت بنا أيدي المنايا فكم من حسرة طي القلوب

هذا ولما كان الحق أحق أن يتبع والصدق أجدر بأن يستمع فأثبت هنا ما شاهدته بعيني رأسي وهو أنه لما تمت الهزيمة على الجيش المصري وتغلب الجيش الانجليزي على الطوابي وخطوط الدفاع قام هؤلاء بما تفرضه عليهم واجبات الانسانية وما تحتمه القوانين الدولية والاصول المرعية وما توجبه على أصحابها العواطف الشريفة من الحنان والرأفة والشفقة نحو المخذول أمام الظافر الغالب بتضميد جروح المجروحين واطمأنة قلوب الخائفين وتقديم الماء والزاد الى الظمآي والجائعين فضلا عن مواراة جثث القتلى بدفنها

من يرحم الناس فالرحمن يرحمه ويدفع الله عنه الضر والباسا
وفى صحيح الكلام جاء متصلا لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

حتى ان المرحوم اللورد ولسلى قائد هذه الحملة حين رآني مجروحاً برأسي أمر بتضميد جراحي وانزالى بالقطار المسافر الى مصر وطيب خاطري بكلمات الحنان وسمح لي ببقاء سيفي معي الذي أخذته من جندى كان يريد قتلى به وقت الدفاع عن نفسي الى أن وصلت الى مصر معززاً ولو اني كنت فى حالة العدم بما هو مكتوب

لى فى القدم حيث مضت علي مدة طويلة بدون اكل ولا شراب وكانت ثيابي ملوثة بالوحل والدم بحالة بشعة المنظر

لا يعرف المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذر
ومن أراد العلا عفواً بلا كدر قضى ولم يقض من آماله وطرا
واحزم الناس من لومات من ظمأ لايقرب الورد من لا يعرف الصدرا

وفي ثاني يوم توجهت الى المحافظة طالباً أموالي وأمتعتي التي كانت قد حجزت وأخذت منى اغتصاباً وظلماً وسلباً من عساكر السجن باغراء من سعادة المحافظ ابراهيم فوزي الذي بمجرد أن رآني قال لي : لماذا ثيابك مخرقة مقطعة ؟ أما تخجل يا هلالي أن تقف بحضرتنا بهذه الثياب الرثة ؟ فقلت : هذا ما وصلت اليه فى أيام حكمكم وعلوكم الى المراتب العالية والمناصب السامية . ثم قال : لماذا جئتنى متسلحاً ولابساً سيفك فى وسطك مع ان الحرب انتهى وصدر أمر بلغو الجيش ؟ فقلت : لانكم يا سعادة البيك المحافظ سبق وقلتم الي فى اول ورقة ارسلتموها اليّ لاجل محاكمتي بالمجلس العسكرى انه يجب عليّ أن احضر لادافع عن نفسي وليس عندي من وسائط الدفاع اولا وثانياً سوى هذا السيف وعند سماعه هذا القول خاف وارتجف وصمت ولم يتكلم قط ثم تقدمت اليه وقبلت رجليه فاشمأز كل الحاضرين من ذلك واستصعبوه ونسبوا ذلك منى الى الدناءة والخسة فقلت لهم لا لوم عليّ فى ذلك لو تعلمون ما هنالك انما اللوم عليه لانه وضع أذنيه فى رجليه (لانه لم يسمع كلامى فى الاول وهو ان الانكليز دولة قوية ونحن أيالة ضعيفة) فأردت بهذه المواربة أن يكون له من الاذان اربعة حتى اتحصل على ما لي عنده

من الاموال والامتعة . وكان لي بطرفه مبلغ ١٢٠ جنيهاً فاخذته وتوجهت الى كثير من مساجد أهل البيت الكريم العظيم ووزعت منه مبلغاً ليس بزهيد على من حولها من الفقراء والمساكين حتى لم يبق معي سوى ٩٠ جنيهاً عزمت على اعطائها لمن أقرضوني اياها وهم حضرات المرحومين محمد بك شيمي وسعد بك مجدي والسيد بك حفناوي القضاة بالمحاكم المختلطة وكانوا ارسلوها لي ليلة القبض عليّ وارسالي الى السجن رحمهم الله رحمة واسعة

ولو ان لي في كل منبت شعرة لسان يطيل الشكر كنت مقصرا

أخذ هؤلاء المرحومون مبلغهم وسألوني عن كيفية حصولي عليه فقلت لهم بما حصل مني من تقبيل رجلي سعادة المحافظ

افنيت شطر العمر في مدحهم ظناً بهم انهم اهله
وعدت أفنيه هجاء لهم فضاع فيهم عمري كله

وفي ثالث يوم توجهت الى جناب رئيسي الجنرال استون باشا الامريكاني رئيس أركان حرب الجيش المصري بناء على دعوة منه لي وحين رآني أكرمني غاية الاكرام واجلسني بجواره وسألني عن اسماء الضباط والعساكر الذين تسببوا في اهانتي وقيدي بالسلاسل والاغلال في السجن لانه يريد أن يبعث بأسمائهم الى سعادة سلطان باشا نائب خديوي وقتئذ لاجل القبض عليهم ومحاكمتهم لانهم تعدوا عليّ بدون وجه حق حيث كنت قائماً بشؤون وظيفتي حق القيام فقلت لسعادته : اني وان حصل ما حصل من الاهانة التي انتم أدرى بها ولكنني لا ابغي عقاباً لهم اكثر مما حلّ بهم فقد جردوا من رتبهم وحكم بابعادهم عن وظائفهم بلغو الجيش ودخول

الانكليز فى مصر فقال لي : يظهر انك مصري عربى بحت لاتعرف الانتقام ولا تود معاملة هؤلاء اللئام بغير ماتقتضيه عاطفةاهل المروءة الكرام وصدق الحديث الشريف عندكم (أحسن لمن اساء اليك) و (اكرموا عزيز قوم ذل)

اذا طالبتك النفس يوماً بشهرة وكان اليها فى الخلاف طريق
فخالف هواها مااستطعت فانما هواها عدو والخلاف صديق

ثم انه بعد أخذ ورد اعطاني جواباً لناظر الحربية وقتئذ سعادة عمر باشا لطفي الذى تلقاني بالقبول وتحقيق المأمول بصرف جميع استحقاقي مع مبلغ ٣٠ جنيها قيمة ثمن ساعة وسلسلة ذهب ضاعا منى وقت سجنى ثم انه امر سعادة محمد باشا رفعت باشكاتب الحربية بان يكتب جوابا خلاصته : اني من الضباط الذين هم غير موافقين على اعمال العرابيين وهذا الجواب بمثابة شهادة على اني غير مؤاخذباعمال هؤلاء الثورويين حتى لا يكون هناك عائق عن تقدمى وترقيتي فى المستقبل فاخذته واعطيته الى سعادة روسو باشاوكيل نظارة الاشغال الذى يعرفنى من مأمورية الدايرة السنية بالفيوم لانه كان حينئذ الباشمهندس فيها وعند ذلك ناداني بالكلمة المعروفة عندالفرنسويين: (اهلا بالايماجور) الذى نظارة الاشغال فى حاجة الى اعماله الهندسية بعد لغو ضباط الجهادية وفي الحال اصدر امراً بتعيينى مهندسا بقلم تنظيم اسكندرية بلدتي تحت رئاسة المحترم احمد بك عزى فمكثت مدة ستة شهور ووجدت ان الرئيس المذكور غير راض عنى لسبب لا اعلمه فقدمت استعفائى وخرجت من الحكومة دون معاش او مكافأة ولبثت على ذلك مدة شهر من الزمان وما ادري الا وسعادة وكيل

النظارة روسو باشا ارسل في طلبي ليعرف سبب الاستعفاء وتكدر الرئيس مني فتوجهت وقابلته ولعدم معرفتي الاسباب وقعت في الارتياب وكيف أقول وأعيد وكيف وكيف . . .

اذا لم تكن عالماً بالسؤا ل فترك الجواب له اسلم
وان ما شككت بما قد سئلـ ـت فغير جوابك لا أعلم

وأخيرا قلت لجنابه : لا ارغب ان اكون السبب في الاذى حيث العبارة تحتاج الى تحقيق دقيق وربما لا يمكنني اثبات بعض اشياء تكون السبب في ادانتي امام جنابكم و و . . . الخ

وأخيراً كتب سعادته جوابا للنظارة بصرف ماهية الشهر الذى رفت فيه مع اعطائي درجة وصرف مصاريفي التى هي السبب فى الاستعفاء مع رجوعي بالثاني الى وظيفتي

سأصبر حتى تجلي كل غمة فتأتي بما تهواه لي المقادر
واني لبئس العبد ان كنت آيسا من الله ان دارت علي الدوائر

هذا الجواب اطلع عليه سعادة جيران باشا رئيس قلم التنظيم واستغرب جداً من كيف يكون الوكيل رجلا فرنساويا وهو أيضا فرنساوى ويأخذ بيد مصرى مثلي لم اكن فى العير ولا فى النفير ولذلك رفض جيران باشا العمل بجواب الوكيل بحجة انى خرجت من الحكومة وقد تعين خلافى فى وظيفتي وبذلك صار بين الطرفين مشاحنة كتابية ادت الى تعكير صفائهما وتغير قلب كل على صاحبه وقد اخبرني بتلك المناقشات الحادة الجافة التي دارت بينهما حضرة الفاضل المحترم محمد بك مصطفى المستشار بالمحكمة المختلطة وقال لي : كيف ان اثنين عظيمين فى رتب عالية ومن امة واحدة يؤدى انتصار

احدهما لك الى مقاطعته ومخاصمته للآخر فلا بد ان يكون هناك سبب لذلك . فقلت نعم :

ألم تر أن الله قال لمريم وهزى اليك الجذع يتساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه جنته ولكن كل شيء له سبب

ولا اذكر لذلك سبباً سوى انى حينما كنت بمأمورية الدائرة السنية بمديرية الفيوم وكان معى اذ ذاك البكباشي حسن افندى رحمي الآنف الذكر فى مسألة التل الكبير وخلافه قمت بشؤون وظيفتى بما يرضي الله والذمة والضمير مخالفاً فى سيرى لما كان عليه البكباشي المذكور فاذ ذاك ظهر لجنابه الفرق الكبير والبون الشاسع بينى وبينه حتي أحبنى وقربنى اليه

وأخيراً أعطاني هذا البيك السكرتير جواب روسو باشا المتضمن رجوعي الى وظيفتي وتوجهت الى الاسكندرية واعطيته للرئيس الذى قال لى : عفا الله عما سلف فاستلمت أعمالى مع اخوانى الذين استغربوا غاية الغرابة من هذه الحادثة العجيبة التي لم يسبق حصول مثلها قط حتي قال بعضهم انها كسحر ولم يلتفتوا الى مالى عند جناب الوكيل من المكانة العالية للاسباب التى سبق ذكرها

مضي عليّ فى هذه الوظيفة مدة شهر ونصف ورد فى نهايتها تلغراف من وكيل النظارة بتعيينى طرف الباشمهندس الشهير النزيه المسيو مانسكالكو لعمل رسومات ومقايسات وتصميمات انشاء سراي الحقانية المختلطة باسكندرية وقد احتفل بى وقتئذ اخواني بالتفتيش احتفالا يشف عن كرم أخلاقهم وطيب عناصرهم ثم وقفنى

بينهم خطيباً موجهاً كلامي لحضرة الرئيس بقولي متمثلا :

ولي كف ضرغام اذا ما بسطتها بها اشترى يوم الوغي وأبيع
معودة لثم الكرام لظهرها وفي بطنها المجد بين ربيع
وما أنا الا المسك في أرض غيركم أضوع وأما عندكم فأضيع

ومكثت مع جناب الباشمهندس المذكور سنتين كنت فيهما كالطفل الذى يرضع ثدى أمه حيث رأيت منه استعداداً عظيماً ومعارفاً فى فن العمارة لم أرها في غيره فضلاً عما له من مكارم الاخلاق وغزير الفضائل خصوصاً النزاهة التامة والاخلاص المتناهي والهمة العالية والبعد عن السفاسف والدنايا والشبه التي تحوم حول كثير من الرؤساء فى مثل هذه المشروعات الكبيرة التي تستلزم أموالا طائلة تذل أمامها النفوس الشريرة . ولكن الرجل قد أسرني بآدابه واسترقّني بمكارم صفاته حتي صدقت قول الحكماء : لا صيد اعظم من انسان ولا شبكة أصيد من لسان وشتان بين من اقتنص انسياً بلسانه وبين من اقتنص وحشياً بجنانه ومن أحبّ أن يصطاد قلوب الرجال نثر لها حبّ الاحسان والكمال ونصب لها اشراك الآداب والافضال ومن لم يمدح أخاه الا اذا رآه فوجدانه كفقدانه ووصله كهجرانه

ولهذا يجب أن يكون الرؤساء مع مرؤوسيهم رقة وكمالا وهمة وافضالاً وياحبذا لو ان رؤساء الحكومة المصرية يصبحون كذلك مع من تحت ادارتهم إذاً لاستقامت الامور وقلّت الشرور وارتاحت النفوس واطمأن كل رئيس ومرؤوس

ثم عينت بموجب تلغراف من وكيل النظاره بطرف المسترفوستر مفتش رى قسم ثالث فلما قابلته وعرف ان لي المامآ باللغة الانجليزية اكرمنى ورحب بي كعادة الامراء فمكثت مع جنابه فى أشغال تطهيرات ترعة المحمودية ورسم قطاعات نشو ترعتى النوبارية والرشيدية وسدّ محلة الامير وقناطر وبرابخ وكبارى مديريات البحيره والجيزه والفيوم وكان معى بالتفتيش شخص يدعى رفاعي افندي اسماعيل كاتب اول عربي وجدته فى هذه المده يشابه فى أعماله وخصاله ضابط المدرسة وضابط التل الكبير السابق ذكرهما وقد كنت اسأله دائمآ بالنسبة لصالح المصلحة وإراحة لنفسى بعد الشقاء الذى نالنى من جهتي هذين الضابطين

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوآ له ما من صداقته بدّ

ومما حبّب اليّ مسالمة هذا الرجل أن جناب الوكيل المسيو كامل كونى حفيد المرحوم لينان باشا ناظر الاشغال سابقآ كان يعرف فظاظته وسوء خصاله ولهذا كان كثيراً مايحذرنى منه لا كون بعيداً عن شروره

ولقد قام بفكرى أنى اذا سامرت هذا الباشكاتب مع اخوانه بجملة أحاديث عن الثوره العرابية وما رأيته فيها من العجائب التي لا يعرفونها ربما يغير من طباعهم ويهذب من أخلاقهم ويبعدهم عن اساءة معاملتى وكنت أظن ان ذلك يكون لهم تسلية لا تحلية وتذكير لا تبصير وانشاد لا ارشاد وتحذير لا تنفير وتبشير بحسن عاقبة المصير وأخبار عن أخيار واقرار بفعل أحرار وخوف من استرسال ذوى الاقلام فى الكتابة والكلام بظواهر لا يعلمون حقائقها ووقائع

لا يدركون مواقعها اذ لا يدرى ما حلّ الا بصير ولا ينبئك مثل خبير واليك النوادر التي كنت أسردها لهم مع عدم علمي بما انطوى عليه ضميرهم مما سأبينه لك بعد :

﴿ النادرة الاولى ﴾ ـ سبق أن اتهم ضابط عسكرى من العرابيين بسرقة بندقية فطلب للمحاكمة ولما جاء يوم المرافعة كان فى حيرة عظيمة لا يعلم ما يجيب به امام القاضى واتفق ان رجلا كان متهماً بسرقة وزه وبُرّىء في المحكمة فالتقى به الضابط وقال له اخبرنى كيف بُرّئت وما البينة التى أقمتها على كونك بريئاً؟ قال: قلت للقاضى: انى ربيت هذه الوزه منذ كانت وزيزه وعندي شهود على ذلك فقال الضابط : كفى أيها الشهم الاكرم فان كل لبيب بالاشارة يفهم ثم توجه الى المحكمة من فوره وقد استبشر بارتفاع الجريمة عنه وتبرئة ساحته ووقف بين يدي القاضي مطمئن البال وبعد ماقرئت عليه أوراق الدعوى قال له القاضى: ماذا تقول فى الدفاع عن نفسك؟ وهل عندك بينة على براءة ساحتك ؟ فقال : نعم يا مولاى فانى ربيت هذه البندقية مذ كانت طبنجه وعندى شهود على ذلك فقال القاضي : انظر يا هذا ماذا تقول ؟ فقال انصف يا مولاي فان فلاناً برأ نفسه بانه ربى الوزه مذ كانت وزيزه وأنا أبرىء نفسي بأني ربيت البندقيه مذ كانت طبنجه فقال القاضي: ان الوزه طاروح قال الضابط: والبندقيه بروحين فضحك القاضي وسائر من حضر وحكموا عليه بما استحق من العقاب

﴿ النادرة الثانية ﴾ ـ دخل ضابط عسكرى من العرابيين لوكندة اكل وطلب صحناً من الشوربه فلما احضر له وجد فيه ذبابة

فغضب ودمدم وخبط بسيفه على الارض لذلك ثم دعا الخادم اليه فلما اتى قال له وامارات الكدر والغضب تلوح على عينيه وحاجبيه : اريد ان تخبرنى كيف قتلت هذه الذبابة هنا وانت غافل عن وقايتها والمجاهدة فى سلامتها من الاعدام فقال : اظن يا سيدى والمعذرة منك انه مضى عليها مدة كانت أسيرة فى احدى زوايا مكان ولم تذق طعاماً فلما وقعت على طبق الشوربة لم تصطبر ريثما يبرد بل التهمت منه مااستطاعت بشراهة فأدى ذلك الى التهاب حاد في امعائها اتصل بغشاء المعدة البريتونى واشتد عليها حتى قضت نحبها فى الحال. أوانها يا سيدي ابتلعت حبة أرز دون أن تمضغهاباسنانها فوقعت في بلعومها وسببت التهاباً امتد الى حنجرتها فضيق عليها التنفس وانتهى معها الامر بالغنغرينا فاخترقت المنية شبابها فهذا كل ما استطيع ان اخبرك به عن كيفية موت هذه الذبابة ووهبك الله من بعدها الصبر الجميل ومتعك وبنيك بالعمر الطويل . فقال الضابط : (أفّ) من ربى الذى جعلنى رجل حربي أرى القتلى في اكلي وشربى

(النادرة الثالثة) ـ كان ضابط عظيم من العرابيين صلب الرأي مستبداً بفكره ففي أحد الايام أخذ أركان حربه معه وخرج الى الصيد وكان الوقت برداً شديداً فقال أركان الحرب : ربما اصابنا المطر ومحل الصيد بعيد فان شئت فابق ذلك الى يوم آخر فاجابه الضابط العظيم : لا بد أن نتوجه الى الصيد ثم ركبا فرسيهما وأخذا سلاحهما وتوجها متوغلين بين الجبال والوديان والخيران فزاد الهواء وغامت السماء واظلم الجو فقال أركان الحرب : الاحسن أن نرجع يا باشا لان يومنا هذا ليس يوم صيد فاجاب الباشا : لا يجرى شيء

من ذلك وفيما هما سائران رأيا راعي معز على بعد فقال الباشا لاركان حربه : هيّا نسأل هذا الراعي عن الجوّ لان مثل هؤلاء الناس لهم دراية تامة في هذا العلم فلما قربا من الراعي سألاه : هل ينزل مطر في هذا اليوم ؟ فاجاب الراعي اذا كان ذيل المعزة مرتفعاً الى فوق لا ينزل مطر واذا كان نازلا الى تحت يكون المطر فقال الباشا لاركان حربه : أرأيت أيها المهندس ان الرعاة لهم دراية فى هذا الفن ؟ فسكت أركان الحرب وبينما هما سائران انفتحت طاقات السماء وابتدأ المطر والرعد ونزول الثلج فضاق صدر الباشا وقال لاركان حربه كيف تقول؟ فأجاب : ما دام الرئيس راعياً والبوصلة ذيل معزة فما أقرب السفينة الى النجاة فخجل الباشا وعرف انه اخطأ اولا في عدم اتباع اشارة أركان حربه الغزير المعلومات المعروف قدره عند جميع الطبقات

(النادرة الرابعة) ـ دخل أحد ضباط أركان حرب على ناظر جهادية عسكري من العرابيين فى سطوته وقال : يا مولاى انا مظلوم قال له : وما سبب ظلمك ؟ اجابه لان لي ستة شهور ماأخذت ماهيتي وأنا فى تعب ونصب زائد واحتياج كلي فقال له الناظر : أمر غريب تقول انك تعبان ومحتاج مع انني أرى على وجهك انك سمين ملظلظ مورّد ولوائح الانشراح ظاهرة عليك فاجابه ان هذا الذي تنظره ليس وجهي بل هو وجه جاري قال وكيف ذلك ؟ اجابه لانني من منذ ستة شهور استلف دراهم منه لآكل واشرب فضحك أحد الحاضرين من هذا الجواب الذي لم يرق فى عيني الناظر وما زال هذا الحاضر يستعطف سعادته حتي سمح بصرف المبلغ الى الضابط

(النادرة الخامسة) ـ اراد ضابط عظيم فخيم من العرابيين أن يمازح الشاعر المشهور عبدالله نديم فعمل له قصيدة يمدحه فيها مدحاً عظيما وأمر بأن يؤتى به اليه فلما مثل بين يديه قال له من العدل والانصاف أن اكافئك على جودة قريحتك ونشاطك وفطنتك فاقبل منى هذين البيتين اللذين كتبتهما بيدي فتناول عبدالله نديم الورقة وقرأ البيتين المكتوبين عليها فاذا بهما بيتان من الشعر غاية فى البساطة والركاكة تكلف الباشا فى كتابتهما استخفافاً به وتهكماً عليه فكتم ما فهم فى قلبه وتمايل يميناً وشمالا فظهر تعجبه وعجبه من البيتين وفرط عشقه لهما ثم وضع يده فى جيبه واخرج قرشين من النيكل وقدمهما الى الباشا العظيم الفخيم وقال له كنت اتمنى يا سعادة الباشا لو كان بيدي اكثر من ذلك لاكافئك على هذين البيتين الجديرين بان يكتبا بالتبر بدل الحبر ولكن أبت المقادير الا أن لا يكون معى غير هذين القرشين فاعجب الباشا بخبثه ودهائه ومكره وذكائه وأمر له بغدوة عظيمة معه وخرج يقول :

عملوا الشعر بجهل وهم لا يعرفونه
ان تعجبنّ لشيء فاعجب لمن يدّعونه

(النادرة السادسة) ـ نظم أحد ضباط الجيش العرابيين قصيدة ليقدمها الى ناظر الجهادية وبعد اجهاد الفكرة أتم نظمها ولكنه أحب قبل تقديمها أن يعرضها على من له اليد الطولى فى النظم فجاء بها الى الاستاذ عبدالله نديم طالباً منه أن يعطي رأيه فيها فتناولها وطالعها فرآها هذراً وكلاماً فارغاً ولكنه أراد أن يمازح الضابط فالتفت اليه قائلا : ان هذه القصيدة غاية فى البلاغة ولكن ينقصها

اربع كلمات فقط فقال تكرم باضافتها لكي لا يبقى عليها انتقاد فأخذ قلما وكتب تحت عنوانها الذي هو : (قصيدة فريدة لسعادة ناظر الجهادية) هذه العبارة : « لكي يعملها حجاباً ويضعه تحت ابطه » وطوى القصيدة وناوله اياها فأخذها شاكراً وأسرع الى تقديمها بدون أن يفتحها فاخذها الناظر وقال لعبدالله نديم امام صاحبها : انك القائل :

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل في تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب ظنوه منك وساوساً تهذى بها

***

هـــذا ما سردته من النوادر لحضرة زميلي فى التفتيش رفاعي افندي اسماعيل ولاخوانه ظاناً أن هذه المسامرات تسره ويبعد بها عني ضرره وشره فاذا حالى معه كحال من قال :

تخذتك صاحباً وظننت انى بك المحفوظ من شر الطواري
فلما قمت من وسن التمـــنى رأيتك واثبـــاً بالشر ضارى

فلقد تآمر عليّ سراً هو ومحمد بك لبيب المهندس المشهور (بأبى شعره) وعبد الوهاب بك زكي المشهور (بأبى الذهب) مرة و (حيوان دارون) مرة أخرى . وهؤلاء الثلاثة من أهل الثروة الكبيرة التي لا اعلم طريقاً لا كتسابها فقد كان أحدهم رفاعي المذكور يرتدى كل شهر بدلة جديدة من أخمص قدمه الى قمة رأسه فضلا عما كان يحلى به من الخواتم والسلاسل والساعات والازرار ومشبك الرقبة المرصعة كلها بأنواع الجواهر الثمينة والسبح وعلب الدخان والعصى والافلام الذهبية وو.. الخ مما جعلني فى حيرة زائدة حيث

كنت في المدارس مع اولاد باشوات مصر الامراء الاغنياء مثل مرعشلي وكجك ونيازى وطلعت وشاهين وشرين ومظلوم وصفر و و . . الخ زيادة عن حضرات البرنسات احمد كمال باشا ومحمود حمدى باشا وراشد باشا و و . . الخ ولم أر أحدهم بهذه الصفة فى الملبس والزينة

هذا ولم اكن أدرى السبب في اشتداد عداوته التى أدت الى تآمره عليّ هو وزملاؤه ولكن عرفت أخيراً أن له صلة بطغمة العرابيين جعلته يتنغص من ذكر مساويهم وتعداد مثالبهم ومخازيهم اذ كان ابوه فراشاً ببيت أحد كبار العرابيين وسبحان المعز المذل الذى يغير الحال ولا يلحقه تغير أو انتقال الذى اذا أمهل الظالم فلا يهمله بل يمثره بظلمه ويجندله فبقدر ما رأى رفاعى المذكور من السرور والحبور نال أضعافه من الشدائد والشرور فقد ركن الى معاشرة المومسات وارتكاب الموبقات وعكف على شرب الخمور مع بنات الهوى والفجور الى أن أصيب بالامراض وانقضت عليه أشد انقضاض وابتلى بذهول فى عقله أنزله من عالي حوله وطوله الى مستقر طينته الأولى وأصله وختم الدهر معه دوره العجيب بادخاله فراشاً فى مستشفى المجاذيب وصار كل عاقل يردّد قول القائل فى أمثال هؤلاء الأسافل :

لو شاء كل دنئ أصل خامل ... يغدو نبيهاً فوق كل نبيه
لغدا ولكن يختشي من قولهم ... ذا المرء غير مشابه لأبيه

وقول العوّام في هذا المقام :

(خذ فرع بأيدك من أصل حنضل وازرع الفرع فى أرض عنبر واسقيه بماء بان وعقد جلاب وحلّ سكر حتي اذا ما بدا لك وحل

فصله واحسنّ زرعه ذوقه تراه مر والسبب فيه ما يرجع الفرع الا لاصله)

﴿ عظة موقظة لما حل وحصل ﴾

ناشدتك الله أيها المطالع أن لا تندهش من هؤلاء الناس الذين هم من مغروري اليازرجه والطوالع حيث قادتهم نفوسهم التى تميل داعماً الى الحدس ولا يقين لديها ولا حزم وازع بين يديها فسل البلاد وقتئذ عن آلامها وسل الأبناء عن شديد أحكامها ولا يهولنك ان أصبحت بمثل هؤلاء البلاد غارقة فى الدماء كانها أوان فاضت بالماء وكم تهتكت أعراض واحدقت أغراض وألمّت أمراض فما نفعت أيانع الرياض ولا سرت حكمة هياض هاض ونجم عن ذلك الانخذال السريع والانحدار المريع وسجن الحماه وفرّ الجناه وغدا الاعيان فى أسر الهوان وامتلأت السجون بالامراء وأهل الشجون والحق ان الدهشة كانت محكمة ولم يجد المصريون حسن تدبير من ذى مرحمة وكانوا اذا سئل الواحد عن ذنبه برأ نفسه وأوقع غيره وامسك بقلبه من الفتنة العامة والصاخة الطامة التي بنى عليها النفى والاستعباد وحرمان الآباء من الاولاد وهل تخفف هذه المحزنات ويذهب بتلك المؤلمات من البداية الى النهاية تميز أهل الرشاد والهداية من أهل الضلال والغواية اذ ان هؤلاء العرابيين كانوا السبب في ان الجديد قد رث والسمين ضعف وغث والحق عندهم نام في حجر العدم والباطل وطيء الرؤوس بالقدم والشريف اتضع والوضيع ارتفع والعالم ضاع مجده والجاهل ظهر سعده والقبيح عنون بالمسيح والابكم دعي بالفصيح والدين تقهقر بعد الاقدام والحمية شارفت الاعدام

والشرع أقفلت على خزائنه الكتب والبدعة قامت تنادي على الكشب والزندقة زاحمت الايمان والسفسطة شوهت الاذهان والاجنبي مدّ رجله فى الصدور واستهال القادر بالمغرور حتي صرت أبكي كالثكلى لموت النافع وأتضرر كالحبلى في آخر التاسع حيث وجدت منهم مساعدة المتعوس ليتحصلوا على ما فى النفوس بلغوا من الجهل وسخافة العقل انهم كانوا يتوهمون ان تقوس الغصن اشارة الى سلامة الحصن وزمجرة الهواء والرعود نداء من الله بالنصر الموعود واشتباك النجوم أمر فى باطن الغيب مقسوم ينخدعون بالاحلام ليرفعوا الاعلام ويكبرون للرؤيا ويهللون فى اللقيا حتي خلطوا بعذب الايمان أجاجة واعتقدوا النصر فى بيضة دجاجة فهم الذين تربوا فى مهد الخسة ونما فرعهم في شجرة لم يطب غرس أصلها بل ارتوت بماء اللؤم فاصبحت لا تثمر الا الدناءة وسوء الخلق ووالله مثلهم لجدير بان تفوق اليهم سهام التأنيب الصائبة وترسل اليهم نبال الملام الثاقبة نترك هؤلاء وأعمالهم السيئة وراءنا ظهرياً ونرجع بالقارئ الى ماحصل لى بعد ذلك فأقول : ان رجال الاشغال المهندسين العظام وهم : احمد بك السبكي وابراهيم بك سالم وسيد احمد بك خليل واحمد بك ناصر وحسن بك فريد أجمعوا رأيهم وقرروا تعييني مهندساً لمركز شرق اطفيح الذى هو أصعب مركز في رى أطيانه العالية عن منسوب النيل فى مدة التحاريق والغرق وقد مكثت مدة ثلاثة شهور قمت فيها برى جميع أطيان هذا المركز من ابتداء فم الخليج لغاية محطة الواسطه بطريق متقنة دقيقة بحيث عم المأكل هذه الجهة بنظام واف واصبح جميع الاهالى مسرورين وفى بقائي لديهم داعاً راغبين

ولذلك كتبوا شكر الله فضلهم جملة التماسات عليها أختام جميع العمد والاعيان وأرباب الاطيان ببقائى بينهم وعدم الانتقال عنهم ولديّ من هذه العرائض المختومة واحدة جعلتها ميراثاً لاولادى من بعدي وقد كان فى هذا المركز كثير من أدباء مصر وفضلائها واكابر علمائها مثل المرحوم الاستاذ الشيخ على الليثى والمغفور له عبدالله فكري باشا ومحمود باشا فهمي ولقد أهدى الىّ وقتئذ الاستاذ الليثى هذين البيتين:

سقى الله أرضاً نور وجهك شمسها ... وحيّا سماء انت فى أفقها بدر
وروّى بلاداً جود كفك غيثها ... ففى كل قُطر من ندالك بها قطر
قدم ياهلال الشرق فى أفق العلا ... ليروى بهاتيك المواهب ذا القُطر

وبعد انتقالى من مركز اطفيح صار تعيينى بتفتيش عموم رى قبلي تحت ادارة الميجر براون الذى أصله ضابط أركان حرب بالجيش الانكليزى وقد عاملنى معاملة الضابط للضابط بما ارتاح له ضميرى وكدت أطير فرحاً غير أني وجدت بهذا التفتيش شخصاً مترجماً له ثروة تبلغ ٩٠٫٠٠٠ تسعين الف جنيه جمعها بأعمال شيطانية يعجز ادراكها التصور ولم يكن له وارث وكان يدعى يوسف بك مقطوره ولما توفي رحمه الله قلت :

قالوا قضى هذا وواروه الثرى ... فأجبتهم وانا الخبـــير بذاته
ربّوا النقود على بلاط ضريحه ... وأنا الضمين لكم بردّ حيـاته

ومن دواعي الاسف أيضاً أنه كان بذلك التفتيش كاتب عربى يفوق فى ثروته رفاعي ولبيب وعبد الوهاب زكي ومقطوره السابق ذكر أحوالهم وصفاتهم ويمتاز عنهم بالبخل والشح والتظاهر بالتصوف والصوم والصلاة والعبادة وقد ناديته مراراً وتكراراً بمثل :

توسع بمال الله في عرض داره فانك ما أنفقت فالله مخلف
ولا تجمعن المال بعدك وارث وانت عليك الوزر فيما تخلف

(غيره)

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذى صنع الفقر

(غيره)

مال البخيل أسير تحت خاتمه وليس يطلق الا يوم مأتمه

(غيره)

شرابك مختوم وخبزك لا يرى وطعمك بين الفرقدين معلق
نديمك عطشان وضيفك جائع وكلبك هرار وبابك مغلق

وكأن مثل هذا البخيل الشحيح له صلة سيئة بتلك القبيلة التى جمعت أخسّ رذيلة وهى التي قيل فيها :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار
فضيقت فرجها بخلا ببولتها فلا تبول لهم الا بمقدار

ألا قبح الله البخل ومن اتصف به واتصل بسببه وابتلى بداء كلبه وهل رأيت بخيلا من البخلاء يصل به البخل الى ما وصل اليه بطل روايتنا هذه الذى أذكر له من النوادر المضحكة المبكية انه ذات مرة أصيب باحتقان الدم فى رأسه (ضربة الشمس) وظهر عليه القلق والخوف فاسرعت بدعوة طبيب اليه وحين حضر طمأن خاطره وهوّن عليه الامر وعرّفه أنه سيأخذ له دماً بواسطة الكأس (القرن) فلما عرف صاحبنا أن الامر كذلك عزّ عليه أن يباشره الطبيب ويتورط فى دفع أجره فما كان منه الا أن عمل جهده واحتال على صرف الطبيب بحيل شيطانية لا يلجأ اليها الا ذو الخصال الدنية

وعمد بعد ذلك الى احضار حلاق (مزين) فأخذ له الدم . ومن العجيب ان الطبيب كان أشار عليه بأخذ قرنين من جانبي الرأس ولكن صاحبنا أشار على الحلاق بأخذ قرن واحد كبير من وسط الرأس ليقوم مقام الاثنين فيستحق قرشاً واحداً لا قرشين

ومن نوادره أنه اذا أقبلت أيام الربيع وتوفر نبات البرسيم وصادف بقاء شيء عنده من العليق الجاف (الدريس) فبدلا من بواره لديه وتورطه فى شراء برسيم لحماره وتقديمه اليه يضع نظارة خضراء على عينيه ليغتر الحمار ويشتبه الامر عليه فيظن العليق برسيما ولا يخسر صاحبه فى اكله مليما

ومن نوادره أنه وقت شربه سيجارة من الدخان يحضر زجاجة يدفع اليها الدخان المتصاعد من الفم حتى اذا تجمع فيها استنشقه وقت حاجته الى التكيّف فيوفر عليه ثمن الدخان الجديد

ومنها أنه اذا ذبح فرّوجاً او دجاجة او غيرهما من الطيور لا يسمح برمي ارجلها بل يطبخها كما تطبخ اكارع الغنم والبقر واذا سألته عن فعله هذا أجابك بأن له فائدة عظيمة صحية

ولهذا كنت دائماً انتهز الفرصة فى نصحه وارشاده وبيان أن هذه الخصال الذميمة لا تفيد بل تضر صاحبها وتحرمه نعمة التمتع بالمال ان لم يكن فى الحال ففي الاستقبال وكنت كثيراً ما اذكره بأبيات قيلت فى تأنيب البخلاء أمثاله علها تكون مغيّرة سيء أحواله فما كان ذلك ليزيده الا عتواً وضلالا وامعاناً فى الشحّ الذي يجعل صاحبه اسوأ البرية حالا فما كنت انشده ونحن سائرون ليلا قولى :

لا مرحباً بالليل ان لم يأتنى فى طيه ضيف عزيز نازل
والصبح ان وافى فلا سهلا به ان كان عندى فيه ضيف راحل

﴿ ملحوظة عجيبة واتفاقية غريبة ﴾

قف معى ايها الناظر هنيهة والفت نظرك الى هذا الاتفاق الغريب والفصل العجيب فلعلك تدرك الى الآن ما صادفنى من شياطين الانس السبعة الذين اولهم خليل افندى كامل وآخرهم هذا البخيل السافل ولعلك تقول معى : انها عجيبة من عجائب الزمان الذي جعل لعدد ٧ عظيم شان يلفت نظر كل انسان

فكأن هؤلاء الشياطين السبعة جعلوا المدة التى مكثتها معهم (كالسبع سنين) التى مكثها سيدنا يوسف الصديق على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى السجن

أو كأنهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع التي سلطها الله تعالى على فرعون وقومه واستمر كل منها (سبعة ايام)

وناهيك بان عدد كل من السموات والارضين وأيام الاسبوع والوان الطيف والكواكب السيارة وحروف لفظ (القرآن) المجيد وكلمات (لا اله الا الله محمد رسول الله) وآيات الفاتحة ام الكتاب والطواف بالبيت ورمى الجمرات بالحصا ـ عدد كل ذلك انما هو (سبعة)

ولا تنس ذلك المنام الذى رآه ملك مصر الريان بن الوليد المتضمن ان سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات مع ما فسره سيدنا يوسف الصديق عليه السلام من أنهم يأتي عليهم سبع سنين شديدة قاسية حيث تقحل الارض

وتجف الضروع ويقل الخير ويضيق العيش ويهول الكرب ثم تنقضي هذه المدة ويعقبها الله بمدة خير وهناء وسعة ورخاء عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ولقد حقق الله لى ايضاً الخير بعد ذلك وخفف عنى ما كنت اقاسى من ثقل اولئك فقد كتب موظف كبير من اعاظم موظفى الحكومة المصرية المشهورين الى ولاة الامر شهادة بأني أديت للحكومة خدمات جليلة بدقة وصدق ونزاهة وانى أخلصت في اعمالى كلها اخلاصاً تاماً وانى بسبب ذلك وفرت لها مبالغ جسيمة باهظة لم تكن لتتوفر بدوني فى قضايا هامة كانت مرفوعة ضد الحكومة من أناس كبار كانوا موظفين بها مع اني لم يكن لى صلة بهذا الموظف الكبير الذى شهد بذلك غير انه وقف على اعمالى واشغالى التي اخلصت فيها كل الاخلاص وتحريت فيها سبيل الامانة والاستقامة متباعداً عن كل ما يشين وأبت نفسي أن تتدنس بما يتدنس به كثير من الاشخاص من مخالفة المروءة والنخوة ومدّ اليد للرشوة كالسبعة أشخاص المذكورين فاعجب ذلك الموظف الكبير بهذا الاخلاص والاباء كل الاعجاب وانساقت نفسه الشريفة الى أن حرر هذا الكتاب تحقيقاً للانصاف وارشاداً لذوي الالباب ومن محاسن الاتفاق أن جمع اسمه ووظيفته عدد ٧ الذى نحن بصدده فهو جناب المسيو (روكا سيرا مستشار قضايا عموم مجلس النظار)

ولقد مكثت فى ذلك التفتيش سبع سنين ايضاً عملت فيها رسومات وتصميمات ومقايسات قناطر وبرابخ وسحارات ومصارف وكبارى مديريات جرجا وأسيوط وقنا واسنا وأعمال تحويل ترعة

حياض مديريات اسيوط والمنيا وبنى سويف والجيزه من نيلي الى صيفى التى استلمها منى صاحب المعالى الوزير الخطير اسماعيل باشا سرى ناظر الاشغال ولقد كان معاليه أول رجل رقي الى الوظائف العالية فى الحكومة المصرية فى مدة الاحتلال ولذلك حصل لى فرح كبير بهذا الرقى خفف عنى بعض ما قاسيته من شياطين الانس السبعة المتقدمين وقد أجمعنا نحن المهندسين المصريين على تقديم تهنئة لمعالى هذا الوزير برقيه وانابنى اخوانى عنهم فى عمل هذه التهنئة التي قالت عنها جريدة المقطم الغراء :

أتانا من حضرة المهندس البارع (قاسم هلالى) تهنئة قد استهلها بأبيات رقيقة

لسرّي التهانى من أهالى بلادنا لما ناله من منصب باسمه سما
وخالص مدح منهم والدعا بأن يدوم لهم شهما جليلا مفخما
فهذا الذي بالفضل كل مهندس يقر له لا زال فيهم مقدما
ولا زال بحراً للمعارف زاخراً يعم الورى نفعاً ويروى من الظما

الى أن يقول : قد بلغت النفس الامانى وآن آن التهانى وكنا نود أن نلهم فصاحة حسان وبلاغة سحبان حتى نقوم ببراعة تحبيرهما وعبارة تحريرهما بما وجب علينا وعلى كل مصري بل كل رجل يهمه اعطاء القوس لباريها والمناصب لمستحقيها من مراسم الثناء وجميل الشكر وجليل الثناء لمقامك السامى ايها المولى الجليل والرجل النزيه النبيل الذي يفتخر بوجود مثله الوطن وتترقى بسديد رأيه وراجح عقله وصائب فكره أولوا الفطن ولكن العجز عن اداء ما يليق بك معلوم وما انت عليه من الكرم مفهوم فاجعل قصورنا فى تأدية

التهاني لك هناء وعد تقصيرنا فى الثناء عليك ثناء فانت المهندس الحر والعذر عنده مقبول وكم لاخوة عاجزين عن الشكر لهم عند اخيهم قبول حقق الله لنا فيكم المأمول

وبينما نحن نلهج بمدحه والثناء عليه ونقدم التهاني بين يديه ونعد مدته من سنى الخير والرخاء والاسعاد اذا بنا نرجع الى ما يشبه السنوات السبع الشداد واذ ذاك تغير صفونا وتكدرت خواطرنا من موقفه بمجلس الامة بعد ترقيه الى منصب الوزارة موقفاً لم نكن ننتظره اذ صرح فيه بما يؤلم العواطف ويحرج الصدور مجاهراً بتلك الكلمة التي تحط بقدر مصر وأهلها فى عيون الغربيين وهي خلو البلاد من اكفاء المهندسين واليه ما كتبته اذ ذاك تحت عنوان :

﴿ ما العمل خاب الأمل ﴾

(**سيدى الوزير المثلث**) سلاماً واحتراماً . أما بعد فانى مع كافة اخواني المهندسين حمدنا الله تعالى على نعمته التى اتاحها لسعادتكم حيث هيأ لكم اسباب الترقي ومنحكم رتبة الوزارة المثلثة التي انتم اهلها وخير اهلها فكنا ننتظر منكم ان يتاح لنا فى عصركم الزاهر وفي ظل وزارتكم السعيدة أن نحصل على حقوقنا التى اكتسبناها بمجهوداتنا وبكفاءتنا الذاتية ولم نكن نتوقع ان تغمط فى تلك الحقوق او أن تساء سمعتنا وتجرح عواطفنا وتثلم كفاءتنا بلسان وزيرمنا رجونا الله به الحصول على شرف الترقي والوصول الى الحقوق المهضومة

سيدى الوزير . منذ رفعكم الله على منصة الوزارة لم يصل الينا خبر كنا ننتظره منكم ولم نزل قبل موقفكم فى دار الشورى ننتظر

ذلك الخبر فلما نشرت الجرائد على اختلاف مقاصدها ومشاربها ومذاهبها ولغاتها وغاياتها خطابكم المشهور جواباً للسائلين من نواب الامة عن اسباب حرمان اخوانكم المهندسين المصريين عن مباشرة الاعمال الهندسية والتصميمات العمرانية حتى لايحدث ارتباك فى المالية ولا خلل فى المبانى القائمة على غير اساسات العلم والخبرة الصحيح. فأجبتم بان المهندس المصري

غير كفء للقيام بمثل هذه الاعمال

فكأنكم قصدتم بذلك تبرير اهل الأثرة وتصويب خطائهم وتقديس اعمالهم التي قامت الادلة المحسوسة والبراهين الملموسة على فسادها واختلال واعتلال اركان البناء الذى شادته معارفهم السطحية التي ربما اكتسبوها من بلادهم لبلادهم فلا تفيدنا ولا تنفع في بلادنا لان الغرب غير الشرق والجو هناك يختلف عن هنا وطبيعة الارض تباين طبيعتها هنا

سيدى الوزير

قرأنا ذلك الخطاب فدهشنا وقلنا لعل الوزير تعمد اختبار عواطفنا واستثارة شجوننا لنجد نوراء احترام حقوقنا وتوطيد شؤوننا فحمدنا سريرة الوزير بقدر استيائنا من ظاهر كلامه واحتسابه الظن بقدر ما اساءنا بخطابه الذي اهتاج جروحنا وادمى قلوبنا وزادنا أسى على أسانا وحسرة على جوانا فاننا كما يعلم الجمهور مقيدون حيث اتى المسيطرون بشبان قليلي العلم والدراية بالهندسة والرياضة بأنواعها مما هو معلوم وقد أحلوهم محلنا ورفعوا مقامهم فوقنا

وقدسوهم تقديساً وتركونا فى الاخريات ونحن الاعلون علماً وكفاءة والاجدرون بكل فضل ورعاية خصوصاً من مثل اخينا العارف بأقدارنا الملم بكفاءتنا فانه منا ونحن منه وهو خدننا في دار العلم ومعاهد التربية وقد شمخت انوفنا أن اصبح عميدنا وعاهل قومنا ولكنه بتخطيه شعورنا وتناسيه شعائرنا وتغاضيه عن أقدارنا وغمطه حقوقنا قد استحق منا أن نحتج عليه باسم العلم والوطن والقومية والنشأة بل بلسان الارض التي اقلتنا معه والسماء التي اظلتنا والنيل الذى أروانا والنبات الذى غذانا والهواء الذى أحيانا والحقوق التى جمعتنا بل بلسان كل عاطفة من عواطف النبل والشرف نحتج وننادى بان تصريحات الوزير بثلم كفاءتنا ومس كرامتنا واساءة لسانه الى قلوبنا كل ذلك استوجب منا أن نأسوا ونحزن ونتأوه ونعض بنان الندم على ما صدر منه وهو الحريص على الكرامة لطيب عنصره وكرم محتده واخلاص طويته فيما نعتقد ولا ندرى سر عدوله الاخير الى اثارة هذا العدوان بين رجال الامة وعظمائها ووزرائها وأمرائها ومديرى ومحرري جرائدها المشغولين بأحوال البلاد لدفع كراهة توالى أى فساد بالعلم والمال ولم نكن نستحق شيئاً من ذلك بل فوجئنا به ونحن غافلون وبوغتنا بجوارح لسانه ونحن له مبجلون ومعظمون وبه مفتخرون فماذا جنيناحتى سولت لهنفسه الجناية علينا وماذا فعلنا معه حتى نستحق منه أن يكون مع الدخيل علينا وعوناً للمسيطر ضدنا ؟ ألم يكفنا ما نحن فيهمن تأخير واستبعاد؟ بحالة تضحك الثكلى وتبكي العروس حيث أصبحنا والشبان علينا رؤوس يتصرفون في الامور تصرف الجاهلين والذين يفعلون

متغطرسين واذا قلنا لهم : لماذا هذا ؟ قالوا : انما نحن المصلحون فلا تعارضوا ولا تلاحظوا على تطرفنا فى تصرفنا فنحن أدرى بالواجب منكم وأحرى بالقوامة عليكم فقليلنا كثير وصحيحكم كسير وصالحكم طالح وزعيمكم غير ناجح فلا تكونوا الا حيث نأمركم ولا تفعلوا بقوانين العلم والعمل الفنى الا حيث نرشدكم

فبالله عليك أيها الوزير ماذا يصنع المهندس المصرى؟ وهو مكبل بالقيود الوئيدة ومكتف بالاغلال الشديدة لا يستطيع احتجاجاً على خاطئ ولا نصحاً لمتطرف متواطئ فماذا كان ؟ حتى وقفتم هذا الموقف وارهفتم أسنة لسانكم فى ذلك المجتمع النيابي الشورى الذى يمثل صوت الامة وحقوق الشعب وصوالح البلاد أما كان الاجدر بكم أن تقولوا كلمة ترفع من مقام اخوانكم وتقرّ على قدرهم وتساعد على دوام الثقة بكم ؟ فان المصريين كافة كانوا الى يوم هذا الموقف المشهور يجلونكم ويعتقدون انكم أحرص اخوانكم الوزراء على حقوق أمتكم وشعائر طائفتكم وواجب صناعتكم ولكن بعد ذلك الموقف سالت شؤون العيون وتدفقت أنهار الدماء من محاجرها أسى وحسرة ولوعة على أن ربما غيركم المنصب وصبغكم بصبغة القوم الذين أصبحوا بسبب مجاراتهم للمسيطرين التزموا اخاديد البيوت ومقاعد القصور المشترك واصبحوا كأن لم يكونوا بالامس وكأن لم يكونوا بين الاحياء المعروفين والاخلاء المشهورين فاربأ بنفسك ايها الوزير الحكيم واتق الله فى قومك وكن كما يريد الشرف ويطلبه الولاء للوطن والحق الواجب وخير لمثلك أن يختم حياته بما يرفع ذكره ويعلى قدره ويجعله

معدوداً من الاخيار الحريصين على الشرف الابرار ولا يمنعك مانع من أن تكون من نابغي الاحرار

هذا ما اردت أن أرفعه الى مقامك الخطير أيها الوزير الكبير والمهندس الشهير لتكون على بينة من شعور الذين آذيتهم وأسأت اليهم من غير حق في موقف رسمي كان الاحرى بك والاحزم لك أن ترفع صوتك بالحق لمصلحتهم التي هي مصلحتك ومصلحة البلاد والامة بأسرها فان على الافراد تقوم الامم وبالافراد تنهض الشعوب وتسمو الهمم وتعرف طريق الفضيلة والشرف وها أنا بلسان الصادقين اجمعين انتظر أن ترفع مظان السوء بك فاننا حريصون على مقامك بيننا ومكانتك فينا والله يتولى حفظك وهو سبحانه وتعالى خير قدير على أن يسدد خطواتك ويلهمك الرشد في اعمالك والصواب في أقوالك

سيدي الوزير . ما بالك تتناسى حقوق اخوانك المهندسين المصريين الاحياء والاموات الذين منهم محمد بك فهمي ومحمد بك شكرى وحسن بك واصف وعبدالله بك حسيب ومحمد بك مأمون واحمد افندي شفيق واحمد افندى رستم وعيسي افندى فهمي وابو العلا افندى زكي ومحمد افندي صابر الذين خدموا بلادهم وقاسوا الاهوال والمشقات في أشغال تصميمات ورسومات ومقايسات وميزانيات ورسم مسطحات وخرط الخزانات ست سنوات كاملات وذهبت نفوسهم حسرة واهرقت أفئدتهم أسى لاخذ أعمالهم من أيديهم واجحاف حقوقهم واعطائها لغيرهم بعد أن خدموا وطنهم بما هو

مشاهد اثره للآن ويذكرنا بقلوب أولئك البررة العامرة بحب وطنهم والتفانى في خدمته

واذاً لا عجب أن آثر هؤلاء الابطال الموت على ذي الحياة وفاضت أرواحهم الزكية بالسكتة القلبية والمخية

فى الذاهبين الاولـ ـين الدارسين لنا بصائر
لمـــا رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضي الاصاغر والاكابر
أيقنت أني لا محـــا لة حيث صار القوم صائر

سيدى الوزير . مات اخوانكم المذكورون مما حصل لهم من الاهانة والازدراء ونكران كفاءتهم المشهورة من لسان الغير المسيطر ولا حول ولا قوة الا بالله

سيدي الوزير . أيجوز بعد ذلك أن يقال : ان المهندسين المصريين ليس فيهم من يستطيع القيام باعمال التصميمات الكبرى والمبانى الخطيرة ؟

ولنترك ما فات وأعمال الاموات بما هو آت

سيدى الوزير . ما قولكم دام فضلكم فى ذلك البناء الشامخ الذي أجمع علماء أوروبا الرياضيون على انه خير بناء أقيم على أساس الخبرة والعلم والصناعة من متانة وقوة ومقاومة ونقطارتكاز كانه استحكام أو طابية الغام أو متراس هجوم والتحام ألا وهو بناء سراي الحقانية المختلطة باسكندريه ذات العوارض الجوية ورخاوة ورطوبة طبقات أرضها السفلية وتشبعها بالاملاح الكلسية والجيرية القابلة للذوبان

من مياه أمطارها وابخرة جوها ومع ذلك لم يكن لها مهندس مصري غيري (قاسم هلالي) اذ قمت بأعمال الرسومات والمقايسات والملاحظات في مون وخلطها واحجار ونحتها ووضعها حسب نموها فى طبقاتها وقد مكثت فى هذا العمل سنتين حتى جاءت هذه السراي محكمة لايشوبها نقص ولا يعتورها مدى الزمان خلل وقد مضت على اقامة هذا البناء العظيم حوالى أيام وشهور وأعوام ولم يحدث به اقل اضطراب او خلل او طروء نقص عن اللازم لما وضعت له وكيف بعد ذلك ياسعادة الوزير أن تنزع مناجميع الصفات والمزايا التي منحها الله ايانا ؟ وهل لا يكون بناء سراي الحقانية باسكندرية مساوياً لبناء الانتيكخانة والكتبخانة والمدرسة السعيدية والقشلاقات العسكرية وجميع المباني الاميرية الجديدة المختلة المعتلة التي استنفذت أموال الامة بواسطة الغير المصرى فى حين انه ما انفق على الحقانية الا القليل الذي لا يقوم بسد ثلمة واحدة من جشع أولئك الذين أقاموا كل بناء بعد الحقانية واختل واعتل وتداعى واهتز وزلزلت به الارض وصرعته جوانح الجهل فسحقته وأما بناؤنا فلا زال شامخاً متيناً محكماً ينادى بكفاءة المصرى ومزاياه وتثبته من العلم والصناعة قبل الاقدام والوضع وبذل المال لاننا وطنيون نشعر بان المال يجبى من جباه ابنائنا وآبائنا ويعتصر من دماء اخواننا وذوي رحمنا الوطنيين فيؤلمنا ما يؤلمهم ويسيئنا تبديد أموالهم شذر مذر كما يفعل الاغبياء الغرباء عن الديار وعدا ذلك يجدون من مثلك تبريراً لتصرفاتهم ولا نجد نحن نصيراً يقدر أعمالنا وكفاءتنا حق قدرها وغير خاف على فطنتكم ان الاجانب تدر عليهم مصر ضرعها وتنعم جيوبهم بأموالها زيادة عن

الترقيات على جليل أعمالهم كأنهم أخذوا عهداً على مصرأنهم يضحون حياتهم فدية لها أما نحن أبناء البلاد المخلصين لها قلباً وقالباً فحظنا مقرون بحظها.

سيدى لوزير . ماالذي أحدثناه حتي آل أمرنا الى أن تمحي أسماؤنا وتسلب حقوقنا امام وزير منا يريد لنا .. كل . . . خير . . وهاأنا سأموت كاخواني المذكورين ولكن كتبت هذا تذكرة عسي الذكرى تنفع المؤمنين ومع كل ذلك فانى التمس لسعادة الوزير عذراً حيث إن أغلب الموجودين من رجال الهندسة هم من الذين كانوا قبلا قياسين بطرف المهندسين وقد تمرنوا بعض التمرين بدون أن يكون بيدهم شهادات دراسية تؤهلهم لمثل المراكز العالية ذات الرواتب العظيمة والالقاب السامية مع ان الطبيب لا يستخدم فى الحكومة الا اذا حاز الشهادة المدرسية وأما أولئك فتعيينهم لشيء لا يعلمه الا الله والراسخون في المحسوبية المصرية

(من غاب عنك أصله فدلائل نسبته فعله)

***

هؤلاء القياسون المذكورون الذين وجدوا بطريق المحسوبية فى الحكومة المصرية هم ساقطو المدارس لشيء لا يعلمه الا الله فاصبحوا بؤساء مشردين لا عمل لهم ولا وظيفة يشغلونها وتشغلهم فوجدوا من أمثالهم مطرودى الكتاتيب قبلا (أعنى باشكتاب النظارة) يد المساعدة فاخذوا بناصرهم وانتشلوهم من وهدتهم بعد أن كانوا بائسين مشتتين فى الازقة والشوارع فادخلوهم لدى المهندسين بصفة مساعدين

(بلطجيه) يقصدون الانتفاع بواسطتهم وجر المغانم من وراء أشغالهم فهم بذلك التشغيل ينتفعون وعلى مصلحة انفسهم اولا يعملون وربما اذا أفرطنا في حسن الظن بهم والعلم عند الله أرادوا بذلك حفظ لقب طالب او تلميذ من تشرد صاحبه والقاء حبله على غاربه وصيانته من أن يجتمع عليه بؤسان بؤس البطالة مع بؤس الجهالة خصوصاً وأن الفريقين يشتركان فى الصفات والالقاب فهؤلاء طريدو المدرسة وأولئك طريدو كتاب هؤلاء القياسون (البلطجيه) عملهم مع المهندسين كعمل الحلاقين (التمرجيه) مع الاطباء سواء بسواء

ولقد مرّ على مصر زمن طويل لم يسمع فيه أحد قبل الاحتلال بان حلاقاً حقيراً أصبح غنياً شهيراً أو طبيباً كبيراً الا رجلا أو اثنين وأنت الان اذا رجعت البصر ورددت الطرف فى الاموال المحفوظة فى البنوك والدوائر المالية لوجدت رجالا يعدّون بالمئات ذوي أموال طائلة تعدّ بالآلاف المؤلفة ولو بحثت فى أصل هؤلاء المثرين لوجدتهم من هذا القبيل الذي نحن بصدده

ولما كانت الخدمة الوطنية من أجل الحقوق الواجب على الانسان اداؤها وأهم الديون المتعين عليه وفاؤها بل إن خدمة الوطن من أعظم ما فرضته الطبيعة على الانسان ليقوم بخدمة أبناء جنسه ولو أفضى ذلك الى بذل نفيسه ونفسه تحتم على كل وطنيّ أن لا يدخر وسعاً ولا يألو جهداً فى امكانه لنفع بلاده واخوانه واذا كان الطير يحن الى أوكاره والوحش يدفع عن غاباته وقفاره فكم يجب على الانسان فى خدمة البلاد والاوطان والذب عن حياضها والسعى فيما يجلب الخير والرفاهية لها

ولما كان النصح مني لا يقوى على وزنه ميزان ولا يحيط بقدره حسبان ما دام الحق وجهتي والصدق غايتي والشرف خطتي لتنبيه الغافلين وايقاظ النائمين واهداء الغاوين وقيامي ازاء طائفة المهندسين مدافعاً عن حقوقها معرباً عن حاجاتها مؤملا أن تسمع الناس لقولي وتردّد صدى صوتي وتأخذ بالصائب من فكري وجب على أبناء طائفتي أن يشذّبوا شجرة مهنتهم ويقلّموا أظفار اصابعهم أعني أن يبعدوا عنهم كل دخيل فيهم ويقصوا كل دعيّ ليس منهم ويبقوا على شرف سمعة المهندسين وطهارة اسمهم الذي طالما دنسه أولئك الدخلاء الادعياء السفلاء بما يصدر كل يوم في حقهم من أحكام مجالس التأديب والمحاكم في المزالّ والعثرات التي يرتكبونها ويظن الجاهلون أنهم منا فيحكمون حكمهم القاسي على جميعنا بلا تمييز بين شريف ووضيع وأصيل ودعيّ. نعم يجب علينا أن نحافظ على شرفنا لان البلاد بذلك تطالبنا فانه اذا شرفت كل طائفة واستقامت أصبحت البلاد شريفة مهابة الجانب محترمة المقام كما أنها تضعف وتهان بهوان طوائفها وخسة اهلها وانحرافهم عن طريق خدمتها السوي بنزاهة واخلاص واستقامة . وما مثل هؤلاء الادنياء الذين يشوهون سمعة الطوائف بسفالتهم ودناءتهم وطمع نفوسهم في حطام الدنيا وقد غنتهم البلاد بخيراتها ثم يخونونها الا كمثل ذلك الاعرابي الذي وجد جرواً صغيراً من اجراء الذئاب فاخذته الشفقة عليه بان اوجده مع اولاد شاته فارضعتهم حتى اذا كبر وترعرع انقض على اولادها اولا ثم بقر بطنها ولم يرع جميلها وجميل صاحبها فاصبح يقول :

بقرت شويهتي وفجعت قلبي وانت لشاتنا ولد ربيب

غذيت بدرها وربيت فينا فمن أنبـاك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع فيهـا الاديب
دنيء الاصل لا يرجى لودّ ولو مشروبه اللبن الحليب

ومما يؤسف له أن هذا الداء منيت به البلاد من قديم الزمان على يد أمثال هؤلاء الادنياء الذين تسعدهم البلاد ويشقونها وترفع شأنهم ويضعونها وناهيك بأولئك الكثيرين الذين ابتسمت قبل مصر لهم فكشر لها عن انيابهم ورفعتهم الى ارفع المناصب بعد ان كانوا فى احقر المراتب وانتشلتهم من احقر المهن ثم قلبوا لها ظهر المجنّ فكان خرابها بواسطتهم وخذلانها على ايديهم اولئك هم عصابة العرابيين الذين اصلهم فى الجيش انفار عساكر وترقوا الى رتب باشوات وفرقاً واوآت كما هو معلوم مع لوم

نعم انا لا اعيب على احد فقره فالاصل في الدنيا الفقر ولا انعى على احد ضعة أصله والناس كلهم اولاد آدم وحواء في حالتي النشوء والارتقاء ولكنى أريد أن يضم الى الفقر ووضاعة النسب حلية العلم والادب حتى يكونا لسموّ الاعمال وباهر الافعال أقوى سبب فان نيل الشرف والترقي بدون العلوم والآداب لا يؤديان بصاحبهما الى ما يوده للبلاد ذوو الالباب ولهذا حث أولياء الامور على ممر الازمان والدهور على تعليم الاولاد وتثقيف أذهانهم وتحبيب العلوم والآداب اليهم لعلمهم بانهما السلم للارتقاء والسعادة ومعراج الفلاح والاستفادة ألا ترى الى قصة الحجاج الذى أصدر أمره الى رئيس شرطته بان يقبض على كل من وجده بالليل سكران ويضرب عنقه فبينما كان ذلك الرئيس ماراً ذات ليلة اذ عثر بثلاثة شبان يتمايلون فى الطريق من

آثار الشراب فأحاط بهم وقال : من أنتم حتى خالفتم أمر الامير ؟ فقال الاول :

أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مجذومها وهاشمها
تأتي اليه الرقاب صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله وقال : لعله من اقارب امير المؤمنين .

وقال الثاني :

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره وان نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً الى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال : لعله من أشراف العرب :

وقال الثالث :

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه منهما اذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فامسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب

ولما أصبح الصباح رفع أمرهم الى الامير وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام (مزين) والثاني ابن فوال والثالث ابن حائك فعجب الامير من فصاحتهم وقال لجلسائه : علموا أولادكم الأدب فوالله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم

هذا وبذلك يتضح لك حقيقة ما قدمته من أن (من غاب عنك أصله فدلائل نسبته فعله) . واذا أردت أن تعرف ما يجب أن تتجه اليه الاذهان وما ينبغي أن يتحلى به بنو الانسان فاقرأ هذا العنوان فانه يكفيك مؤونة البيان :

﴿ فيها شفاء للناس ﴾

هذا عنوان قصيدة منقوش على صفحات الجنة والجنان بسطور من نور لا يمحوها تطاول الزمان ولا تؤثر عليها كوارث الحدثان جمعت من النصائح العالية والحكم الرائعة والارشادات الهادية والآيات البينة ما يوقظ الهمة ويرفع الغمة وان من تأملها وعمل فيها عمل لا بد ان شاء الله أن يبلغ الامل

وقد صادف أن جمعتني وكثيراً من اكابر المحبين حفلة زاهية زاهرة في تياترو عبد العزيز ازدانت بعدد عديد من الافاضل والاطباء الأدباء المحترمين الذين منهم سعد بك سامح طبيب العيون وعبد العزيز بك نظمي رئيس ملجأ الحرية ومحمد على بك النكلاوى طبيب بالجيش وارباب الاقلام مثل مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء والشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد وجندى بك ابراهيم صاحب جريدة الوطن وتوفيق افندى عزوز صاحب جريدة المفتاح والشيخ احمد الأزهرى والأساتذة محمد افندي ربيع وابراهيم افندى الشواربي والشيخ محمد الشريف مدرس بالازهر الشريف واسماعيل بك عاصم المحامى وحسن باشا حسنى الطويراني فيلسوف الشرق ومحمد بك مهدي التبريزي صاحب جريدة حكمت وقد طلب مني هؤلاء الاخوان الكرام أن أبنى لهم بيتاً من الشعر بصفتي مهندساً يمثل تلك الحفلة الزاهية التي جمعت كثيراً من الوزراء والعظماء والاعيان و و . . . الخ فلبيت طلبهم امتثالا لامرهم وألقيت خطابة بهذه القصيدة الفريدة الوحيدة بعد هذا البيت :

أمـــاء الزهر أم زهر السماء وجنان الروض أم روض الجنان

وقبل أن آتي على تلك القصيدة أنبه على اني تلوتها ايضاً في ليلة قبيل افتتاح الجمعية الخيرية الأسلامية في نادٍ ماسوني وايضاً في ليلة افتتاح جمعيـة العروة الوثقى لاول عهدها في التياترو العباسي اجابة لدعوة المحترمين رؤساء محافل الماسونية في ثغر اسكندرية وهم خليل باشا حماده وابراهيم بك سعود ومحمد بك حبيب وعلي بك سلام الحكيم ومحمد بك عثمان . وقد خطب في تلك الليلة بهذا الحفل ايضاً مراد بك سيد احمد القاضي وابراهيم بك ثروت . ولقد كان لهـذه القصيدة الاتية تأثير حسن في الحاضرين ونتيجة سارة اذ تأثر بها الموجودون واخذوا على عهدتهم العمل بالالفـة والاتحاد وشحذ الهمـة في نفع الامة وكان ذلك اول عمل في تأسيس جمعية العروة الوثقى . وليت كل من قرأها يحفظها وينسج على منوالها في بث الحكم والارشادات والابتعاد عن اهل الكسل والغوايات والتمسك بعالي الامور الموصلة الى أرقى السعادات الناهضة بالبلاد والعباد الى ما ينيلها أقصى المراد هدانا الله جميعاً الى طرق الرشاد واليك هذه القصيدة الفريدة التي جمعت المتضادات القبيح والمليح من الصفات عند بعض الطبقات وها هي بنصها وفصلها

(فر من المجذوم فرارك من الاسد)

القول قول أفاضل الامجاد والفعل فعل أسافل الأوغاد

والنفس نفس معزز ذي عفة والعزم عزم مشعوذ قراد

والثوب ثوب أولى المكانة والغنى والجيب جيب المفلس المرتاد

عجبي ببعض الناس كيف توسمت ... اخلاقهم بغرائب الاضداد
منع الهدى عنهم فصار كأنه ... كنز حمته بوادق الارصاد
واذا أضل الله عبداً ما له ... من دونه فى ذى الورى من هاد
ولرب سفسطة دعوها حكمة ... مع كونها سخفاً وسوء مبادى
واذا الغرور اصاب من عقل الفتى ... لاح الضلال له بثوب رشاد
عاثت لعمرك فى البلاد اسافل ... لم يرعووا بالنصح والارشاد
ان جئت تسمعهم حديثاً نافعا ... اصبحت في واد وهم فى واد
واذا عكست سمعت من افواههم ... قصصاً اتت عن جرهم عن عاد
برواية قد افرغت بقوالب ... مسبوكة مرفوعة الاسناد
لو لم يكن للبعث بعض علائم ... تبدوا لخلت القول من حماد
واذا وزنت طباعهم كدراهم ... وزنت بكف الجهبذ النقاد
وخبرتهم وسبرت غور قلوبهم ... فاذا بهم كنف على اعواد
قد ستروا اسواءهم بزخارف ... كالنار يستر جمرها برماد
قلب بلا نور واعصاب بلا ... حسّ وفاكرة بغير سداد
فكأنهم خبث تجسم واكتسى ... لؤماً ليبلى الارض بالافساد
سطعت روائح خبثهم وفجورهم ... كالنتن منبعثاً من الالحاد
حتى شكى الملاح وهو بفلكه ... نتن الرياح كما استغاث الحادي
رانت على احلامهم شهواتهم ... وسطت مطامعهم على الانداد
لو رمت وصف محالهم وخداعهم ... ونفاقهم بالحصر والتعداد
لملأت أطباق الثرى والسبـ ... ـعة الافلاك بالانشاء والانشاد
يا من يرى ان الصلاح مؤمل ... هيهات دون مناك خرط قتاد
جهلاحو والوٌماطوا شرأنووا ... ذلوا هووا ضلوا غووا بفساد

حتى غدا الوطن المفدى جانيا ... وبنوه سيفاً فى يد الجلاد
اخنت عليه يد الغواية مثل ما ... اخنت على فرعون ذى الاوتاد
واهاً له وطناً به اسلافنا ... رضعوا لبان العز والاسعاد
عرفوا جمال مقامه فغدوا له ... بصنيعهم كالدر للاجياد
اهدوه للاصلاح حلة سندس ... وبنوا له بالمجد صرح مهاد
حفت به من جانبيه حدائق ... من نورها نور الهداية باد
تختال بين خمائل وجداول ... وبلابل تشدو فتشجي الشادي
نظرت اليها الزهرى من افلاكها ... فغدت لنا من جملة الحساد
هذا لعمر الحق حال بلادنا ... فى عهد أهل الجد يا اسيادي
هل منصف منكم يقابلها بما ... صارت اليه فيستريح فؤادى
آه وما آه بنافع مهجة ... لم تحظ بعد عنائها بمراد
هافاسمعوا الوطن المضيع صارخاً ... انتم اضعتم طارفي وتلادى
أفلبس نحن كمن مضوا قد كونت ... اجسامنا من سائل وجماد
لم لا نكون نظيرهم ألعلّهم ... كانوا باربع أرجل وأياد
كلا لعمر ابي ولكن حكمة الـ ... أجداد ضيعها هوى الاحقاد
ساروا على السنن التى انقرضت بها الـ ... أمم التي سلفت كأمة عاد
ارجع الى التاريخ فهو مترجم ... يغنيك عن نظمي ونقش مداد
وهناك تعلم ما المصير لأمة ... تبعث هوى الدخلاء والرواد
حتى تطبع اهلها بطبائع ... تدع البلاد بلاقعاً وبوادي
انى وكل فتى يقول تمدنى ... يقضي بتركي موطنى وبلادى
ان رمت أهو لا ارى لي موضعاً ... بربوعه اثر التمدين بادي
او اين بائعة الخمور تميس فى ... حانوتها كالاسمر المياد

تفنيك عن اقداحها احداقها ... وبديع غنة لفظها عن شاد
او اين بيت المومسات تزوره ... علناً اخيّ على ذرى الاشهاد
قوم قد اهتموا بكل نقيصة ... وتزملوا من عارهم بمجاد
من كل غمام حسود شامت ... ابداً تراه بغيبة وفساد
ان ضاع مفتاح الجحيم لمالك ... اغناه مقوله عن المقلاد
او اشعب بادي الدناءة جامع ... حرص الكلاب ونهمة الآساد
لم يثنه يوم التناد وقوله ... لعباده اني لبالمرصاد
او خامل كسل يخال كأنما ... قد قرنت ايديه بالاصفاد
يقضي النهار على المصاطب لاعباً ... يحي الظلام بزينب وسعاد
تلقاه في جلب المكارم عنتراً ... ويدفعهن عمارة بن زياد
في كل فن جاهل لكن في ... فن الختا طود من الاطواد
او باذل امواله وحياؤه ... في حب بنت الدن والاولاد
للسحت يطلق كفه ولسانه ... لتلاوة الانفال والاوراد
بلسانه يدعو الانام الى التقى ... وبفعله للاثم والالحاد
رأي بلا حزم وفاكرة بلا ... هدوء وادراك بغير رشاد
هذى بلايا مصر لا يرجى لها ... دفع بلا سعي من الافراد
اذ قوة الآحاد في آلافها ... وسلامة الآلاف في الآحاد
هم قدوة للشعب حيث رعاعه ... تنقاد للاجياد كالاجناد
يكفيكم يا اهل مصر غفلة ... فالويل عم وسال سيل الوادي
هيا اسرعوا جدوا اجمعوا قواتكم ... واسعوا وراء الخير سعي جهاد
بالحزم والاقدام والتدبير لا ... بالحرب والتدمير والافساد
كم من كتيبة عسكر فازت على الـ ... ـجيش العظيم بحكمة القواد

ان الحديد الصلب لو اودعته في النار لان بمطرق الحداد
لم يجتهد قوم بامر صلاحهم بعزيمة قرنت بحسن مبادى
إلا اتتهم نصرة من خالق كفل العباد لمنتهى الاباد

هذه اخت تلك

(فيها عظة وعبرة لمن كان ذا فكرة)

هذا عنوان قصيدة فريدة غراء ودرة يتيمة عصماء لفقيد العلم والادب وفخر شعراء العرب الشيخ ابراهيم اليازجي اتيتها هنا لما لها من المناسبة وما احتوت عليه من نصائح وعظات وحكم بالغة وآيات بينات علّها تذكر النفوس الخامدة وتحيي القلوب الجامدة وتحرك الهمم الراكدة واليكها مختالة فى جميل ثيابها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم وانتم بين راحات الفناء سلب
الله اكبر ما هذا المنام فقد شكاكم المهد واشتاقتكم الترب
ألفتم الهون حتى صار عندكم طبعاً وبعض طباع المرء مكتسب
وفارقتكم لطول الدهر نخوتكم فليس يؤلمكم خسف ولا عطب
لله صبركم لو أن صبركم في ملتقى الخيل حين الخيل تضطرب
كم بين صبر غدا للذل مجتلباً وبين صبر غدا للعز يجتلب

(ومنها)

خلوا التعصب عنكم واستووا عصباً على الوئام ودفع الظلم تعتصب

(ومنها)

بالله يا قومنا هبوا لشأنكم ... فكم تناديكم الاشعار والخطب
ألستم من سطوا في الارض وافتتحوا ... شرقاً وغرباً وعزوا اينما ذهبوا
ومن افلّوا الملوك الصيد فارتدعت ... وزلزل الارض عما تحتها الرهب
ومن بنوا لصروح العز اعمدة ... تهوى الصواعق عنها وهي تنقلب
فما لكم ويحكم أصبحتمو هملاً ... ووجه عزكم بالهون منتقب

(ومنها)

فيالقومي وما قومي سوى عرب ... ولن يضيّع فيهم ذلك النسب
و و . . الخ

فعسى أن يحرك هذا الكلام همة العقلاء الكرام ويثير فيهم الحمية والنخوة ليكونوا لغيرهم احسن قدوه فينتفع بسعيهم الوطن ويرفعوا بجدهم ما اصابه من الرزايا والمحن واذا كانت محبة الوطن وخدمته ينبغي غرسها في قلوب الاطفال قبل أن يشبوا ويكونوا في عداد الرجال فكم تكون خدمته متأكدة وواجباته على الكبار متعددة خصوصاً اذا قرع اسماعهم ولفت أنظارهم ذلك النشيد الوطنيّ المعنون بهذا العنوان الذهبيّ :

(نشيد الاطفال يحقق الآمال)

وكن محب الوطن المعظم ... ذا غيرة عليه في التقدم
فحبه عدّ من الايمان ... ونقضه من أعظم الخسران
وابذل لهذا الخلق المحمودا ... حتى يكون طبعك المحمودا
فلا ينال المرء من فلاح ... حتى يرى الاوطان في نجاح

فخيرها خير لكل واحد　　من اهلها من واجد أو فاقد
فما نجاح الامم الغربيه　　الا بهذي الخصلة السنيه
وباكتساب العلم والفنون　　وغير ذا من واهن الظنون
فاصبحت ديارهم جنانا　　غنيـة وعزهـا مصانا
وقد غدوا اعزة الملوك　　اعاظم الغنى والصعلوك
وكل ذا من حبهم للوطن　　وكسبهم لكل فن حسن
هذا هو التمدن المحمود　　اليه يسعى الطالب السعيد

و و . . . الخ

من مثل هذه الاقوال التي تتحلى بهـا اعاظم الرجال فى خدمة البلاد بالجد والاجتهاد ورحم الله تلك النفس الزكيه والروح الشريفة العليه التى صال صاحبها وجال فى ميـدان الـكمال وأتى من جلائل الاعمال بما لم يأت به الـكثير من أعاظم الرجال ذلك الـكامل فى سيره وسـيرته المختار من بين قومه وعشيرته الذي تحمل فى خدمة بلاده أعظم عناء وأبلى فى سبيل عزة وطنه أحسن بلاء ونشر للعلم فيه أرفع لواء وهو « محرمة صافية طائرة فى الهواء » مصطفى كامل باشا الذي كان يردّد نشيده يوم صباح مساء . قوله :

بلادى وجسمي أن أقول بلادى * فيدرك عشاق الـكمال مرادى
مواطن اجلال وان خالها العدى * مواطن اذلال ودار فسـاد
أحنّ اليها والمنون بمرصـد * فيحي حنينى فى سبيل بلادي
وهبت لها عهد الشباب فان ذوى * وهبت مشيبي فى سبيل بلادي

وعلى ذكر خدمة الوطن ونفع البلاد أقول: ان كل الافراد على اختلاف طبقاتهم وتباين وظائفهم وتعدد مشاربهم يمكنهم خدمة بلادهم كل بما يناسبه ويقدر عليه فالصانع اذا اتقن صناعته واجتهد فى الابداع فيها فقد خدم وطنه والتاجر اذا صدق فى المعاملة ولم يغش في المبايعه وعود نفسه الامانة والوفاء فقد قام بخدمة بلاده وكذلك الموظف اذا استقام فى وظيفته وأخلص في عمله فقد وفى بواجب خدمة الوطن والاديب اذا بث حكمته بين قومه ولفت الاذهان با ثار قلمه كان في عداد خدام الاوطان . ولا يتوهمن انسان أن الموظف اذا اقتصر على عمل الوظيفة وكان ممن آتاهم الله قدرة على الكتابة ثم بخل بآثاره الادبية على أمته لا يكون ممن خدموا بلادهم ونفعوها فان مثل هذا يعد من المقصرين المؤاخذين بتهاونهم الملومين على تفريطهم فى حقوق وطنهم ولعلّ قائلا يقول ماذا عسى أن يكتبه موظف لينتفع بكتابته قومه ويفيدهم قلمه فلمثل هذا القائل أذكر نموذجاً من المقالات التي كنت أبعث بها الى بعض الجرائد المصرية مع انى كنت شاغلا وظيفتى في الحكومة بصفة مهندس ولم يكن ذلك ليمنعنى من اظهار غيرتي على وطنى وانتهاز الفرص وتحيّن المناسبات لبث الارشادات وتوضيح الغامضات خصوصاً المعضلات التى لها مساس بمهنتي أو الحوادث التي شاهدتها بنفسي ولم يقدم على بيانها سواي واليك مقالة من هذه المقالات نشرت بجريدة اللواء الغراء بعنوان :

﴿ الاحتلال وضباط أركان حرب ﴾

اذا رأيت أيها القارئ الكريم ان الناس في أى بلدة تراسل الجرائد وتناظرها وتجادلها وتناقشها فى أقوالها وغاياتها ومشاربها ومذاهبها فثق وتحقق ان البلاد راقية مراقي النجاح

واذا رأيت العكس فاعلم انها في جمود وخمود خصوصاً وان هذا فى وقت آن لشمس الحقيقة أن تظهر فيه بعد الغروب وتبصر بها عيون عميت وتستهدى بها عقول ضلت عن واضح الطريق وذلك بفضل ما نراه من المجلات والجرائد التى هي بمثابة المخبر العام والزاجر الصادع والمشير بالصواب والمربي بالحكمة والواعظ بالحق والمنذر بالبرهان والمرشد الامين

ومن ذلك جريدة اللواء فيما قالته على مقالة (الديلى تلغراف) التي نوهت عن الثورة العرابية المشؤومة بما هو معلوم ومفهوم مع لوم بعض القوم اذ قالت :

لولا خيانة رجل من ضباط أركان حرب الجيش المصري لبلاده وتسليم اللورد (ولسلى) خطوط الدفاع والهجوم لطال عناء أبناء التامز فى فتح هذه الديار وكان مجيئهم من الاسماعيلية لايقل في الضرر عن مجيئهم من كفر الدوار ولما كنت من ضباط أركان الحرب الذين هم السبب فى الهم والغم والكرب والاضمحلال والاحتلال والانحلال والاعتلال والاختلال الذي حل بالبلاد والعباد بعد انحلال الجيش المصري وحصول الاحتلال قد رأيت وأنا المقسم على السيف والمصحف بالذمة والشرف العسكرى أن أقول وأفسر وأعبر وأحرر

عن الضمير المستتر وجوباً وتقديره لولا خيانة ضباط أركان حرب ما حل بمصر الذل والهوان بحالة تضحك الثكلى وتبكي العروس وتفعل فى النفوس ما لا تفعله الكؤوس ويزيد لهيب الاشجان فى النفوس خصوصاً الوجه العبوس حيث ظهرت الخبايا من الزوايا (بمقالة الدالى تلغراف) بما هو أنكى وأضر ولما ضاعت السودان والرجال والاموال

ان الذى دعاني الى الكتابة فى هذا الموضوع ما وجدته فى جريدتين متضادتين احداهما انجليزية والاخرى جريدة اللواء العربية (بتاريخ واحد) بشأن. ضباط أركان حرب القواد الامناء الاشراف العظماء الادباء الامراء أهل الهمم في ارشاد بلادهم الى الطريق الامم والضباط الخائنين الاعداء الألداء والخصماء الأشداء جرثومة الفساد للبلاد والعباد من رجال وبنات وأولاد وزرع وضرع في كل حي وناد الذين يغفلون عن ان أول مصيبة تقع (لا سمح الله) يكونون أول من يقع فى الشرك ويهلك لان العدو لوطئه عدو للغير على خط مستقيم ولا يؤمن طرفه مهما عمل للغير من خير

ولما كان شهر يوليو شهر المتضادات من استقلال واحتلال وحرية وعبودية رأيت أن أذكر هنا جملة مترجمة من اللغة الانكليزية تكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وأقبل عليه بعزم يوم شديد ورأى سديد وفكر مفيد وما ذلك على الله ببعيد

﴿ اسمع وعي أيها الاديب اللوزعي ﴾

حاصر ادوارد ملك الانكليز مدينة (كاليه) بفرانسا حصاراً شديداً مديداً حتى خضع أهلها لتسليم ستة من قوادهم للقتل فديةً

منهم ورفعا للحصار عن المدينة فتبرع قائدهم الاكبر (سانت بيار) بتضحية نفسه عن وطنه وكذلك ابنه وأنسباؤه الثلاثة وبقى السادس فانتخب بالقرعة من بين كثيرين تبرعوا بتقديم نفوسهم ضحايا عن الوطن وكان الملك قد أرسل رجلا من بطانته اسمه السير (ولتر موني) لاستلامهم فلما رأى ما رأى منهم هام قلبه فى محبتهم وعجب من سمو شهامتهم وكمال مروءتهم وتاقت نفسه الى تخليصهم . بيد ان الملك أمر بعض جلاديه أن يذهب بهم ويضرب أعناقهم فحينئذ سمع صوت هاتف واذا هو بالملكة قادمة في عدد غفير من الأبطال المحنكين والضباط أركان حرب الأشراف الأمناء المدربين فركض السير (ولتر موني) للقائها وقص عليها ما كان من أمر الأسرى وحكم الملك بقتلهم فلما بلغت منزل الملك خرج فى حاشيته وقابلها بالترحاب والاكرام فقالت : ان لى كلاماً أريد أن أبديه لك على انفراد أيها الملك فقال : حباً وكرامة ودخل معها فى صالون كبير وقالت: لاتقل انى أشفع الآن في حياة بعض الاشخاص فاني لا اشفع الا فى صون شرف الامة الانكليزية وتوطيد مجد زوجي ومليكي ادوارد أتظن انك قد حكمت على هؤلاء الستة رجال بالقتل ؟ كلا : بل انهم هم الذين حكموا على أنفسهم فاذا قتلوا كان قتلهم بأمر منهم لا منك أيها الملك بل انهم قدموا انفسهم فدية لوطنهم فلا تحسبن الموقف الذي يقتلون فيه موقف عارٍ لهم وهوان لاعدائك كلا انما هو موقف مجد وكرامة وشرف وشهامة وهوان وخذلان لك وعار على اسمك وما القصد الا أن نحبط مساعيهم فلا نكسبهم المجد والفخر على نفقتنا كما يرغبون ولا نزكي لهم نار الشرف كما يتمنون بل لا بد أن نزودهم

بالعطايا ونفشلتهم بالمديح فلا يظن الناس فيهم حسناً ولا يخلدون لهم ذكراً جميلا والا فالمجد والكرامة نصيب كل من يجاهد في سبيل الشرف والفضيلة وحب الوطن

قال الملك : لقد أصبت فغلبت فليكن لهم ماقلت وأوعز الى بعض رجاله باستحضارهم اليه فلما وقفوا امامه خاطبتهم الملكة قائلة :

يا اهل فرانسا وسكان كاليه لقد حملتمونا ما لا يطاق من سفك الدماء وبذل الاموال فى استرجاع ميراثنا الحق على انكم انما فعلتم خيراً بحكمكم على انفسكم بالخطأ على فعلكم واستحققتم منا اعتبار ما بدا من بأسكم وثباتكم ودل على شجاعتكم واقدامكم وان كنتم قد حرمتمونا التمتع بحقوقنا الشرعية

فيا أيها القوم الافاضل الاحرار انكم وان كنتم ألد الاعداء لشخصنا وأمتنا فليس لكم فى قلوبنا الان الا الود والمحبة وقد اختبرناكم فوجدناكم أهلا لان تحل قيودكم وترفع الصوارم عن أعناقكم ونزجى لكم الشكر على فضلكم لما علمتمونا من الشهامة بما دلت عليه أفعالكم وهو ان الكرامة ليست صبغة فى الدم يتوارثها الابن من أبيه ولا النبالة مخصوصة بسموّ الالقاب ورفعة المنزلة بل ان الفضيلة تلبس المرء ثوب المجد والفخر وترقيه الى أعلا وأسمى من مناصب الملوك وحيث ان فيكم من الصفات الكريمة ما هو جدير بالرفعة والعظمة فانتم الآن أحرار فاذهبوا الى أنسبائكم وأبناء وطنكم وكل الذين افتديتم حياتهم بشهامتكم ولا تسيئوا ظننا بكم لاننا نود أن نستأثركم بالمنة والاحسان فاقبلوا منا ان شئتم ما عن به عليكم ادوارد زوجي من الهدايا والالقاب وياحبذا لو أتيح لانجلترا أن يكون لها

أولادامثلكم يتسابقون الى الشرف والفضيلة ويتعاهدون على حب الوطن والمروءة والشهامة . . . ففى الحال قال قائدهم (سانت بيار) بأعلا صوته : آه آه واأسفاه واوطناه لقد ذاب قلبي فى صدري عليك فان ادوارد غنم مدينتنا ولكن قلب امرأته غنم قلوبنا

ثم ان الستة القواد العظام أركان حرب الكرام أنشدوا نشيد الوطن وتفسيره باختصار هو :

ان الوطن لا ثمن له الا بذل المهج وانه الدرة الوحيدة اليتيمة التي لا يرجى عند فقدها عوض بل هو الجوهر وبنوه العرض الذى لا بد له من محل يقوم به فالتلازم بينهما لا يقبل الانفكاك والعلاقة قوية لا مطمح للاوهام فى قطعها وعروته وثقى لا طمع للانظار فى انفصامها يحن الكل اليه حنين الطفل الى ثدى أمه ويئن اذا ألمّ به ما يكدر صفاءه ويغير بهاءه

***

(اسمع تعلم . اسكت تسلم . اسأل تفهم)

هذه أعمال خدّام الاوطان وتلك هي الهمم العالية التى تشرف بها بنو الانسان وبمثل أولئك ترتاح الافئدة والقلوب وترقي الى أوج العلا الامم والشعوب وتنزاح عنها العلل والآلام والكروب قوم من ضباط أركان حرب يستهينون بكل شاق وصعب ويقدمون أنفسهم فداء لوطنهم ويضحون كل عزيز فى حفظ شرف بلادهم والذب عن حياضها والاستماتة فى صيانة اسمها واعلاء قدرها انهم لجديرون بمزيد الاعجاب خليقون بأكاليل الثناء المستطاب وان عملهم هذا لدرس قاسٍ زاجر لاخسّاء النفوس الخائنين خبثاء الضمائر الذين يبيعون

شرف الوطن بالعرض الذاهب والعارض الناضب غير مراعين للامة إلاًّ ولا ذمة قاتلهم الله أنى يؤفكون وعلام يعتمدون وإلام يتطلعون وحتام فى غيهم يعمهون ؟ أمن غير طريق الصدق والشرف على الخير يحصلون أم غير رضا الله ورضا الامة ورضا الاباء والاجداد يبغون؟ تالله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ولعنة الله على الخائنين

من لى بمن يعرّف هؤلاء الاوغاد الذين ضلوا طريق السداد بما قرره العلم وصدقه الفهم بأن كل من خان بنى جلدته لمصلحة من كان من غير أمته فهو شاهد على نفسه بسوء عمله بأنه خلاسىّ مدخول فى نسبه وأصله مقيم الحجة بتنكبه المحجة على أنه متكون من دماء ممتزجة فلو أن دمه صافٍ خال من الشوائب لما أقدم على أمثال هذه المعايب إذ الشخص الحر الوطنى الصميم هو الذى يسلك فى نفع بلاده الصراط المستقيم ويتباعد عن كل خلق دنئ لئيم فيكون سلوكه الشريف أقوى برهان على أنه اشرب حب الاوطان وافعم قلبه بالغيرة الوطنية وتنزه عرقه عن دنس الدماء الاجنبية

ومن لنا بمن ينبه الى الواجبات أولئك الاسافل الذين هم أخس الفصائل العارية عن الكمالات والفضائل ويلفتهم الى قول القائل :

كانت لنا من كرام الناس أجداد ... شادوا ولكن هدمنا كل ما شادوا
واوجدوا فابدنا كل ما تركوا ... حتى غدا عرنا للذل يرتاد
والشرق كان بهم تسمو مكانته ... والغرب كان بهم للشرق ينقاد
ماتوا وقد أورثونا بعدهم نعما ... ضاعت على يدنا والدهر نقاد
ماتوا وماخلفوا أوبئس ماخلفوا ... نسلاً لهم لحظوظ النفس عباد
أين المعارف أين العاملون بها ... أين الذين لهم في الضيق إنجاد

أين المعارف والعرفان كان بها نور المشارق بالاشراق يزداد
صرنا ولا جامع للحب يجمعنا والاهل وأسفاً للاهل حساد
يا خجلة الشرق أهوته جهالتنا والغرب أبناؤه بالعلم قد سادوا

أو ليس لهم قلوب يفقهون بها أو آذان يسمعون بها أو أعين يبصرون بها ؟ بل قلوبهم غلف وعلى آذانهم وقر وفى أبصارهم عمى فلم يعقلوا مجد الاباء والاجداد ولم يسمعوا ما يقرع الدهر به الاسماع من محزن الانشاد ولم يبصروا ما حولهم من آثار الجد والاجتهاد فليصخ الغافلون آذانهم لسماع تلك الاشعار التي كل سطر منها لكيّ قلوبهم ميسم من نار :

***

فقل لى بربك : من ذا الذى يقرع سمعه هذا الكلام الذى هو أشد من وخز السهام وانفذ من وقع الحسام ويستعرض به ذلك المجد الدائر وهاتيك المفاخر والمآثر ثم لا يذوب أولا حرقة وجوى وتزداد ثانياً شوقاً وهوى الى السعى في تجديد معالم الفخر والشرف التى أسسها من سلف وأضاعها بالاهمال الخلف وكاد يقضى ذلك عليهم بالضياع والتلف : فرحم الله امرأ أخلص فى خدمة وطنه النية وصرف فى نفعه الهمة واشترك معى فى تجديد ذلك الميثاق والعهد الذي أخذته على نفسى من قبل ولا ازال عليه بعد ويقول كما اقول وعلى الله سبحانه وتعالى تحقيق المأمول :

(الحرّ في القبر حيّ والغرّ ميت حيّ)

رحم الله كل من قال «أنا رجل نزيه وأمين أؤثر الفقر الدائم والعذاب

الاليم المستمرّ والامراض كلها تكتنف اعضائى جميعها على سعادة لا تنال الا بالخيانة والغدر واعتقد اعتقاداً لا سبيل الى الشك فيه أن جميع آلام ما اصاب به من فقر وعذاب وعلل أهون على نفسى من تألمي اذا تذكرت أنى كنت يوماً من الايام خائناً لوطنى وأهل عشيرتى » هذا وانى أقسم بالله العلى العظيم وأتعهد بارادتى واختيـــارى بين جميع اخواني المصريين أهل بلدتى وأبناء جلدتي بان كل شخص أقسم بمثل هذا القسم العظيم وكان من الادباء العقلاء المصريين المخلصين الصادقين فى حب بلادهم بعد دقة اختباره ومعرفته لنفسه ونيته فى ضميره بانه حر شريف ووعد وعداً صادقاً بانه لا يمل ولا يكل فى خدمة وطنه وأن يمتنع ماستطاع عن أن يفعل شيئاً ضـد اخوانه وأوطانه من المواربة والخدعـة والرياء والتمويه على العقول فانه يكون عنـد الله وأهل عشيرته وامام ضميره من الرجال الابطال أهل الهمم الاشراف وان أقسم وحنث فى يمينـه فاقول ان ضميره يحدثه بانه مستحق لضرب العنق وسل اللسان وأن تلقى جثته فى رمال شطوط البحار والصحاري والقفار وبالجملة فضميره يؤنبه ويعاقبه عقاب المسئ الكاذب الخائن للعهد المجرد من جميع الآداب المحروم من نعمة الوجود مع عشائر أهل الفضل الاحرار المطرود من زمرة الاخيار الابرار الذين يعدون الفضيلة والشرف وحرية الضمير في خدمة البلاد من أجل وأرفع وأكبر وأعظم وأنقى وأتقى وأبقى للانسان من جميع مزايا الشرف والنسب والغنى والجاه والرتب والنياشين

فيارب كن معيناً لى ولمن أقسم معى هذا القسم المعظم وامنحه الثبات على العمل به واجعله لنا ميثاقاً اكيداً وعهداً شديداً وأن

تختمه باتحادنا وتعاضدنا وتعاوننا وتوافقنا وترافقنا وتآخينا وأن تطهر قلوبنا من الغل والحسد والكبرياء والانانيه وأن تصفي سريرتنا لنجد ونكد فى رجوع مجد آبائنا شأن كل انسان صادق القلب شريف الطوية كريم المحتد ونسألك يا رب أن تبعد عنا أهل الدسائس الاشرار ثابطي الهمم الاغيار

واعتقادي أن من أقسم مثل هذا القسم يخرج الى منبسط فسيح من الحياة الحرة الشريفة ويصير أول انسان يحث على التمسك بحلية الفضائل وحب الوطن المقدم على كل شئ لان الوطن محبوب والمنشأ مألوف واللبيب النجيب الاديب الاريب يحن الى وطنه حنين كل الى عطنه والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوابله ولا ينسى بلدة فيها مراضعه

بلاد بها حلّ الشباب تعلّقي وأول أرض مس جلدي ترابها

والوطنى الحر الشريف هو من عمل لمصلحته ومصلحة المجموع وعرف ان هذا العمل هو سر من أسرار العمران الذى نراه الآن فى الغرب من المنافع الحيوية العمرانية على ما تقضى به النواميس الشريفة الادبية واللبيب من كفاه أن العظات تقرع أسماعنا بالزجر الشديد حتى انه ليتوارى الفرد منا خجلاً وخزياً حين يقارن ميول الرجال عندنا بميول النساء عند الغرب ولا حول ولا . . . . الخ

(الاحكام المبرمة في محكمة الضمير أحكم محكمة)

اذا عدت المناصب للارتزاق واستدرار العيش فان مناصب القضاء انما هي لاقامة العدل في الرعية إذ القاضي في منصبه ينكر ذاته

وينسى منافعه وأهله وصحبه ويتخلى عن كل غرض ليس أمامه الا النظر فى أمر واحد الا وهو العدل الذي لا يقبل ميلا ولا غرضاً ولا مراعاة ولا محاباة ولا مجاملة فخير للموظف الذى لا يستطيع كبح جماح نفسه أن يطلب الرزق من مورد آخر غير القضاء وجدير به أن يتلمس الكسب من طريق ثان اذا أحسّ من نفسه ضعفاً عن اقامة العدالة وزنة الاحكام بالقسطاس المستقيم ذلك لان العدل أجل وأعز واكبر من كل شيء فى هذا الكون وهو فوق القرابة والاهل والاصحاب .

ولا تعرف وصمة يمكن أن ترمى بها أمة من الامم اشد واسوأ من وصمة عدم عدل قضاتها واتصافهم بالظلم والتهجم على خرق سياج القوانين والتفرقة بين المتقاضين والمحاباة لغرض نفسانى قضت به الاميال والاهواء فان أساس حياة الامم عدل القضاء فلا مال ولا تجارة ولا صناعة ولا اقتصاد ولا ثقة بالتعامل ولا أمن ولا راحة بل ولا حياة بغير العدل والقضاء فى الامم ليس ملكها بل هو ملاك الآداب والانسانية والحياة الشريفة الحقيقية فلا انسان فى العالم ولا بلد ولا قطر يستطيع ان يحيا ويرقى ويحوز صفة الوجود بغير العدل لهذا كان اذا اختل القضاء اختل اساس الهيئة الاجتماعية وتصدع بناؤها وانهارت على نفسها وعجزت أقوى الايدي وأشدها عن اثباتها فى مراكزها ولمّ شعثها ورأب صدعها وصون حياتها من الانحطاط والفناء والزوال (لا سمح الله)

ولا يكفي القاضي أن يعرف القانون ومواده فقد يتعلمه اكثر

الناس وقد يحفظ مواده من ينصرف الى حفظها بل يجب أن تحلى نفسه بفضيلة العدالة والنزاهة وأن يدرك قيمة المهمة الملقاة على عاتقه ويقدرها قدرها ويعطيها نصيبها من الرعاية والعناية وهذا هو الذى حدا بالامم والحكومات الى الامعان فى انتقاء القضاة والمبالغة فى حسن اختيارهم ليسكلوا اليهم أمر حياتهم ووجودهم

وما لنا ولهذا البحث الذى يجعل الانسان فى احتراس من هفوة وتحفظ من غلطة تجعل للقضاء عليه سلطة وتجر عليه احكام القصاص وتنتهي به الى مؤاخذات لا مفرّ منها ولا مناص . ما لنا ولذلك وامامنا قاضي الضمير هنا لك يغنينا عن التعب والنصب والعناء والشقاء ويوفر علينا مؤونة المشقات في البحث والتنقيب والاختيار وصرف الماهيات وو . . . الخ مما سبق ذكره ذلك هو قاضي الاحكام المبرمة فى محكمة الضمير التي هي احكم محكمة

(ضمائر قلب المرء تبدو بوجهه ويخبر عنوان الكلام بما فيه)

للضمير سلطان على النفس يبعدها عن الشر ويمهد لها سبيل الخير ويمدها باسباب العدل حتي تسير على نوره وإن له لنفوذاً على صاحبه دونه كل نفوذ من غير ان يحتاج إلى دفاع يدافع او مساعد يترافع ولا اخذ ورفض وابرام ونقض وشهود وتزكية وخبراء في الاقضية ودعاوى وبينة ولا تأخير جلسات ولا اخذ اراء ومشاورات ومداولات ولا ابتداء واستئناف ولا غوغاء ولا خلاف ولا نقض بعد ابرام ولا تبرّم مما يصدره من الاحكام بل اوامره كلها مُحْكَمَة واحكامه جميعها مبرمة يختلى الشخص بنفسه فيصور

له ضميره الحر عظم جريمته أو مخالفته او جنحته فسرعان ما يؤنّب نفسه فى اقصر جلسة ويصدر عليها حكمه بتروٍّ وحكمة فيعود الى صوابه ويرجع الحق إلى نصابه وهو مرتاح لا أثم عليه ولا جُناح فما اعدل هذا القاضى فى التقاضي والتراضي ألا وهو :

﴿ الضمير ﴾

وها أنا أدْلي اليك أيها القارىء الكريم ببعض قضايا انفرد بالحكم فيها الضمير وكان له وحده فيها أعظم تأثير اذا أنه اكبر واعظٍ زاجر صادع بالصواب مشير :

النادرة الاولى — : أحسّ بعض الناس من زوجته انحرافاً فى السير وبعداً عن الاستقامة وخيانة في الاداب تنافي شروط الزوجية وتمسّ بحقوقها المرعية وكان الزوج وافر العقل لم يشأ ان يفاتحها بالكلام فى هذا الموضوع ويفاجئها به ولكنه عمد إلى كل شئ تقع عليه عينها فى منزله وكتب عليه اسمه حتى لا يجول بخاطرها سواه ولا تفتكر فيمن عداه ولكي تقف من نفسها عند حدها ولا تحرف قيد شعرة عن حقوق بعلها فكانت اذا جمعتها مع خائن (خدْن) خلوه رأت امامها اسم قرينها كأنه يشرف عليها من ربوة ويُطلّ عليها من كوّة ويناقشها الحساب على الوقوع فى هذه الكبوة كانت ترى اسمه فى كل شئ حتى الكاس والطاس والمناضد والمقاعد والابسطة والاسمطة والاسرّة والاغطية والاطباق والأنيه وغير ذلك مما يقع عليه نظرها هنالك فكانت اذ ذاك تذوب خجلاً ويطير قلبها وجلاً واستمرت على هذا زمناً كان كله هولاً عليها وعناء

من جراء وخزات الضمير على ارتكابها هذا الاثم الكبير وانغماسها في لجة الخيانة الاثيمة وتدليها الي تلك الوهدة الذميمة حتى صدر حكم محكمة الضمير المحكمة العدل ذات القول الفصل في ما اشكل من الامور وجلّ فكان التأنيب الشديد ينساق منها اليها حتى هدّ صحتها وهزل بنيتها وعجل منيتها فراحت ضحية غوايتها غير مأسوف عليها

(القضية الثانية) — : كان رجل فقيراً معدماً لا يملك من دنياه ديناراً ولا درهماً سولت له نفسه الامارة بالسوء والايذاء تحصيل الغنى والثراء باي وجه كان ولو فيه احتقار وامتهان وباية طريقة مهما يكن فيها من خسّة وضعة ما دامت يجيء من ورائها اليسار والسّعة فكان اول باب طرقه هو باب السرقة فجدّ في هذا العمل حتى تحقق له الامل واستمرّ يسرق كثيراً من الناس حتى صار مثرياً كبيراً وزال عنه البأس واصبح من كبار الموسرين واعاظم المموّلين وجأت الايام وراحت وذهبت الاعوام ودارت وهو متمرّغ في النعيم ذاهل عن سبب هذا الخير العظيم حتى حان وقت المناقشة والبحث عن اصل هذه الثروة المبرقشة ففي ذات يوم جلس يفكر في الامر وان ماله كله من طريق الشر وما زال مع نفسه في اخذ وعطاء وسؤال واستفتاء وتوبيخ وتأنيب وترغيب وترهيب حتى خلى بنفسه برهة واستولت عليه الشبهة وعرض الامر على محكمة ضميره العادلة فحكمت عليه اخيراً بان يستسمح كل من سرقه ويردّ ماله له وفعلا كتب لكل من سرق اموالهم كتاباً طيّه حوالة على البوستة باستلام الذي لهم بعد ان غير اسمه وانكر نفسه وقد ذكر في كتبه

الازمان التى تعدى فيها عليهم ونهب أموالهم وحين وصلتهم هذه الكتب عرفوا أنه رجلا وبخه ضميره وكان عظيماً عليه تأثيره واهتدى في آخر الأمر الى التكفير عن هذا الشر بايصال الحقوق الى أهلها واستحواذهم عليها .

(القضية الثالثة) — : تتلخص فى ان امرأ اطلق العنان للسانه في اغتياب كثير من اخوانه وذكرهم بما يكرهون والقدح فيهم بما لا يحبون واستمر على ذلك مدة كبيرة من الزمان ومطلق اللسان فى ذم الاخوان حتى اساء كثير من الناس الظن بهم وتغيرت خواطر عديدة عليهم بسبب ماكان يسنده بطل روايتنا اليهم من المثالب والمساوى والمعايب ثم ثاب بعد ذلك الى رشده واوقفه ضميره عند حده بعد ما انبه تأنيباً اليماً ووبخه توبيخاً عظيماً كانت نتيجة ان بعث الى من اغتابهم يستميل اليه خواطرهم ويستعطف عليه انفسهم ويرجوهم عدم المؤاخذة فى كل ما فرط منه بالنسبة اليهم حيث تغيرت الآن حالته واستقامت سيرته وصار من المهتدين البعيدين عن ايذاء الناس اجمعين .

ولقد صدق من قال وأجاد فى المقال :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الضمير الزاجر

﴿ وبضدها تتميز الاشياء ﴾

﴿ تعظيم الانسان لنفسه فى ضميره ﴾

اذا كان هناك أشخاص كثيرون ممن سبق ذكرهم ووبخهم ضمائرهم وهدتهم الى التكفير عما ارتكبوا والاقلاع عما أذنبوا فان

هناك أناساً هيئت لهم الضمائر طرق الهداية وابعدتهم من اول الامر عن أسباب الغواية فاغتبطوا بحالتهم وسعدوا بسيرتهم فكم فيه من أناس فعلوا واجبهم من اغاثة ملهوف واعانة محتاج والاخذ بيد بائس واداء أمانة ائتمنوا عليها واتقان مهمة نيطت بهم وكلفوا اتمامها. فعلوا كل ذلك فأحسوا من ضمائرهم بارتياح وشعروا من صدورهم بانشراح وباتوا مفعمين سروراً وبشراً مملوءة قلوبهم فرحاً وجذلا لشعورهم اولا بأداء الواجب وعدم وجود مؤنب لهم ومطالب ولوثوقهم ثانياً بانهم سنوا بين قومهم سنة حسنة تدعوهم الى الاخذ بمثل اعمالهم المستحسنة فتكثر في امتهم الفضيلة وينضب منها معين الرذيلة لعمرى ان ذلك لمنتهى السعادة ومن اكبر أسباب العز والسيادة

﴿ أحكم الحاكمين جل ثناؤه وتعالت أسماؤه ﴾

اذا كان للضمير ما قد علمته من محاسن تلك الآثار وابصرته من بواهر هذه الانوار التي تذهب ماارتكب من سيئات وأوزار وتلحق صاحبها بالابرار والاخيار بعد أن كان منتظما فى سلك الاشرار الفجار فكم تكون آثاره وبأى مقدار يظهر لألاؤه وانواره اذا انضم اليه حسن الاعتقاد بالله سبحانه ما اعظم شأنه واكبر سلطانه لا جرم انه ينتج عن ذلك من حسن الاثر فى هداية البشر ما يملأ الكون انصافاً وعدلا ويفعم الناس براً وفضلا واذ ذاك تصدر الاحكام باتقان وإحكام لانها معززة بتوفيق من المولى الحكيم الخبير وتأنيب من عادل الضمير

ولذا قال لامارتين الفيلسوف الفرنسي الشهير فى اثبات وجود الله تعالى : (ان ضميراً خالياً من الله كالمحكمة الخالية من القاضى)

وبهذه المناسبة لا ارى بداً من أن اتكلم على طرف من الادلة على وجود الباري عز وجل فأقول :

﴿ المنظور وغير المنظور ﴾

« وفى انفسكم افلا تبصرون »

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء »

« وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنها يأكلون »

« ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين » (قرآن كريم)

« تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »

« من عرف نفسه فقد عرف ربه » (حديث شريف)

***

﴿ العقل السليم سيد حياة الناس ﴾

اذا نحن احترمنا العقل البشرى كل الاحترام وقدّرناه حق قدره واعطيناه من قوة الادراك والتفكير ما اعطيناه فانا نجد غاية ما ينتهي اليه كماله انما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت حاسة من حواس الانسان الظاهرة مثل السمع والبصر والشم والذوق واللمس أو حواسه الباطنة مثل العقل والوجدان أما وصول العقل الى كنه أيّ حقيقة فهو مما لا تبلغه قوته ولا تحيط به

قدرته خذلك مثلا اظهر الاشياء وأجلاها كالضوء : قـــد قرر الناظرون فيه احكاماً كثيرة فصلوها وفهموا فيه أفكاراً وتعليلات وتفصيلات دونوها فى علم خاص به ولكنهم لم يستطيعوا أن يفهموا ما هو ولا أن يعرفوا كنه معنى الاضاءة ذاته وحقيقة النور نفسها وغاية الامر أن يعرفوا من ذلك ما يعرفه كل بصير له عينان انه (اهليليجي)

باشر الانسان تحصيل العلم باقرب الاشياء اليه وهو نفسه فاراد أن يعرف بعض عوارضها وخواصها من حيث انها جوهر أو عرض وهل هي موجودة قبل الجسم او بعده وهل هى كائنة مستقرة فيه او منفصلة عنه ومع ذلك لم يصل الانسان الي اثبات شيء من هذه الصفات يمكن الاتفاق عليه والركون اليه وانما مبلغ جهده أن عرف انه موجود حيّ مميز له شعور خاص وارادة ممدودة

هذا وان النظر فى الخلق يهدى بالضرورة الي المنافع الدنيوية ويضيء للنفس طريقها الي معرفة من هذه آثاره ومن عليها تجلت انواره جل ثناؤه وتباركت اسماؤه

أما الفكر فى ذات الخالق سبحانه فهو سعى فى معرفة حقيقته وتطلع الى الوقوف على كنهه وهو ممتنع على العقل البشري خارج عن متناول امكانه فهو يؤدى الى العبث والهلاك لا محالة: الي العبث من حيث انه سعي الي ما لا يدرك ابداً : والي الهلاك لافضائه الى الخبط والخلط فى الاعتقاد من حيث انه تحديد لما لا يجوز تحديده وحصر لما لا يصح حصره

(التسليم المستديم)

من هنا يظهر انه يكفينا من العلم بالذات المقدسة أن نعلم انه عز شأنه موجود لا يشبه الكائنات أزلي ابدى حي عالم مريد قادر منفرد فى وجوب وجوده وفى كمال صفاته وفى صنع خلقه وانه متكلم سميع بصير الي آخر هذه الصفات التي هو تعالى متصف بها واما ما وراء ذلك فما يستأثر هو بعلمه ولا يمكن لعقولنا أن تصل اليه وتحصل عليه

(لكل حادث محدث)

ولهذا لم يأت الكتاب العزيز وما سبقه من الكتب السماوية الا بتوجيه النظر الى المخلوقات لينفذ منه الى معرفة وجود الصانع

الى هذا فقط وصل اعظم العلماء والفلاسفة وأشهر الباحثين فى كل العصور بعد ما بحثوا وفتشوا ونقبوا وحققوا حتي قالوا بعد أن اغيتهم الحيلة واعوزهم البحث : ان غاية ما يمكننا ادراكه انه لابد من وجود ذات غير منظورة هي علة العلل تدبر نظام هذا الكون العظيم وتتصرف فيه بحكمة سامية لا تدركها عقول البشر ولا تستطيع أن تقول شيئاً عن حقيقة هذه الذات وماهيتها مع ان عدم مقدرة الانسان على ادراك كنه الخالق عز وجل ليس دليلا على عدم وجوده مادام كل ما يجري حولنا ويحدث بين ظهرانينا ينطق بوجود هذه الذات الغير المنظورة

وبالجملة فكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك . « ليس كمثله شيء » « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ». « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما »

﴿ حكم حارت البرية فيها وحقيق بانها تحتار ﴾

واني لا عجب من الذين يغالطون انفسهم ويحكمون على الاشياء بعدم وجودها ما دامت غير مرئية هل يحكمون بعدم وجود السيالات المغناطيسية والكهربائية والقوى المؤثرة فى الصور المتحركة والتلغرافات اللاسلكية والفوتوغراف و و . . . الخ من الاشياء الغير المنظورة مع صدور الآثار الهائلة عنها وترتب النتائج القوية المهمة عليها ما دامت هذه القوى غير منظورة . ها نحن نرى الرأس ولكن لانرى العقل . نرى الام الحنون الشفوق ولكن لانرى الحب المخبوء خلف الشفقة والحنان نبصر راية الوطن ترفرف ولكن لا نبصر الوطنية التي تهزها ويتفانى الجند في حفظها وتأييدها . نسمع الكلام غير ان الافكار المستقرة فى الاذهان لانراها . نرى المسجد ونعبد الله فيه ولكننا لا نقدر أن نرى الله عز وجل . فما اعظم جريمة الذي يتجرأ على نكران الاله وجحوده وهذه آثاره سبحانه ناطقة بافصح لسان وأتم بيان بانه المبدع المصور الخالق المدبر وكيف يُنكر وجود الخالق وتتناسى هذه الحقائق مع ان اعتقاد وجوده مخلوق مع الفطر منساقة اليه رغماً عنها عقول البشر الذين نوّر الله بصائرهم وفتح اغلاق قلوبهم وصفّى ضمائرهم وهدى سرائرهم أنظر الى ذلك الاعرابي الذي سئل بم عرفت الاله ؟ فقال : ان البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج افلا يدلان على السميع البصير ؟

نعم ان هناك كثيرين ممن ينكرون وجود الخالق وقد بلغوا في الجحود مبلغاً عظيماً ولكنهم اذا وجدوا من يزيل عنهم الشبه والضلالات بضرب الامثال والعبر والعظات لتزحزحوا عن عقائدهم وخرجوا عن اسر تقاليدهم ودخلوا في حظيرة حسن الاعتقاد بوجود خالق العباد ومدبر نظام البشر الخالق للقُوى والقُدر . وكثيرا ما كان يقوم العلماء والحكماء بذلك وينقذون الجاحدين من المهالك بحسن تدبيرهم ونيّر افكارهم

كما يحكى ان احد الملوك السابقين كان من الكفار الذين انكروا وجود العناية الالهية ولم يعترفوا بها وقد عقد مجلساً للمباحثة في هذه المسألة وبت الحكم فيها وعيّن ساعة الاجتماع وكان بين الذين يعاصرون هذا الملك احد الحكماء العقلاء آلى على نفسه ان يتولى هداية ذلك الكافر ورده عن ضلاله فخطر على باله ان يتخذ طريقة فعالة للوصول الى هذا الغرض من اقرب المسالك فتأخر عن حضور المجلس بضع ساعات حتى ملّ الملك ومن كان معه من اعوانه الاشرار وايقنوا ان ذلك التأخير دليل على عجز الرجل وقصوره وقد صمم الملك على قتل كل من يجهر بعبادة الله فى مملكته اذا لم يقنعه ذلك الحكيم بقوة برهانه وسداد رأية بحقيقة وجود تلك العناية العلوية وبينما هم على هذا الحال ينتظرون قدوم الرجل بفروغ صبر اقبل يسير الهوينا ودلائل الغلبة والانتصار تلوح على محيّاه ولما دنا من الحاضرين فى المجلس هزوا جميعاً اكتافهم واظهروا له التهكم والازدراء اما هو فلم يبال بذلك بل دنا من الملك وحياه باحترام

فنظر اليه هذا الاخير شذرا وقال له : لقد كدنا نقطع الامل من قدومك ايها الفيلسوف الحكيم لانك تأخرت كثيراً عن موعد الاجتماع فما الداعي الى ذلك ياترى ؟ قال : اعلم يا مولاي اني لما اردت ان اعبر من شاطئ النهر الايسر لأصل الى هذا المكان لم اجد سفينة تقلني فوقفت متحيراً انتظر الفرج واذا بي ارى بعض قطع من الاخشاب قد ظهرت طافية على وجه الماء ثم قربت من بعضها والتصقت وتكونت منها سفينة صغيرة بديعة الصنع دفعها التيار الى الجهة التي كنت واقفاً فيها فنزلت اليها وعبرت بها النهر ثم جئت اليكم مسرعاً لاقص عليكم هذا الخبر فضحك الحاضرون جميعاً من هذا الحديث الغريب والتفت احدهم الى الملك فقال : سامحك الله يامولاي فهل لم تجد من يباحثنا ويناظرنا غير هذا الابله المعتوه الذي لا يليق له غير سكنى المستشفيات حتى يشفى من مرضه ؟ وهل سمع احد اعجب من هذه الخرافة التي يرويها ؟ وكيف يصدر هذا الكلام من شخص كامل التصور والادراك ؟ عندئذ التفت الحكيم للحاضرين ورمقهم بغضب وانفعال وقال بلهجة الظافر المنتصر . عجباً لماذا تستغربون ايها السادة حدوث هذه المعجزة وتعدون من يجهر بها ابله معتوها ؟ وانتم مع ذلك تقولون اليوم ما هو اعجب واغرب منها حيث تنكرون وجود العناية الالهية وتزعمون ان ليس هناك ذات غير منظورة تدبر نظام هذه الاكوان بحكمة سامية فاذا كان وقوع امر بسيط مثل هذا بغير واسطة يعدّ في اعتقادكم محالاً فكيف يعقل ان تسير هذه الاكوان العظيمة على نظام ثابت وقاعدة مطردة ووتيرة غير متغيرة بدون وجود مدبر عظيم ومبدع حكيم

ومن منا الاكثر حمقاً وجنوناً يارى ؟ حينئذ اطرق الحاضرون جميعاً الى الارض خجلاً وحياء وقد اعيتهم الحيلة ولم يستطيعوا الاجابة والمعارضة وسرّ الملك من هذا البرهان ولم يطلب المزيد وهكذا ادرك خطأه وارتد عن ضلاله

ان الذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع هو أن أنفي عن أذهان بعض الناس ماافتكروه في عقيدتي من مقـــالاتي الطبيعية والفلكية التي درجتها في جملة مجلات علمية وغيرها

(الدور الثاني)

(في الحياة الداخلية)

ابدأ الكلام في هذا الدور الثاني من ادوار حياتي بذكر ما وجدته فيه من خير أو شر وحلو أو مر واثبت هنا ما عرض لي من الاحوال والظروف التي لا يخلو اثباتها من فائدة يستفيدها الناظر في رسالتي هذه خصوصاً وان الارتباط في هذه الحياة الداخلية اشد وامتن من الارتباط الخارجي لانه بين زوجين يوطن كل منهما نفسه على البقاء مع صاحبه طول الحياه بمراعاه الصلات الدينية والادبية والاجتماعية فعلاقاته متينة وعهوده قوية تأخذ لها نظراً خاصاً والتفاتاً فذاً بخلاف دور الحياة الخارجية الذي لا يبلغ ارتباطه الصاحب بصاحبه والصديق بصديقه مبلغ ارتباط الزوج بزوجه مهما بني الاول على اساس من الحب والاخلاص المتين اذ لا يخفى

ما يعرض فيه من كثرة انتقال وطول مفارقة واختلاف معاملة وما يحدث بين صديقين من زلات وهفوات قد يغفرها لاحدهما مفارقة صاحبه له وابتعاده عنه وقد رزقني الله تعالى بثلاث زوجات دخلت بهن ورابعة لم ادخل بها ولكل معى تاريخ وحوادث لا تخلو من فائدة للمطالع وعبرة للناظر

لا تخطبن سوى كريمة معشر فالعرق رساس من الطرفين
اولست تنظر فى النتيجة انها تبع الاخس من المقدمتين

(الزوجة الاولى)

ان الله عز شأنه اذا اراد بعبد من عباده خيراً من الهناء والسرور هيأ له من الأسباب ما يحقق آماله وامانيه ويسعد ايامه ولياليه وذلك هو ما عودني الله سبحانه وتعالى عليه فقد رزقني من الزوجات اللاتي هن شريكات لي في حياتى من شرحن صدري واذهبن عنى كدري وخففن علىّ ما كنت اقاسيه واعانيه من آلام الحياة ومنغصات الزمان وما كنت اناله من قساوة بعض بنى الانسان ولطفن ما بى من لوعة الوجد وشدة الهيام بسبب فراقي لاخواني الاحبة الذين كانوا معي فى مدرسة اركان حرب العليا اولئك الذين آتاهم الله من فرط الحسن وباهر الجمال ما يبهر اللب ويدهش العقل فى مواهب وصنع المنعم المختار

وانى لكونى مهندساً ودرست الهندسة بجميع انواعها وقرأت فيها النسبة والتناسب فقد يكون عندي فكر خاص به ادرك معنى الجمال الذى لا افسره بغير تناسب الاعضاء واتساقها وحسن تقاربها وارتباطها

ومناسبة كل عضو للاخر وهذا هو الذى كنت اجد نفسى تدركه فى اخواني المشار إليهم وهو الذي من اجله عز علىّ فراقهم وكبر لدىّ حرمانى من مشاهدتهم والتمتع بمحاسن مجالسهم والتحدث معهم الى ان قيض الله لى هذه السيدة التى رأيت من محاسنها وعظيم ما اختصها الله به من المواهب والفضائل ما جعلنى اقول :

حازت من الحسن مالاحازه بشر فلذلي فى هواها الدمع والسهر
انسية حار قلبي فى محاسنها فلا هلال ولا شمس ولا قمر

لم تقتصر محاسن هذه الزوجة وفضائلها على المحاسن الخلقية والفضائل الطبيعية بل انها فضلاً عما أوتيته من هذه المعاني تكملت بغيرها من المهارة فى التدبير المنزلى والتخلق بمكارم الاخلاق والتزين بمحاسن الاداب ولطف المعاشرة والنبوغ فى التطريز بدرجة عجيبة حتى ان كثيراً من اكابر مصر واعيانها وذوى المقامات العالية والحيثيات بها ما كان يعجبهم الا اعمالها ولا يرضيهم من التطريز غير شغل يدها الذى كثيراً ما كنت افتخر بها امامهم فلا عجب بعد هذا ولا غرابة اذا دخلت السيدة صاحبة هذه الفضائل الجمة من قلبي محل القبول واتخذت محبتى لها من فؤادي مكاناً عليّاً ولقد عملت بالنصائح الثمينة التي نصحتها بها احدي السيدات اللاتى حملتها الىّ وادخلتها علىّ ليلة البناء بها وانها لنصائح ذهبية غاية فى الموعظة والادب تشبه ما قالته احدى نساء العرب تنصح به ابنتها حين حملت الى زوجها قالت : « أي بنيّه » إن الوصية لو تركت لفضل ادب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج بغنى ابويها وشدة حاجتهما اليها كنت أغنى

الناس عنه ولـكن النساء للرجال خلقن ولهـن خلق الرجال « أى بنيه » انك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فاصبح بملـكة عليك رقيباً ومليكاً فكوني له امة يكن لك عبداً « يا بنيّه » احملي عنى عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع انفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا طيب ريح والـكحل احسن الحسن والماء اطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدوّ عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة والاحتفاظ ببيته وماله والارعاء على نفسه وحشمه وعياله فان الاحتفاظ بالمـال حسن التقدير والارعاء على العيال والحشم حسن التدبير ولا تفشى له سراً ولا تعصي له امراً فانك ان افشيت سره لم تأمنى غدره وان عصيت امره او غرت صدره ثم اتقى مع ذلك الفرح ان كان ترحا والا كتأب عنده ان كان فرحاً فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني اشدّ ما تكونين له اعظاماً يكن اشد ما يكون لك إكراماً واشدّ ما تكونين له مواقفة يكن اطول ما تكونين له مرافقة واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما احببت وكرهت والله يخير لك »

نعم عملت السيدة المشار اليها سابقاً بهذه النصائح فلم تحد عنها قيد شـــبر حتى كنت اقرأها على محيّاها ولذا امتزج حبي بحبها

واتحدت روحي بروحها وصرنا كاننا تنطبق علينا تلك النظرية الطبيعية والظاهرة الجوية المتعلقة بالسيالات الكهربائية والقوى المغناطيسية

وهي أنه اذا تقابل سيال كهربائي موجب مع سيال سالب يحدث بينهما تنافر قوىّ وتدافع شديد و و . . . الخ واذا كان السيالان المتقابلان موجبين حصل بينهما تجاذب وتقارب واتحاد بمقتضى توحد القوتين وتماثلهما

فكأن سيال الحب الذي من جهتي اتحد مع حبّها بالايجاب فاتفق الميلان واجتمعت العاطفتان وصرت اشعر من محبتها بمثل ما تشعر هي به من محبتي

ومما اذكي نار المحبة بين الطرفين اتحاد نشأة والدها مع نشأتي فقد كان والدها حربياً مثلي درس الطعن والضرب وكابد الاهوال في ميدان القتال بين كرّ وفر وجدال ونزال ونصر وانخذال ورآى كما رأيت كم رأساً منفوخاً ويافوخاً مشدوخاً وجواداً عاثراً. وجملا غائراً . وظهوراً ملووحة . واشداقاً مفتوحة مجروحة . وعورات مكشوفة . وجثثاً في الاطمار ملفوفة. وعيوناً مكفوفة مطروفة. واضلاعاً مكسورة . وارجلاً مبتورة . واجساماً في التراب مغمورة . وبطوناً مفجورة. وحضلات طائرة في الهواء وتقع بين الاشلاء. وانساناً يشرق. وآخر يغرق . وبوارج تحرق. وعظيماً تقذفه الامواج . وكريماً على لوح رجراج . اهتدى اليه بين الامواج . وحصوناً تهدّ . وابواباً تسد. بما يوجب الرعب. ويستطير اللب. بدول تدول . ومعالم تزول. باصوات مقذوفات مزعجة. ونيران متأججة. وافئدة متهيجة. وقنابل تدك البلاد.

ورصاص فتاك يفتت الاكباد: وسيوف قاطعة حامية ورماح مسنونة دامية حتى تغير لون الغبراء . الى حمرة الدماء . واستغاث الكل بمن لهم من اصدقاء واخلاء . ونادوا الماء الماء . ولات حين نداء اذ الكل سواء . في بلاء هذا الموقف المهول . الذي يذهل العقول. فياله من موقف مخيف مهيب . يكثر فيه البكاء والعويل والصراخ والنحيب. وهيهات ان يكون ثم مجيب. من عدوّ أو حبيب. بين اكمة وعراء. واجمة قفراء وسهل وطريق وشعب ومضيق كل ذلك فى سبيل تأييد الشرف والفضيلة بوظيفة ضابط التي هي اشرف مهنة فى عالم الوجود ولها حقوق مقدسة عند الناس والملك المعبود .

فكان ذلك من اكبر الدواعى لزيادة المحبة والاتفاق بينى وبين هذه الزوجة التي اكبرتنى وعظمت مكانتي لديها

مكثت مع هذه الزوجة نحو اربع سنوات فى هناء وصفاء ورزقت منها بولدين وبنت ثم نادى منادى الفراق بحيّ على الطلاق حتى افترقنا مرغمين يبكى كل منا على صاحبه

ومن الاسف ان أمها واخاها وخالها كانوا مرتاحين لذلك رغبة فى كثرة الزواج والطلاق جراً للمغنم وسعياً وراء فائدتهم الخاصة وان عاد ذلك بالضرر عليها لانهم قوم تربوا تربية غير عالية اذ نشأوا نشأة غير نشأتها ووجدوا في وسط غير الوسط الشريف الذي درجت هي فيه وقد مات والدها وصار هؤلاء الأوغاد وكلاً عنها

اخ يخون وخال لا وفا له والام ليس لها قلب ولا كبد

وليست محبتي لهذه الزوجة كانت ناشئة من دواع خاصة أنفرد أنا بادراكها دون غيري بل كان بها من معاني الفضل وخصائص التمييز ما يحبب فيها كل انسان ويدعوه الى التسابق للاقتران بها ومما يؤيد ذلك انها بعد انفصالها عني بالرغم منها ومني اقترن بها رجل من اعيان مصر بصداق قدره ٦٠٠٠ جنيه ولكن كانت آخرته مع امها واخيها وخالها مثل آخرتي معهم ورجل آخر بصداق يبلغ ثلاثة آلاف جنيه وغيره بما مقداره الفان و و . . . . الخ وكأن ما اعطيته هذه السيدة من باهر الجمال هو السبب فيما توالى عليها من الوبال كما حصل لكثير من الناس في سالف الاجيال وناهيك بالشدائد التي انهالت على سيدنا يوسف عليه السلام الذي كان يضرب بجماله الامثال

وكنت كلما هاجت عندي ذكراها اتمثل بقول من قال :

كل حال لضـــده يتحول فالزم الصبر اذ عليه المعول
يافؤادي استرح فما الصبر الا ما به مظهر القضاء تنزل
قدر غالب وسر الخفايا فوق عقل المهندس مهما تكمل

تزوجت هذه السيدة من الرجال ستة واصـــبحت ولها من الاطفال عدة وكان خالها لانسبة بين احواله وطباعه وبين ما لها من حسن الاخلاق ولا تقارب بين صفاته وصفاتها على الاطلاق بل يفترق فى كل شئ عنها اشد الافتراق ولقد كان هذا الخال سبباً كبيراً فى هذا الوبال من تعدد الرجال وكثرة العيال ولم يكن عنده من حسن الرأى وسداد الفكر ما يجعله يتأمل ويفتكر كأنه ممن يحبون الشر والافساد والصيد في الماء العكر وصدق من قال الجهل عماء والفقر اصل

البلاء وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ويرون عواقب ما كانوا من السيئات يعملون ولا عجب فقد صدق الحديث الشريف : (كل ذي نعمة محسود) واقوال الفلاسفه :

وكم فى الارض من خضراء يابسة ... وليس يرجم الا ماية الثمر
وفي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف الا الشمس والقمر

ومما يكمل الغرابة ويتمها انه كان لهذه الزوجة خادم لها كله خال (عبد) اسمه جوهر يمشى امامها وينطبق عليها وعليه قول القائل : فى تشبيه احدى السيدات وكثرة وجود الاغوات

ومن عجب ان يحرسوك بخادم ... وخدام هذا الحسن من ذاك اكثر
فثغرك مرجان وسنك جوهر ... وخدك ياقوت وخالك عنبر

وقد اثر علىّ فراقها حتى انطقنى لسان الحال بهذا المقال شرحاً لهذه الاحوال ليكون عبرة وعظة للجهال الذين يندفعون بجهلهم فى المتاجرة باعراضهم كانها سلعة تباع في الاسواق كما رأيت من أقارب هذه السيدة الذين كان ديدنهم معها التزويج ثم الطلاق وبئست هذه الاخلاق التي تدل على دناءة الاصول ورداءة الأعراق فقلت :

أمنيّة النفس ذات البها ... واسمي هلال لها زانها
سبحان من ابدع شكلها ... وكتب الحسن على ذاتها
ذات جبين واضح لامع ... شريفة النفس ومن لي بها
اللحظ منها ساحر للنهى ... والخد فيها وردة تشتهى
وفي خدها خال كنقطة عنبر ... تشام به كل المحاسن والبها
وبينا فؤادي بالهنا متمتع ... وصدري مشروح كذلك صدرها
اذا بذئاب الانس كشرّ نابهم ... عن الشر والتفريق بيني وبينها

اولئك هم أم كذلك خالهـــا وتبعهما اخ كفيف شقيقها
سعوا فى الفساد كلهم وتعصبوا بقصد مهور يأخذون على اسمها
يريدون تزويجاً لها متعدداً وان ضرّها هذا القران وساءها
وجاؤا بمأذون ليشهد مكرهم وحرّر اشهاد الطلاق برغمها
فقد كنت لا ارضى بذاك ولا جرى بفكرى هذا الامر بل وبفكرها
وغادرت اطفالاً لهم نفقاتهم عليّ وقد اديت باقي صداقها
وقد زوجوها بعد ما قد تركتها بستة من الاشرار ساؤا عشيرها
فبئس اولاء المفسدون وويلهم ولا حبذا من كان يقصد ضرها
اولئك قوم خلفوا الحزن والاسى وكانوا هم الاسباب فى تنغيصها
وهم عصبة الاشرار لا درّ درهم ولا متعوا يوماً بشيء يسئها
نعم قد اساؤا عشرتي وتسببوا لنا فى هزال الجسم منى وجسمها
ويكفيك من شرّ ذا الخال انه وظيفته ذبح الخراف وسلخها
ومن ذا الكفيف انه كان يقرأ الـــمال والبنـــون زينة لحياتها

لا يؤاخذنى القارى ولا يعتب عليّ فى كوني أتيت فى كتابى هذا بسيرة زوجة من زوجاتى وذكرت شيئاً من محاسنها التى ينبغى أن تكون سراً من الاسرار لا يصح ان يتعدى ابواب الدار فلعلّ لى عذرا وانت تلوم. ذلك أننى لم الجأ الى هذا الامر الا ليتعظ الناس ولا يوقعوا انفسهم فى التباس وليتنبهوا إلى ان العرق دساس وليحذروا من شر كل وسواس خناس يعمل على العداوة والتفريق بين كل وفيق ورفيق ويسهل عنده الاكثار من التزويج والتطليق راجياً من المولى عز وجل ان يهدي امتنا الى الطريق الامثل ويوفقها الى الأخذ بالاداب والتمسك بما حسن منها وطاب والى

معرفة أن النسب عصب حتى تبتعد الامة عن امثال هذه المثالب التي جعلت بلاد مصر بلاد العجائب والغرائب انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .

(الزوجة الثانية)

ان الانسان فى هذه الدنيا لا يكاد يصدق بالقول المأثور ويؤمن بالخبر المشهور مهما قام عليه من الدليل والبرهان ما لم يشاهد بنفسه ويبصر بعينه ويطابق الخبر العيان فبينما هو يسمع اقوال الحكماء ونصائح العلماء ويكون فى شك من جهتها فلا تأخذ من يقين قلبه محلها ولا يعمل هو بمقتضاها اذ تراه يصادفه من الشواهد فى هذه الحياة ويعترضه من الحوادث ما يعتبر به ويلفت نظره الى تلك الاقوال الحكيمة والنصائح الثمينة التي كان من قبل يرتاب فيها تصبح لديه حقيقة ثابتة وبرهاناً ساطعاً على صحة ما قال الحكماء وصدق مافاه به النصحاء ويصير من اكبر المؤيدين لها الداعين اليها الحاثين على العمل بها وهذا هو المهم عندي والسبب الاكبر فى ذكر تاريخ هذه الزوجة الثانية رحمها الله رحمة واسعة واسكنها فسيح جنانه

منهن جنات تفيا ظلالها ومنهن نيران بغير وقود
ومنهن من تسوى ثمانين بكرة ومنهن من تسوى عقال قعود

كان كثير من الناس ولا يزالون يعتقدون ان السعادة الزوجية لا تتم لامرئ الا اذا اقترن بسيدة اول ما ينظر اليه فيها ان تكون من البيوتات الكبيرة صاحبة الشهرة والثروة والجاه ذات الخدم

والحشم والنعمة الواسعة واليسار الكثير ولو كانت خلواً من كل فضيلة متشبعة بكل رذيلة لا يهمه الا والداها وما لهما من المال والجاه وان سعت فى الفساد رجلاها وامتدت الى النقائص يداها وتطلعت الى الخنا عيناها واصاخت الى سماع الفحش اذناها وهو لا يعجبه منها الا مالها وجمالها واذا وصل الى ابعد غاية فساد اخلاقها وقد نسي مثل هذا الانسان او تناسى ان السعادة ليست وقفاً على امثال هؤلاء ومثيلاتهم وان كم فى الزوايا من خبايا وكم فى مظان الخير والشرف من بلايا وكم فى مواطن الفقر والضعة من عطايا وهدايا

وبرهاني على ذلك ما اسوقه اليك ايها القارئ الكريم من الكلام عن هذه السيدة فان فى تاريخها عظة وعبرة لقوم يعقلون

كان والد هذه السيدة رجلاً سماكاً لا يعرف من الدنيا سوى السمك وانواعه المتعددة من بوري وبلطي ولوث ومرجان ووقار و و . . . الخ وكانت تغلب عليه فى لهجته الكلمات المتعلقة بتجارته فتراه كلما رغب الانسان فى محادثته يقول : الشبكة السنارة البوصة وهكذا . واذا اطال احد معه الحديث يقول : (نغشوشى تعب من العبارة الفلانية) و و . . . . الخ وصار مثل الرجل الذي اصله مراكبي وهو صغير ثم صار مديراً وهو كبير وكل شخص يحضر اليه فى عبارة يقول له : (قل الحق والا اكسر مجاديفك) ولا عجب فان الحرفة تغلب الانسان فى كثير من الاحيان وكثيراً ما كان

بمن علىّ بانه اهدانى زوجة تشبه سمكة مرجان ووقار وبولطية و و . . . . الخ حتى انه وصفها ذات مرة بانها كالحوت فى اطوارها وخصالها ولذا تمثلت معه بهذين البيتين

اهديت لي حوتاً يا من فاقت عرائسه السماك

فاقبل المدحي بحق من اهدى إلى البحر السماك

ولهذا لم اكن اذوق طعم محادثته ولا يسر خاطري بمساعرته غير ان الحالة التى كانت عليها بنته من الـــطاعة والامتثال لكل ما آمرها به وسعيها في راحتي وعملها على ارضاء والديّ عنها كل ذلك هوّن علىّ أمر والدها وخفف عنى بعض ما يقاسيه مثلى ويستثقله من رجل سماك مثل هذا حقاً ان هذه السيدة كانت على جانب عظيم من الفضائل قائمة بفروض الزوجية حق القيام مهونة على بعض ما اقاسيه من الآلام تسارع الى اتيان ما يرضينى مهما كان شاقا عليها وتتباعد عن كل ما يبغضنى مهما كانت له محبتها يدلك على ذلك انها قرأت لي جملة مقالات في الجرائد اذم فيها الجهل واهله وبعض البدع السيئة وانعي على اهلها فمن ذلك المقالة الاتية بالنسبة لسمك الحوت الذي سبق ذكره وهي

(ملحوظة)

مما سرنى وزاد محبة هذه السيدة فى قلبي هوانها اثرت على اهلها وجيرانها واصحابها بان يتمسكوا بحلية الفضايل ويتركوا البدع وضرب الودع و و . . . الخ وقد عملوا بنصيحتها واستقام واعتدل حالهن مع ازواجهن

(الكسوف والخسوف)

— الجهل عماء —

قاتل الله الجهل قد اشتدت ظلمائه فى وقت آن لشمس العلم ان تظهر فيه بعد الغروب فتبصر بها عيون عميت وتستهدى بها عقول ضلت عن واضح الطريق وقد اتسع نطاق المعارف ودنت قطوفها وما من جهة من الجهات أو قطر من الاقطار الا وهى روضة من رياض العلوم التى يتوصل بها الى اكتشاف الحقائق وكفى بذلك ما عرفناه عن سير الكواكب ومقارنتها بعضها لبعض فيقوم البرهان ويصح الدليل وتتضح الحجة على صحة قوله تعالى : (والقمر قدرناه منازل) وقوله : (والشمس والقمر بحسبان) وقوله : (والشمس تجري لمستقر لها) وقوله : (وكل فى فلك يسبحون) الى غير ذلك من الآيات الباهرات وقد علم الفلكيون اسباب اقتران الكواكب بعضها ببعض واتصالاتها بالشمس والقمر وحيلولة الارض بين النيرين فلم يبق للجهال حجة يستدلون عليها اذا انكسفت الشمس أو انخسف القمر أو غيرهما من بقية الكواكب على ان هناك ما يخوف منه بدلالة احاديث باطلة واكاذيب عاطلة مثل قولهم : « يا بنات الحور قولوا للقمر ينور » وفى زعمهم ان الحوت كاد يبلع القمر لولا صراخهم وطرق نحاسهم ودعائهم وسجودهم وركوعهم فالى متى تظل هذه العوائد راسخة بيننا ونور التمدن ملأ الاقطار وبدد ظلام الجهل من جميع الامصار

وانكشفت الغياهب وانفتحت دروب المواهب وانسدل الستار عن كل يأس وعار وخفت المتاعب وسهلت المصاعب وزال كل وعر بنظافة المخيلات وصيرورتها معدناً لطبع كل ما يغنى ويبهر وعم العموم ذلك الا النفر اليسير سيء الخط والتدبير الذين لانزال بهم وبجهلهم اعجوبة المتعجبين واضحوكة الضاحكين حيث صاروا يطبلون ويزمرون ويبكون ويضحكون علينا الغرباء عندما يخسف القمر مع ان خسوفه يكون كما تنبئنا به التقويمات ويخبرنا به حسابات الفلكيين قبل وقوعه بايام واشهر واعوام ومع هذا كله نرى الجهال على عادتهم القديمة وعقولهم السخيفة فمن لنا بمهذب يهذب افكارهم وينور بنور العلم عقولهم حتى يرجعوا عن ضلالهم القديم وينتظموا فى سلك من عرف الحق حقاً فاتبعه والباطل باطلا فتجنبه و و . . الخ وناهيك بحوادث الخسوف التى نصيبها منهم مثل نصيبها في حوادث الكسوف .

(فكاهة)

رب سارة ضارة وضارة سارة

(النوتى فى حساب والرئيس فى حساب)

بينما أنا اقول واعيد وأنادي في المجالس والنوادي تلبية لداعي المعاملات الاخوية والواجبات الوطنية واحرر ببعض الجرائد والمجلات العلمية فى التمسك باذيال العلوم والمعارف والبعد عن امثال هذه الخرافات والسخائف واتلو على زوجتى تفسير بعض الغامضات التى خفيت عن الكثيرين والكثيرات ارشادا لها ولمثيلاتها اذ ورد علىّ من احد الفقهاء الادباء الرسالة الآتية :

يا صاحبي دع عنك قول الهازل ... واسمع نصيحة عارف بالحاصل
اجهل تجد صفو الزمان فانه ... من قسمة الغر الغبي الجاهل
ودع التعقل بالتغفل يستقم ... امر المعاش فخطه للغافل
وارض البلادة تغتنم من بابها ... مالاً وجاهاً بعد ذكر خامل
واذا ابيت سوى العلوم فلا تضق ... بحروب دهر لا يميل لفاضل
قلب تواريخ الاولى سبقوا تجد ... دنياك ما قيدت بغير الباطل
تجد الافاضل فى الزوايا كلهم ... حال الحياة وبعدها بمحافل
العلم ستر كالسحاب به ترى ... شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
هل ابصرت عيناك ديوانا به ... مدح البليغ جميل سعد حافل
ان قلت أى فاذكر لنا من ناله ... أولا فعش كالناس فى ذا الساحل
ضدان لا تلقاهما فى واحد ... مال الغبي وحكمة للكامل

فان من رزق العقل . اكتفى بالفضل . لا بالمال . وحسن الحال. فله التصرف فى . قالوا وقلنا . لا نالوا ونلنا . له من الادب قناطير . ومن المال قدر النفير . فاذا وضع العفة . أمام الف قفة . تساوي مع جامع الحطام . في كسوة وطعام . ولا اختلاف الا في الالوان . ومظاهر الاكوان . فما رأينا غنياً يأكل الذهب . ولا فقيراً يطعم الحطب . ولا مثرياً جعل ثوبه عقيانا . ولا فاضلاً مشى عريانا . واذا استوى الناس في هذه العادة . كان الفضل لأهله زيادة . ومن ربح الفضل غبط اذ يرى عمل غيره حبط . فطرة الله التي فطر الناس عليها . فعش بحالة اوصلك اليها . ولا تظن ان الوسائل . هي الفواعل . بل الفاعل المختار . هو رب الآثار . فقد تولاك طفلاً لا تعرف الحيلة . ولا تتصور الوسيلة . رفع زيداً وعمراً . وجعل

لها غنية وامراً . ليستخدمها لك . عند ما تظهر افضالك . فلك الراحة وعليهم التعب . ولهم الغلظة ولك الادب . لاذكر لهم بعد ذهاب الجسم . وانت خالد الفضل والرسم . وسيرهم من الباقيات الصالحات . بخ بخ للادب مع قلة الارب . وتعساً تعساً للمال . مع سوء المآل . نعم ان مستفعلن فعول ليس فيها خـل ولا بقول . والفاعل والتميز . غير الذهب الابريز . والرطانة بلغات الطليان واليونان والفرنسيس والانجليز . والبديع والبيان . لا تشتري بهما الاطيان . والهندسة والحساب . والكيميات وعلم الاصطرلاب قل ان تدخل فى الاسباب وتوسع مادة الاكتساب . فلو اتيت الجزار . بديوان مهيار . واشارات الرئيس . وموجز ابن نفيس . والدر المختار . ومفردات ابن البيطار . ووسائل الابتهاج . ومخترعات ابن الحجاج . ومعاهد التنصيص . والتهذيب والتلخيص . ومجمع الميداني واجزاء الاغاني . والبحر والغنية . والهداية والقنية . وما يتبعهما من كتب العلوم . الحدود والرسوم . وبعته ذلك برأس عجل . أو كارع رجل . لرأى انه المغبون . اذا باع اللحم بالفنون . وحمّلك هذه الاسفار وقال ذهب بها إلى العطار . فان اعطاك قطعة صابون . برسالة ابن زيدون . أو درهماً من الطيب بمغنى اللبيب . أو اوقية من الفلفل المعلوم . بالشفاء أو إحياء العلوم . أو بعض التوابل بانساب قريش والقبائل . فتعال خذ الشاطور والوضم . والحقنى بهما بالعدم . ثم خذ القاموس والصحاح . ولسان العرب . والمصباح . والمنهاج والمفتاح . والبهجة والايضاح . والزبد والمنخول . والروض والمحصول ومجمع البحرين . والمحيط والمتصفى والوسيط . ومفاتح الغيب ولباب التأويل

وروح البيان واسرار التنزيل . وكامل المبرد والتجريد . والمواقف والعقد الفريد . والمطالع والمقاصد . والفصول والفرائض وايساغوجي والغرر . والجوهرة وتناسق الدرر . والفتوحات وكشف الران واليواقيت والاتقان . واذهب بها فى الحال . إلى الخضري والزيات والبقال . فان اعطوك بعض البقول . أو جانباً من ام الخلول . أو درهماً من الزيت . توقد به في البيت . فخذ الخطاف والسكين . ودعنى منلا مسكين . ولا ينفرك من الصناعة . كساد هذه البضاعة . فان شرف الانسان . موقوف على العرفان . وانك وان فارقت صاحب الميرة ولزمت ساحة البيت الصغيرة . فعما قريب تجلى شمس الكروب . وتمحي آثار الخطوب . وتقطع نحر العسر . بسيف اليسر . فتجلد ولا تكن من القانطين . واصبر فان الله مع الصابرين . والا هندس يامهندس . ونادى بالعلم فى كل مجلس . بين كل غنى ومفلس :

وقد وصلنى ايضاً فى هذا المعنى من احد الادباء اذ وجدني واقفاً على رجلى فى قطار ولم أجد محلاً اجلس فيه وسعادة بهائم بك جالس على مقعد وهو مرتاح وشنطته بجانبه فقال ما يأتي :

كبرّ على العلم يا هلالي ... وملْ إلى الجهل ميل هائم
وعش بليداً تكن سعيداً ... فالسعد فى طالع البهائم

ومع أنى كنت اسمع كثيراً امثال ذلك من بعض الادباء والفقهاء. فلم آل جهداً ولم أدخر وسعاً في ان أدلي بدلوى فى الدلاء. واسعى فى البحث والتنقيب . عن كل عجيب وغريب . ولذا

عند ما قرأت ذلك على السيدة زوجتي أشارت علي بالكتابة فى المقالة الآتية وهي

(الشقاء والمنائين علماء الفلك والفقهاء)

اذا كانت مطالعة الكتب العلمية والمجلات الادبية لازمة وضرورية لكل انسان الا انه لا يمكن أن يبلغ بها درجة الكمال الا بممارسة العلوم الفلكية اذ لا يكفي الانسان أن يكون عاقلا كاملاً مؤدباً مهذباً هيناً ليناً تقياً ديناً وو . . . . الخ بمجرد التصديق والامتثال بل بالادراك واليقين فى القوانين الفلكية المطابقة للاحاديث النبوية والآيات القرآنية فيتخلص بقوة ادراكه وقدرة تصوره وشعوره من الاوهام التى تفسد الاحكام المرعية وتضاد الصواب وتوجد الشك والارتياب في فصل الخطاب اذ لا مزية للأداب اذا كانت مؤسسة على الخطاء

ومما يدل على عظم اهمية هذا العلم وشرفه ومقداره بين العلوم هو اعتناء علماء الدين الاقدمين منهم حجة الدين الامام الغزالي وابن رشد و و . . . . الخ فطاحل هاتيك الازمان الذين وضعوا التآليف العديدة والتصانيف المفيدة ورصدوا السيارات والثوابت ورسموا المنحرفات والبسائط بواسطة حساب المثلثات المستقيمة والكرويه بالظلال والجيوب والقواطع بالتفاضل والتكامل واللوغاريتمات رقاسوا العروض والاطوال وسطروا تقاويم الاعمال بالآلات الفلكية والربع المقنطر والربع المجيب والاصطرلاب ولم يدعوا كبيرة أوصغيرة الا أحصوها ومارسوها وضبطوها ودونوها ونشروها بما يوافق

العلم والدين حتى قال أحدهم لافلاطون الحكيم المشهور ما الحكمة في خلق العينين فى الانسان ؟ فقال للنظر بهما الى سماء القبة الزرقاء غطاء هذا الفضاء من هواء وماء والى الكواكب وما تحويه ذوات الاذناب والسيارات و و . . . . الخ حكمة الواحد الاحد

هذا الجواب وان كان فيه مبالغة الا أنه صريح في مدح هذا العالم الحكيم والفيلسوف العظيم لمقدار علم الفلك زيادة عن اقرار الحكماء العظماء بقولهم : ان الذين يدرسون العلوم الفلكية ويذهبون بقلوبهم وعقولهم الطاهرة الصادقة الى الكواكب ويتأملون في علم السبع سموات واقدارها وطبقات الارض السبع وصخورها وسهولها وجبالها ووديانها وخيراتها وغدرانها وجداولها وبحارها وأنهارها وتكويرها ودورانها حول الشمس والنجوم يعمرون اكثر من غيرهم فى الاولى والاخرة وذلك لان هذه الامور ترفعهم الى أعلا الدرجات وتوجد فيهم لذة نفسية هي من اكبر الاسباب عليه والوثوق بصحته لانه يوجد هناك دليل آخر أقوى منه يكفى لتنفيذه ودحضه وهو أن الناس الذين كذبوا ذنيك العالمين فى عدم وجود الاحياء فى العالم الشمسي قالوا أن الطقس وحالة الجو فى ذلك العالم الشمسى لا يسمحان بتمتع الحيوان والنبات وقد يمكن أن أقول ولا أخشي لومة لائم ولا اعتراض مكابر غير فاهم ولا مناقشة غير ظالم من الذين يحكمون وهم غير متمكنين ولا يعرفون من قوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) وبالجملة فان هذه الآية الباهرة والنعمة الوافرة هي فصل الخطاب بين الذين يقول بعضهم بالسلب وبعضهم بالايجاب فى مثل هذا الباب وناهيك باهل

الدين الفلكيين الذين حسبوا الحساب الفلكي الذى استفاد منه العالم أجمع وخرج من الظلمات الى النور الى عالم الانسانية الحقيقية المحاط بالهناء والصفاء والفرح والسرور بحصر المحيطات والبوغازات والبرور

من تعيين طول السنة برصد نقطتى الاعتدالين الخريفى والصيفى وأجروا العملية الفلكية لذلك وهى قياس قوس من دائرة خط الزوال وقد عرفوا أيضاً أن حدود اكبر عرض للقمر غير ثابتة بل متغيرة وقد خالفوا فى ذلك مذهب العالم اليونانى الشهير بطليموس

ثم حسبوا باكتشافاتهم الفلكية ذات الاهمية العظيمة الان فى جميع البلدان الشرقية والغربية وهى تحديد نقطتى الاعتدالين ورسم مواضع النجوم فى كل من أيام السنة ووضعوا أسماء البروج الاثنى عشر التى يقال عنها النظام الشمسى بقولهم

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدى نزح الدلو بركة الحيتـان

وقسموها الى أربعة فصول كما هو معلوم ومفهوم الآن لكل انسان وهى الشتاء والصيف والخريف والربيع

(النتيجة)

تلوت جملة مقالات فلكية على هذه السيدة زوجتى فأعجبت بها وعرفت منها حقيقة أميالى وأفكاري نحو الخزعبلات والتدجيلات وانى اكرهها شديداً وأبغض أهلها وأسعى فى التنفير منها ولذلك قرأتها على جملة من النساء جيرانها ومعارفها وأهلها ونفرتهم منها حرصاً على مستقبلها معي وسعياً فيما يرضينى عنها وقد أفادت ارشاداتها لهنّ حتى

ان بعض قريباتها و و . . . الخ اللاتي يعتقدن في الزار والودع والنجم والرمل واعمال الفلك الغير علمي وو . . . . الخ تركنه بالكلية عملاً بنصيحتها وهي ان علم الفلك العلمي برأ من ذلك

ولقد كان والد زوجتي هذه بالغاً من الجهل مبلغاً عظيما أميّا لا يقرأ ولا يكتب ولكنه كان غنياً كبيراً ذا مال وفير وثروة طائلة ولكنها لا تغني من العلم شيئاً وسبحان من يهب الحظوظ حتى كان بعض الاخوان يقول له : من أسماك أغناك . لانه كان رجلاً سماكاً لا يدري قيمة العلم ولا منزلة أهله ولذلك بعث الحيّ مرة على لسان أحد شركائه ويظهر انه رجل رشيدي هذه الابيات :

ارقص لقرد الجهل في دولته وخلّ طبعك مثل طبع القرود
واترك كلام العلم من فكرتك وابقى لأهل الجهل أول ودود
وان كنت تتقيد بأهل العلوم تقرأ زبورك عند مَنْ يا داود
أحسن لك أقعد وبع في الوقار والبولطي والمرجان تعمل لك نقود
وان كنت عاوز تبقى في اللي أنت فيه فاذهب بعلمك نحو عادمع ثمود
والجهل ماشي في البلد بالعريض شف لك تجارة في الكرشة او في الجلود

فما كان من ابنته الا أن ردت على أقواله بما يليق بحاله : واجلالا وتعظيما للعلم وأهله واكراماً واحتراماً لبعلها بقولها

العلم فيه جلالة ومهابة والعلم ينفع من يبيع ويشتري
بولطي وبوري ثم واقار على قلاقله قوقع ثم ريدسا وجنبري
تغنى المطاعم بعد لحظة بعضها والعلم يبقى باقيات الاعصر

وكأن الله سبحانه وتعالى أبقى الستر والغنى على بيت هذا الرجل ما دامت ابنته زوجتي باقية حية تنشر بين أهلها المكارم والآداب

والفضائل التى تقتبسها منى ومن بعض الجرائد العلمية حتي اذا ماتت واختارها الله الى جواره زال ذلك الغنى الكبير والمال الوفير فانها بعد وفاتها رحمة الله عليها ذهبت الثروة وافتقر الرجل ومات وذهب فى خبر كان هو ومن كان يتبعه من عائلته ويصدق على ذلك قول القائل :

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت المجد والشرف

وقد مكثت هذه الزوجة معي ١٥ سنة ثم تركتنى أقاسي آلام الفراق وأعاني شدائد البعد الذي ليس بعده تلاق وآخر نصيحة قالتها لى هى :

العلم أفضل مكتسب والعلم أفضله الادب
فاشدد يديك بحبله فلحبله أقوى سبب
هذا هو الكنز الذي يبقى اذا فنى الذهب

ولذلك صرت باكياً قائلا :

قد أنشب الموت سنارة فى الحوت واصطاده عاجلا
وعزمنى الصبر فى فقده وخلف الحزن لي ماثلا
لا زال يروى قبرها صيّب من رحمة الرحمن مولى الملا
والله عز وجل وعلا يرزقنى الصبر على ذا البلا

(الزوجة الثالثة)

حقاً لقد صدق من قال : ان العلم نور والجهل عماء فان الجهل اذا انتشر بين قوم فشت فيهم المفاسد والشرور وتعددت أنواع الحيل

والتضليل ونصبوا شراك التغرير لاصطياد المسالمين الموادعين بواسطة جمعيات يؤلفونها لا تقل في نتائجها وآثارها السيئة عن جمعيات المجرمين الاشرار السفاكين أهل التعصب والاحتيال وانهم لقوم يجب مناهضتهم وايقافهم عند حدهم والضرب على أيديهم بمقامع من حديد لتكفي الناس شرهم ويأمنوا جانب الوقوع بين نفاخهم ولا غرو فقد قيل :

قتل امرىء فى غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

يوجد بالقطر المصري عدة جمعيات أعضاؤها جماعة من الاشرار الذين ديدنهم جمع الدرهم والدينار من كل ذي غنى ويسار بطرق شيطانية وحيل أبليسية يدخلون بها على من كان سليم النية فيسلبون ماله ويتركونه يعض بنان الندم ولات ساعة مندم

من هذه الجمعيات جمعيتان يقال لاحدهما (جمعية المعرسين) وللاخرى (جمعية المعرشين)

أما الاولى فوظيفتها التأثير على من يريد التزوج والتوسط بين العريس والعروسة ومدح كل منهما عند الاخر واختراع محسنات تحسن كلا لصاحبه

لهذه الجمعية جملة أعضاء من الرجال والنساء كل يقوم بوظيفته ويسعى فى دائرتها بنظام ويتقن تمثيل دوره أيما اتقان وتراهم يستقون أخبار الموتى الموسرين كل يوم من فئة (الحانوطية) حتى يعرفوا العازب والعازبة فيتسلطون على فكرهما ويؤثرون عليهما بانواع المؤثرات بمحسنات لا حقيقة لها مثل قولهم للزوج عن الزوجة : هى جميلة غنية مهذبة مؤدبة من بيت عال وو . . . . الخ حتى اذا دخلت

عليه ليلا (والليل غشاش) وجد منها صورة حسنة وهيئة مقبولة ورائحة عطريه وشكلا مقنعاً حتى اذا أصبح الصباح وجد كل تلك المحاسن مستعارة لا وجود لها فلم يعد أثر لحمرة أو بياض أو رائحة زكية ولا هيئة حسنة وكأن هذه الاشياء أشبه بحمض الكربونيك الذى ينتشر ليلا من الازهار والاثمار والاشجار حتى اذا أشرقت الشمس طاردته وبددته ولم يبق له من آثار

أما الجمعية الثانية التي تدعي (بالمعرشين) فاعضاؤها الذين يخيّمون بعروشهم على عقول الورثاء البسطاء من رجال ونساء وبنات وأبناء ليوقعوهم بين الاغنياء الادنياء ليمتصوا دماءهم ويشتروا منهم عقارهم ودورهم ويتركوهم فى خمود وجمود فى هذا الوجود فهم عندي أشبه بالايدروجين المكبرت ذى الشراهية العظيمة لامتصاص المواد الجيرية الكلسية من الابنية حتى تؤول هذه الابنية الى السقوط والهبوط وناهيك بوجود كثير من جمعيات شهود الزور وسماسرة القضايا فى مثل هذه الرزايا الشركاء لهم فى تضليلهم

ولما كان الحذر لا يغنى من القدر فقد وقعت فى شرك هؤلاء الاشرار أفراد عائلة المعرسين مع اني من الذين حللوا الماء والهواء واتصلوا بافكارهم الى السماء وبحثوا فيما يتعلق بالقبة الزرقاء . نعم فقد أثر علىّ هؤلاء الناس وغشوني وحببوا الىّ التزوج باحدى بنات أحد الامراء اللاتى يوافقن مذهبي ومشربي على قولهم فصغيت لاقوالهم واغتررت باوصافهم ودفعت المهر حسب طلبهم فلما كانت الليلة المعهودة شاهدت من الزوجة هيئة ظاهرها حسن وخفى عنى ليلا ما قد استتر وبطن واذ أصبحنا تجلى لى كل ما كان فى حيز الاستتار

ومحا هيئة الليل ضوء النهار ولم أجد أثراً للبياض والسواد والاحمرار زيادة عما كان هنالك من النهود والارداف الصناعية

(ملحوظة) أرجوك أيها القاريء الكريم أن لا تعتب علي في كوني آمنت وتوكلت على هؤلاء الطغاة اللئام في نجاز مطلوبي بالصفة المتقدم ذكرها لاني رجل عاشرت جملة من أمراء أوروبا الامريكان الذين رأيت منهم الامانة والصـــدق والذمة والشرف والسريرة الطاهرة وصداقة القلب لكل انسان مهما كان ومدة خدمتي في الحكومة ٣٠ سنة قضيتها مع الاوروباويين الذين اكتسبوا الدنيا بصداقتهم لبعضهم البعض انكليز وفرنساويين والمانيين وطليانيين ونمساويين وبونانيين وأرمن ويهود وروسيين وهنود وناهيك باهل الصرب والبلغار والدنمرك والسويد والنرويج وو .... الخ الذين صبغوني بصبغة رجل لا يعرف الكهانة ولا الكذب ولا التملـــق والنميمة والرياء والمداهنة في القول والعمل حتي صرت سليم النية طاهر الطوية

قابلت هذا القضا بالرضا والتسليم وصبرت على ما قدر العزيز العليم خصوصاً لمعرفتي بوالديها واخوتها ولهذا لبثت عندي شهراً ونصف وما ذلك الا اني وجدت منها في أثناء هذه المدة ما هو أدهى وأمر وأنكي وآضر حيث كانت تميل الى كتب الاغاني والادوار الغنائية الحديثة فضلا عن قولها لى ذات مرة ان لك المام بعلم الفلك السفلى حتى اضطررت أنا لاحضار بعض أقاربها وقرأت لهم الآتى : لانفى عن نفسى ما علق بفكرها وفكر أهلها بالبيان الآتى

(علم الفلك الاصلي والفلك السفلي)

(لأهـــل)

(طوالع السعود والنحوس والفرح والبؤوس)

سألت أحد الكتاب مرة عن رأيه فى الكتابة الصادقة وفى الطريقة المثلى التي ينبغى أتباعها فى خدمة العلوم والفنون بامل نفع البلاد والعباد فاجابنى على سؤالي بما محصله :

اذا شئت أن تكون كاتباً حقيقياً وان يكون فضلك وأدبك مقدرين حق قدرهما عند من يقرأون لك شيئاً خصوصاً فى العلوم الفلكية فاكتب بيراع الذمة من مداد القلب على قرطاس الصدق والحقيقة بدون اجهاد فكر أو كد قريحة أو تعب ذهن وبغير تكلف ولا تعقيد وو ... الخ فسمعت هذا القول وقلت : ان هذا هو من اصالة الرأى واخـــلاص النية الذى جعلنى أن لا اكتب بالسجع وأفرد الجمـــع وأذيب الشمع واسترسل الدمع والفت السمع لانى لست امرأ القيس والفرزدق والاخطل والطغرائي والسموأل وأبا ذئيب وسحبان وحسان والاصفهانى وابن هانى وابن عباد وجرير ولا ارسطو وهوجو وشكسبير حتى أقوم ببراعة التحرير وعبارة التحبير بتفسير اشارة الضمير لمثل هذا العنوان الذى يندى منه خجلا جبين الجبان قبل الانسان

بل لست أعلم من الفلسفة الا اسمها ولم أذق طعمها وما حلوها ومرها سوى وصفها .

دع الفال واطلب علوماً ففيها رشاد وحظ الرقه
ونائي الذى بضد ذا فالعلم نور والفال سفه

وذلك ضد أقوال الذين يقولون أن الفلسفة الفلكية هي معرفة طوالع السعود والنحوس والفرح والبؤوس وضحك الثكلى وبكاء العروس وتذكية لهيب الاشجان فى النفوس والاطلاع على الغيوب والتآلف بين القلوب مع أن علم الفلك براء من هؤلاء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولو كنت فلسفياً لوصفتهم باقبح القاظ العيوب

ولاأنا أتصور عن البسيطة الشيء الكثير ولا أدرى عن الانسان الا اليسير وما ارتباط الارض بالاجرام السماوية بحالة اضطرارية أم اختيارية وما هبوط آدم وحواء الى الارض واقترانهما بعضهما ببعض حتى كنت أذيقهم الهوان بالطول والعرض

ولا انا بالطبيعى الذي يوضح خواص الماء والجواهر الفردة والتمدد والجذب والمرونة والحرارة والبرودة والنور والصوت والتبلور والكثافة والوزن النوعي للاجسام وسقوطها فى الهواء والماء واتحاد واختلاط وتركيب وامتزاج المواد بعضها ببعض بالظاهرة الطبيعية والنظرية الكيماوية حتى كنت اركب لهم تركيبا يصليهم حرارة وتعذيباً

ولا انا بالفقيه الذي يعى من العلوم والروح والقلب والنفس وما منافع الشمس للموالید الثلاث من نبات وحيوان وجماد حتى كنت أريهم منزلتهم الحقيرة بين العباد

ولا انا بالكيماوي الذي يحلل الماء والهواء الى اوكسيجين يحرق وأيدروجين يطفي وكربون يحتق وازوت يسحق واستخراج الجواهر الكشافة من حوامض واكاسيد واكاسير ارواح وأملاح كربونات وكبريتات وازوتات وسلفات ويودور وفوسفور وحمض بوريك

وحمض ازوتيك حتى كنت أحلل طبيعتهم وأميز فصيلتهم وأسلط عليهم شراهية الميكروبات ليلتحقوا بالاموات

ولا أنا بالرياضي الذي يعبر ويفسر الفرق بين لفظة تساوي وتبادل وتفاضل وتكامل وتناظر وتعادل ويمسك المسطرة والبركار ويرسم البربخ والسحارة والقنطرة والكوبري والمعبرة ويشرح علم قطع الاخشاب والاحجار بالاسافين والمنشار حتى كنت أذيبهم بحمض الفلدسبار

ولا أنا بالفلكي الذى استكشف سكان المجرة والمريخ في مثل هذا التاريخ وما حوادثها وعوارضها الجوية وهالات الشمس وشاماتها وغازاتها الحرارية حتى كنت أرميهم بشهب نارية

ولا أنا بالراوى الذي يفهم الوطاب ويفرغ الجراب بذكر هؤلاء الاقطاب علماء الفلك الذين أهدوا الامم وأوجدوا النعم وان أتى على الشرق حين من الدهر كان يترنم بنشيد كدهم واجتهادهم وعلومهم ومعارفهم فى حين كان الغرب يتخذ الكهوف والاكواخ مسكناً وداراً وجلود ما يقتات به من الحيوانات لباساً وشعاراً لا يميزه من الحيوان سوى خاصية اللسان والان جنى مالذ وطاب ورمى الشرق بحنظل العتاب . على ما ضاع منه من علوم وفنون وصنائع وآداب

ولا أنا بالسائح الذى ركب البحار وجاب مفاوز القفار لاستكشاف الغوامض العلمية والمستحدثات العصرية وقال

ان أهل العلم بامريكا مثل أرباب الجرائد ورؤساء الاندية العلمية الفلكية الذين كادوا أن ينفردوا بالافكار العجيبة والايات الباهرة الغريبة ولا عجب لذلك فانه أصبح بين مجلاتها وجرائدها ومحاضراتها العلمية

الفلكية ما يطبع على أقمشة يمكن بعد مطالعتها استعمالها كملابس ومناديل وفوط وخلافه كسائر الاقمشة المعتادة وبعضها يخول لمشتركيها مرة كل شهر حق التمتع بمائدة فاخرة على نفقة الجرائد الفلكية المفعمة مواضيعها بالمباحث العلمية بالآلات الفلكية التي تنبيء الجمهور عن عوارض الجو من حر وبرد وغيم ونحو وزلازل وفوران براكين واختفاء وظهور بعض الكواكب وو .... الخ بمثل هذا التنبوء عن الاشياء المفيدة وليس مثل تنبئو الكثير من مجلاتنا عن طوالع السعود والنحوس والفرح والبؤوس وبعضها يبعث بالطبيب لمشتركيها متى أصيبوا بأى مرض وتقدم لهم العلاج والدواء مجاناً وتتكفل بنفقات دفنهم اذا قضى عليهم وتعطي مكافأة مالية لمن يخبرهم عن أهم الآثار والتحف الشرقية العربية القديمة والكتب الفلكية

(مثل الشمعدان الفلكي العجيب)

الذي كان يدهش عقول كل من حضر من الفقهاء والادباء والعظماء والامراء وكل من كان له الشرف الاسمي بمجالسة الملك المنصور في قصره بمدينة بغداد اذ يرون ساعة فلكية للصلاة على هيئة شمعدان من نحاس أصفر وكان من غريب صناعتها أنه عند تمام كل ساعة من الزمن يخرج فرفور جميل ويدور دورة حول الشمعدان وعند قرب طلوع النهار يبرز تمثال صغير من احدى زوايا الشمعدان على شكل صبي باسم الثغر جميل المنظر بديع الصورة وينطق بلسان عربي فصيح . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم يرجع الى حيث

أتى وهو ثابت الجأش مودعاً فى قلوب الحاضرين جانباً من العجب والاندهاش .. (فانظر يارعـــاك الله في ذلك من علم وصناعة)

من مثل هذه الاشياء التى تسر الخاطر وتؤنس الناظر وتأخذ العجب من النفوس وتفعل بها مالا تفعله الكؤوس والتى أرتنا الان ان رجال الغرب الفلكيين قد ركبوا سروج النجاح وبزغت لهم بدور الفلاح ونحن عاكفون على ما تنشره لنا أهل الطوالع والنحوس والفرح والبؤوس باقوال يدعونها فلكية ولبست مبنية على قاعدة حقيقية يدخلون بها على عقول الاغرار ويدعون كذباً ومينا الاطلاع على الاسرار ويبشرون بتبشيرات ويحذرون بتحذيرات فيقولون بارتقاء هذا المأمور وذاك المدير وارتقاء كل منهما الى منصب كبير وانه سيقبل عليهما خير وفير يدعون كشف المخبات والمهارة فى التنبؤات واظهار الخفيات ومن الغريب أن تنطلى هذه الحيل والمشعوزات على عقول كثير من البسطاء والبسيطات والاغرب من ذلك والادهى أن يلجأ هؤلاء المنجمون الدجالون أهل الطوالع الى اظهار أفكارهم بل سخفهم فى صحف ومجلات سيارة ينظمون اصدارها فى أوقات معينة وازمنة مخصوصة فمنها المجلة الاسبوعية ومنها الشهرية ومنها نصف الشهرية فيتهافت الناس على قرأتها وتعلق بافكارهم سخافتها وبذلك ساؤا الى المجلات العلمية النافعة فى سمعتها وشانوا مقامها مع ان للمجلات النقية المفيدة آثار فى الامم تحمد ونتائج عظيمة بها الشعوب تسعد من تنوير عقول وتبيين معلوم من مجهول فما أعظم جنايات هؤلاء الادعياء على الصحافة والمجلات وما أحقهم أن يتدبروا معانى هذه الابيات

جنايات الصحافة لا تعد فيا عجبا لجان لا يحد

لكل حاجة حـ نت لديه فمنه لنيلها كدح وكد
وقد يدعي فضلا ونبلا ويزعم ان ما يأتيه رشد
فياويل الصحافة من رجال هم من قلبها السهم الاسد
بجهلهم على الوطن استعانوا ومنهم فى تملكه استمدوا
فلو عدل الولاة اذاً لامسوا وليس لهم من الاعدام بد

حقاً ان الجرائد هى لسان حال الامة الناطق وترجمان شعورها الصادق تنطق بما يجول فى خواطرها وتترجم عن مكنون سرها وتبسط الى أولياء الامور (وزراً وأمراً وعظماء وأحكام وقضاة) فيها أمانيها وآمالها ففضلها على العامة كفضل المعلمين على الخاصة فان السياسية منها ناقلة للاخبار منبهة على ما فيه النفع العام من أوجه الاصلاح والنجاح مترجمة للعظماء وأعمالهم جامعة للامة على وحدة بها تعظم الممالك وتتقدم المعارف والتجارة والآداب فلها صوت الحادى الدليل الهادى الواعظ بالحق الناطق بالصدق أمام الامة

والجرائد العلمية ناشرة للفنون مهذبة للنفوس قاتلة للجهالة منبهة على مكارم الاخلاق معلمة للصنائع والتاريخ وما يلزم القراء من فروع العلوم وقواعد الفنون وكلما كثرت الجرائد فى أمة كثرت المدنية فيها وتربت الافكار في مدرسة التأديب والتهذيب والعلم باخبار العالم أجمع وقد تدعو الحاجة الى الجرائد الدينية فينشرها علماء الاديان تعليماً لحكم أو تفسيراً لمبهم أو حلاً لمعضل لا يريدون بذلك الاحفظ الافراد التابعين لدينهم من تتبع الاهواء والمبتدعات

وليس هذا غريبا فان أصحاب الجرائد والمجلات ينبغى أن يكونوا من فطاحل العلماء واكابر الكتاب العظماء الذين يفيدون الامة

ويرفعون عنها الغمة بما ينشرونهم فى صحفهم وبما يضعونه من كتبهم التى يصورون فيها عيوب الشعب بصورة بشعة تنفر صاحبها من هيئتها فيضطر الى الاقلاع عنها فتصلح الحال ويحسن المآل وهكذا كان الكتاب والمحررون فى سابق الزمان وهكذا يجب أن يكونوا فى الحال والاستقبال وقد اشتغل الكتاب قديما وحديثاً بوضع الكتب والرسائل فى تربية الابناء وتهذيبهم ونقلهم من حضيض البهيمية الى أوج الانسانية وقد اختلفت عباراتهم باختلاف الافكار وتباين الاقطار وكان للشرق القدم الراسخة فى هذا الباب فتهذب رجاله وترقوا الى أرقى مقامات الفضل والكمال بما أخذوه عن أساتذة التربية وجهابذة المصلحين أهل العلم والعمل الذين يعقد بهم الرجاء ويناط بهم الامل في التمدن والارتقاء

وان من نظر الى العلماء ووظائفهم فى العالم حكم بان الكون السفلى ما خلق الا لهم ولا عرف الا بهم ونريد بالعلماء كل ذى علم ينتفع به فى شىء مخصوص لا خاصة المعلمين والمدرسين وأول العلماء قياماً بوظائفهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم فتحة باب العلوم النافعة وعند ما نيط بهم النظر في شؤون العالم والقيام بدعوة الناس الى الصراط المستقيم جدوا فى طريق الافادة واجتهدوا فى جذب النفوس اليهم بالرفق واللين وحسن الخلق وجميل المعاشرة فلاينوا الاغنياء ولاطفوا العظماء وجالسوا الضعفاء وماشوا الفقراء ونصحوا العبيد والاحرار ووعظوا العقلاء ولاغرار وصبروا على مشاق المعارضة والمجادلة وتحملوا ألم التكذيب والتعذيب للتأديب والتهذيب ولم تقعدهم دعوة التهديد والتأنيب عن بث دعاويهم التى انتصبوا لنشرها فى

معاصريهم وقد تجافت جنوبهم عن مضاجع الراحة فما أخلدوا الى الرفاهة ولامالوا الى اللذائذ البدنية ولا اشتغلوا بجمع الذهب والفضة ولااعتنوا بكثرة الاثاث والاوعية بل ظهروا فقراء وعاشوا فقراء وماتوا فقراء عن زهد وورع لاعن قلة وضنك حال فان هداة العقول غنيتهم جذب النفوس وحظوظهم أخذ السامعين بدعوتهم ولذائذهم فى تكوين العصبيات وتوحيد الكلمة وتطهير عنصر الجامعة الدينية والملكية من خليط التفريق وامشاج الاهواء وقد قضوا أدوارهم العظيمة فى تعب وعناء وانتهى بهم الامر الى ظهور الحكماء العقلاء والاخذ عنهم مباشرة أو بالنظر فى كتبهم وانقسم الناس بعدهم فرقاً كل فريق جعل له وجهه علمية يقضي حياته فى الاصول اليها فاختفلت مواضيع العلوم واحتكت الافكار بعضها ببعض وتبادل العلماء التلقين والجدل والمناظرة حتى أتموا معدات الكمال العمرانى بما وصلوا اليه من المعارف الاتية اليهم باحتكاك أفكارهم في علومهم التى اتخذوها عن علوم الانبياء الذين قادوهم بمقود الايمان والسياسة السماوية حتى أوصلوهم الي النظر فى السفليات والعلويات وغرائب المخلوقات وهدوهم الى المبتكرات والمخترعات وعلموهم طرق البحث والتفكير في كل ما يعود على أمهم بالخير الوفير والعز الكبير وو .... الخ لاكما ترى من علمائنا خلفهم الذين يدعون العلم بالغيب ويجعلوا ضيوفنا منا في شك وريب من اننا سلالة هؤلاء المرشدين رضي الله عنهم أجمعين

(الرجوع إلى الموضوع)

هذا كله ايها القارئ الكريم ما قرأته على أقارب الزوجة الثالثة الذين استحضرتهم عندى عقب تلك الكلمة الفاشحة القاسية التى سمعتها من الست زوجتي بنتهم وهي قولها لي (وهى عروسة في ليلة البنأ بها) ان لك الماما يعلم الفلك السفلي وهو علم طوالع السعود والنحوس والفرح والبؤوس ولا حرج ان ذلك استدعى ان أبسط لهم المقام وأطنب في الكلام وأذكر جملة مقالات تمس الحاجة اليها وأثبت عدة نصائح موجهة إلى كثير من أفراد الامة على مختلف طبقاتها . . . وليس هذا عجباً ليس له مثيلاً ولا ضريباً فان الحديث ذو شجون والكلام له ضروب وفنون يجر بعضه بعضاً وجوهره يستلزم عرضاً والكتاب باقة ورد وريحان أو شجرة ذات اكمام وأفنان أو بستان فيه من كل فاكهة زوجان يستفيد منه كل انسان وناهيك اذا كان غذاً للروح والاذهان وو . . . الخ

(ملحوظة) كان لهذه الزوجة خال موجود مع الحاضرين مثل خال الزوجة الاولى ربختلف عنه انه فقيه بسيط ولذلك استرسلت بالثاني المقال ووجهت الخطاب إلى هذا الخال قائلا :

(من وعظك فقد أيقظك ومن أوضح وبين فقد نصح وزين)

اعلم ايها الفقيه المعتبر ان لا شيء أظهر لعيوبنا نحن المصريون وتقصيرنا نحن الشرقيون خصوصاً فى هذا الوقت مثل المقابلة بيننا وبين الغربيين الذين سبقهم ايانا في ميدان الحضارة والمدنية اعظم

باعث لتحريك الشجن في قلوبنا كلما قرأنا حسنة عندهم وقابلناها بسيئة عندنا والحقيقة انه لولا تقدمهم لما شعرنا بمقدار تأخرنا ولا رأينا مسافة البعد بيننا وبينهم فانما الاشياء تتبين وتتميز باضدادها ولذلك آمل منك أن تصيخ إليّ بفكرك وترعى سمعك علك تستفيد وتفيد والله بيني وبينك شهيد

(الفلك والفلكيون والعبطاء المتفيقهون)

انه في غروب ذات ليلة من الليالي حضر إليّ بعض الاحباب يدعوني إلى حفلة زفاف كريمته فلبيت دعوته ورحب بي كعادته وبينما أنا جالس في بعض الحدائق وحولي رفاق قد هذبتهم الحقائق وحسنت منهم الاخلاق بين الخلائق وقد أرخى الليل أستاره وأبرز من النجوم درهمه وديناره اذ حضر جماعة من السياح الامريكان كاملوا الاوصاف عليهم سيماء الاشراف فيهم الفلكي والمهندس والحكيم والكيماوي والرياضي والنباتي والجيولوجي والجيودوزي وو . . . . الخ والاستاذ والخطيب وكل شيخ جماعة ورب بضاعة ومع كل منهم سيدة ناطقة عن صمتها يقصر البليغ عن وصفها ونعتها ولما قربوا منا حيونا فحيوناهم وجلسوا واخذوا يخاطبوننا بالانجليزية والعربية بأفصح لسان حتى أجلوا لنا عقائل أفكارهم الحسان وبينما نحن نجول معهم في ميدان المحاضرة في حفلة هذه الليلة الزاهية الزاهرة في تلك الروضة الناضرة بشموع تدهش

الابصار وتحي مافات من ضوء النهار وآلات طرب تشنف الاسماع غنية عن التفصيل باليراع اذ سمعنا من الذين حول العروس والعريس من نساء ورجال وبنات واطفال غوغاء ونهيقاً وصياحاً وتصفيقاً وبكاء وعويلا وصراخاً وصهيلاً بصوت مهول يذهل العقول فحولنا النظر للوقوف على كنه الخبر واذا بأحد الفقهاء الأولياء قد حضر فسألناه عن هذه الضجّة وتلك الرجّة فقال بتلهف وتوجع وحسرة وتفجع وكلام يصدع : (لقد انخسف القمر) والادهى من ذلك انه جلس يبكي وينتحب كأن به مسّاً من الجن فلما نظره هؤلاء الضيوف حزيناً كئيباً من وقوع الخسوف هتفوا هتاف الشامت وصاحت نساؤهم صيحة من تعود نظر أعجوبة وقالت احداهن والوعتاه عليك يا مصر ووا أسفاه على علومك ومعارفك لقد مضي عليك حين من الدهر كنت فيه كعبة المعارف تقصدك الناس من كل فج عميق لتستضيء بنور علم أبنائك فاصبحت وقد انعكس الامر واستبدل الخير بالشر والنفع بالضر

وقالت الثانية ان سبب انحطاط المصريين لهذه الدرجة نساؤهم اذ ليس لهن تأثير في تربية أولادهن غالباً لانهن مولعات بالترهات الباطلة والاشتغال بسفاسف المنجمين وضرابي الرمل والودع واهل الطوالع والاوفاق والمتكلمين بالضمير وعمل الاحجبة والتمائم والمآثم وقياس الاثر ودواء المربوط والعقم وقطع الولد بالمشاهرة بحجر الكباس واكل رؤوس العقارب المحمصة على النار وفتح كتاب البخت واستخراج الجن والصداع والقرينة والتقريفة والتلويحة والتنفيخة وبطحة الشمس وبزلة العين وشرب دم الاقارب المقتولين للحبل

وهكذا من مثل هذه الاشياء التى لم يؤثر فى ازالتها نداء جرائد امريكا وغيرها ولاصياح الاقلام ونداء الكتاب الكرام ولم تزل راسخة فى رؤوس النساء نافذة احكامها وان مثل هذا الجهل ما سكن ربوعاً الا أحرقها ولا استوطن نجوعاً الا مزقها ولا فشا فى بلدة الا خربها وابادها ولا حلّ فى قبيلة إلا كان علة إفسادها ولا أبالغ اذا قلت ان تأثير المرأة فى مصر على آداب العائلة هو صفر على اليسار والقليل منهن من اتبع الطريق المستقيم وأرى اكثرهن مقيدات بالتفاؤل والتشاؤم متنزهات عن العلوم والمعارف المفيدة غير مدركات شيئاً من المعقولات مقتصرات على العيشة المادية كالحيوانات مشغولات بما لا يفيد وما اعظم الفرق بين المرأة الشرقية والمرأة الغربية فالفضائل النسائية فى الغربية على أسماها لانها أقرب إلى كمال تربية الاطفال الذين هم فى الاستقبال رجال السعادة وأهل السيادة كما هو مشاهد لكم الآن

وقالت الثالثة ان المسؤول عن المرأة زوجها لأنه اذا أحبت المرأة زوجها تخلقت باخلاقه وصارا كأنهما شخص واحد ويسهل على الزوج العالم المؤدب تهذيب زوجته وطبعها على قالب خلقه ولاسيما اذا كانت لينة الطباع فانها حينئذ تكون أعظم مدرسة فى العالم الانسانى الحقيقي والرقي الادبي والمادي والعلمي

وقالت الرابعة ان الخسوف هو استتار وجه القمر والكسوف هو استتار وجه الشمس وحصول الخسوف هو من وقوع القمر فى ظل الارض والاول لا يكون إلا فى البدر والثاني لا يكون إلا فى المحاق اى قبل أن يهل الهلال بقليل

أما عن الاول فلأن ظل الارض لا يقع على القمر الا أن يحول بينه وبين الشمس وتحجب نور الشمس عنه فيظلم إذ نور القمر مقتبس من نور الشمس ولا تحول الارض بين الشمس والقمر كذلك إلا فى البدر

وأما عن الثانى فلأن ظل القمر لا يقع على الارض إن لم تحل بينهما وتحجب نور الشمس عن الارض وذلك لا يكون إلا في المحاق كما سبق أي الاسبوع الاول من كل شهر قمري

ومع هذا كله نرى مع الأسف الزائد أيها المصريون أن أغلبكم على حالتهم القديمة . ألم يكن عندكم جرائد ومجلات علمية تهذب أفكار هؤلاء الجهال وتنور بنور العلم والمعرفة عقولهم فتكونوا في سرور وأفراح بدل شرور وأتراح وفى حياة نفوس عارية من كدر وبؤس

(الموت ولا العار ايها الفقهاء الاحبار)

وما أدراك أيها الفقيه الحكيم والاستاذ الكريم انه لما فرغ هؤلاء النساء والرجال من هذه الاقوال . كنا نحن المصريين السامعين كمن في سكر دائم وعناء تحلّ دونه عقد العزائم والكآبة فى وجوهنا ظاهرة والعيون نحو هؤلاء الضيوف بالكسوف ناظرة حتى صار كبيرنا صغيرنا ورفيعنا حقيرنا خصوصاً أنا لانى كنت قبل هذه الحادثة ألقيت محاضرات فى هذا الموضوع لمعرفة القول المطبوع من المرجوع حتى قلت لاخوانى قد آن آن التهاني وبلغت نفوسنا الامانى لرجوع مجد آبائنا لثانى ولكن ما أدرانى انى رأيت هذا الفشل وخاب منى الامل ولكنى تجلدت وبقول العلماء تسليت مثل قولهم : من صبر ظفر ومن

سار على الدرب وصل ولذلك توجهت الى احد العلماء المشهورين بعد النظر وقصصت عليه الخبر الا وهو الاستاذ الفاضل واللوذعي الكامل العالم العامل من مدحه لفضله يغنيني شيخ المشايخ ذو العلم الشامخ والفضل الباذخ المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربيني اذ كان جاري وداره بلصق داري وكان دائماً يقف على محاوراتي ويطلع على مقالاتي ومناقشاتي مع العلماء وغيرهم فلما عرضت عليه ما حصل قال : يا أخي هوّن عليك الامر واعمل بهذا الشعر :

دع الهوينا واكتسب وانتصب واكدح فنفس الحر كداحه
وكن عن الراحة في معزل فالصفع موجود مع الراحه

اللهم الا من أتاحت له المقادير أباً ترك له مجداً أثيلا ومالا كثيراً فمكث طول عمره يرتع في بحبوحة الثروة بلا كد ونصب فذلك الذي عاش في نعمة أبيه منعم الجسم مستريح البال (وقليل ما هم) على اننا لو تأملنا في هذا لالفيناه عن الواجب عليه قد قصر وفي حقوق الانسانية لم يتبصر في حب الأوطان من الايمان

لسنا وان أحسابنا كرمت يوماً على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني وتفعل مثل ما فعلوا

ولذا قال : (ولكن الق دلوك في الدلاء)

ولما سمعت هذه النصيحة من الاستاذ المشار اليه عضضت بالنواجذ على ما كنت قد عزمت عليه وعقدت النية على انفاذ مطلوبي وعدم الرجوع عن مرغوبي الى أن يقضي الله امراً كان مفعولا

ولذلك استأنفت الكلام مع هذا الخال الفقيه قريب الزوجة الثالثة إرشاداً له وهداية لأمثاله العبطاء قائلا له :

(اسمع ايها الفقيه القول الحق وما يقضيه)

رويدك ايها الفقيه لا تسارع بوهمك اني أطلت معك الكلام في هذا المقام او أتيت فيه بهمز ولمز او غمز ورمز او عتاب وملام معاذ الله أن يكون ذلك مرادي إذ جراحات السهام لها التئام ولا يلتئم ما جرحته السنة الاقلام بل سر معي على مهل لأري الرغبة منك بأن تطلق معي اللسان بالاحسان لطرق آذان وإذهان هؤلاء الفقهاء البسطاء العبطاء الذين استولى على عقولهم الغرور وضلوا طريق الرشاد وهاموا على وجوههم فى الوهاد معجبين بصفات آبائهم وجدودهم مفتخرين بسؤددهم وهم لم يؤتوهم حقوقهم ولم يحذو حذوهم الى ان أغفلوا حقائق الحوادث على اختلافها وتفاعلها بينهم بما يبدل كل يوم من أحوالهم ويتوقف عليها امر سعادتهم ووبالهم لاسيما وان هذه الحوادث أقرب منهم مكاناً ومن أدناها الى البحث ارتكاناً ومن أهم الامور اليوم عرفاناً اذ هي السبب فى قيام أبدانهم واحياء نباتهم وحيواناتهم التي يركبونها ويحرثون بها أرضهم وبالجملة فهي ينبوع غناهم فى يومهم وأمسهم والأدهى والأمر انهم نسوا وتناسوا أقوال آبائهم وجدودهم الذين يفتخرون برممهم البالية واياهم الخالية وهي :

ان أنجح شيء للوصول الى معرفة العلوم الفلكية أن يحسنوا مشاهدة ما حولهم من الظواهر التى تطرأ على وجه الارض او فى السموات السبع وقوله تعالى :

(وكأيّ من آية يمرون عليها وهم عنها معرضون) ولا مانع من أن يجعلوا أنفسهم في هذا مثل من لم يكن قد رأى آلة بخارية يتأمل فيها فيجد أعضاء كثيرة متحركة بتأثير محرك خفى وبعد البحث والتحقيق وكثرة الاطلاع والتدقيق يمكنه أن يقف على وظيفة كل عضو فيها ويكشف الفاعل الوحيد القادر على تحركها وسكونها وهكذا حتى لا يجدوا أنفسهم جهلاء فقهاء بسطاء عبطاء بلهاء أغبياء أمام الظواهر الارضية والسماوية مثل حضرة الفقيه الذى خرج وأقرانه معي ذات ليلة كان القمر فيها مخسوفاً قاصدين المرصد للاطلاع ومراجعة الحساب على حالة الخسوف وأوقاته غير ان وصولنا الى المرصد لم يكن الا بعد انجلاء القمر فقال هذا الفقيه النبيه بلطف وظرف وكرم أخلاق لأحد خدمة المرصد ارجوكم ايها السادة الفلكيون العظام والرياضيون الكرام اذا وقع طلبي لديكم موقع القبول والاستحسان فى هذه الليلة أن تعيدوا الخسوف فى النظارة الفلكية ثانية لأتفرج أنا واخوانى الاساتذة الفقهاء ونحسب طالع مولود جديد لاحد العظماء الاغنياء الذى كلفنى بذلك قبل حضوري الى هنا فعند ذلك نظر الى حضرته نظر الغاضب من مقالته الدالة على غباوته وفرط جهالته وقال :

يا جاهلا عن حركات الفلك نبهك الله فما أغفلك

عرضت هذه الحادثة على صاحبنا الفقيه لعله يتدبر ويتعظ ويتذكر ثم خاطبته بقولى : انظر ايها الفقيه الى مثل هؤلاء الناس الانجاس الذين شيدوا للجهل قصوراً من غير أساس ولعمرك ما هى

قصور بل هو قصور عقل وخمود فكرة وبلادة طبع وسوء تربية وفاسد إعتقاد أساؤا به من سلف وهم له بئس الخلف

مع ان طوالع الكواكب الفلكية ويقال لها مطالع الزوال هى التى بين مرور اول برج الجدي بخط نصف النهار وبين مرور الشمس به والمطالع البلدية وتسمى بمطالع الشروق هى المدة التى بين طلوع رأس الحمل وشروق الشمس وأما طالع العين وطالع المولود وطالع السنة وطالع الغنى والفقير والمأمور والامير والباشا والوزير بل طالع العالم بأجمعه فلا يسعنا الا أن نضرب صفحاً عن هذه المسائل وما يشاكلها لانها مبنية على القول بأحكام النجوم والكواكب وهو كما لا يخفى عار عن الصحة بالكلية ومن يشتغل بالكتب والمجلات المذكورة فيها هذه المسائل فلا يحصل منها الا على أمور واهية لا تجديه خيراً ولا نفعاً بل ضراً وإذاً فالاشتغال بها ضرب من العبث والجنون

الطريقة القيمة في معرفة الطوالع السقيمة

وليس لها بين العقلاء قيمة

طريقهم فى ذلك لتكون على بصيرة ايها القاريء اللبيب والنبيه النجيب هي : انه اذا ولد مولود مثلا يؤخذ ارتفاع الشمس او أى كوكب لتعيين لحظة الولادة بالضبط فدرجة البروج التى تكون على الافق الشرقى فى تلك اللحظة تسمي بالطالع والتى توجد على الافق الغربي تسمى بالغارب او السابع والتي فى وسط السماء يقال لها العاشر والتى والتى وهكذا .... الخ فبعد أخذ الطالع يبحث فى تلك

الكتب الخرافية عن حال كل كوكب فيزعمون ان الكوكب الفلانى يكون نحساً او سعوداً وغير ذلك من الجمل الخالية من المعانى الصحيحة ويستنبطون منها النتائج المفسدة للعقول التى أنكرها الشرع الشريف وهجن الاشتغال بها وقد أشار تعالى وبين الامور الغيبية الخمس التى اختص سبحانه وتعالى بعلمها فقال جلا وعلا : (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) فاذا كان القرآن الكريم يخبر بأن معرفة الامور ليست فى طوق البشر فكيف نقبل من واضع تلك الاضاليل والاباطيل أقوالهم ونقرظهم فى أعمالهم حين يقولون لاحدهم ستكسب غداً او بعد غد ولا تتوجه الى المحل الفلانى وانك سترقى الى وظيفة اوسيزيد مرتبك أو ان امرأتك ستلد غلاماً سعيداً وانك ستنتصر على عدوك وانك سوف تلقى كنزاً وان ابنتك ستتزوج زواجاً هنيئاً وتكون سعادتك على يديها وأن لك حبيباً غائباً سيحضر او أن لك عدواً صفته كذا وكذا فأحذره او أن واحداً طويل القامة أبيض اللون واقف لك بالمرصاد من مثل هذه الاقوال التى طالما كذبها العيان وهو أقوى برهان زيادة عن قوله تعالى فى كتابه العزيز لنبيه الكريم (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يعلمون)

والحاصل ان الاشتغال بتلك الامور التى لا برهان لها صحيح والاعتقاد بأن ذلك يكشف حجاب الغيب عن الشرك بالله والعياذ بالله

(نصيحة صريحة دينية علمية فلكية صحيحة)

روي انه لما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم انكسفت الشمس وكان بعضهم يرى انها انكسفت لأجل موته فقال (صلعم) : (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد او حياته)

يتضح من ذلك أن لا تأثير للشمس والقمر والكواكب فى مثل هذه الامور كموت انسان او حياته أو وقوع خير او شر أو ترقية مأمور ومدير أو عزل وزير أو غنى فقير او حيازة رتبة ونيشان او ربح فلان وخسارة فلان او انتصار زيد وانخذال عمرو وصداقة خالد وعداوة بكر

نعم ان للسيارات تأثيراً طبيعياً بعضها على بعض بالنسبة لاحجامها وكثافتها ومداراتها وبعدها عن بعضها وعن الشمس ووجود الجاذبية العامة بينها كما هو مشروح ذلك فى علم الفلك والطبيعة والكيميا و و . . . الخ من مثل هذه العلوم ولكن هذه التأثيرات لا تعلق لها البتة بأحوال العالم

(تنبيه وجيه لهذا التمويه)

ويعلم من كتب التاريخ ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام أن يعدم كل من اشتغل من امته بهذا التمويه وأدعى بالاخبار عن الغيب لمعرفة الصدق من الريب

واليكن ايها القارئ جدولا من جداول العرافين المشعوذين لتكون على بصيرة من اعمالهم وها هو بنصه وفصه

(جدول كشف المخبأ ومعرفة سر الضمير بالتنبأ)

١	٢	٤	٨	١٦	مفتاح الجدول		
سليم	ابراهيم	شاكر	مجيد	عبد الرحيم	سليم	١	عبد الرحيم ١٦
خليل	عبده	صالح	يعقوب	سامي	ابراهيم	٢	سامي ١٧
عمر	احمد	سيد	عبده	اسكندر	الياس	٣	اسكندر ١٨
لطيف	الياس	فارس	احمد	حنا	شاكر	٤	مرسي ١٩
محمد	سيد	نجيب	نسيم	خليل	صالح	٥	محمود ٢٠
يوسف	فتحي	يوسف	هاشم	محمد	سيد	٦	جاد ٢١
الياس	فارس	علي	فارس	انيس	فتحي	٧	حنا ٢٢
صالح	خليل	محمد	مصطفى	لطيف	مجيد	٨	خليل ٢٣
فتحي	جورجي	أنيس	عمر	يوسف	يعقوب	٩	مصطفى ٢٤
يعقوب	لطيف	خليل	نجيب	علي	عبده	١٠	عمر ٢٥
احمد	علي	حنا	جورجي	محمود	احمد	١١	جورجي ٢٦
هاشم	يوسف	جاد	لطيف	جاد	نسيم	١٢	لطيف ٢٧
نجيب	نجيب	محمود	أنيس	مصطفى	هاشم	١٣	انيس ٢٨
سامي	اسكندر	هاشم	محمد	مرسي	فارس	١٤	محمد ٢٩
مرسي	مرسي	نسيم	علي	جورجي	نجيب	١٥	علي ٣٠
جاد	حنا	فتحي	يوسف	عمر			يوسف ٣١

obeikandl.com

(استعمال هذا الجدول)

اقرأ على غيرك عموداً من هذه الاسماء واطلب من السامع ان يجيبك اذا كان الضمير فى نفسه على اختيار اسم فيها .

ثم اقرأ له العمود الثاني واسأله كالاول وهكذا إلى الآخر حتي اذا عرفت الاسم المطلوب فى أى عمود فاجمع أعداد الاعمدة تعرف نمرة الاسم المقصود

مثال ذلك اذا قيل أن المطلوب هو فى العمود ١ر٤ر١٦ تجمع هذه الاعداد فتجدها تساوي عدد ٢١ وهو اسم جاد

وهذا الجدول يمكن وضعه بطريقة اخرى أغنى بدلا من وضع الاسماء يوضع ألفاظ . غنى فقر مكسب خسارة مولود مولودة زواج طلاق فراق محبة قبول كراهة سفر حضر مرض صحة زيادة ماهية وو . . . الخ

هذا هو جدول المشعوذين سامحهم الله في مثل هذا البلد الامين المسكين الذي يلزم على المتعلمين فيه أن يقيموا حرب العوان لأجل محاربة هذا الهذيان الذي أضحك علينا الفرنساويين والانكليز والطليان

مزيد استلفات للماضى والآت

بعد ان نصحت الفقيه السابق الذكر بكل ما تقدم أردت ان أزيده نصحاً وتبصيراً وهداية وتذكيراً مؤملا منه أن يمعن نظره ويقدح فكره فى هذه المشاهدات والامور المحسوسات لعله يطبق عليها ما يعرفه من المعلومات فقلت :

اذا رأيت ايها السامع الكريم الحر الضمير الصادق القلب الطاهر السيرة الحسن السير والسريرة أن اخوانك أمثالك وجيرانك وأقاربك وأصهارك وكل من لهم علاقة بك فى المعاملة والمجاملة والمجالسة والمؤانسة خصوصاً زوجاتك وعائلاتهن يقرأون ويناقشون ويجادلون ويناظرون فى مثل هذه المواضيع المهمة ورأيت منهم الانكباب على قراءتها لتأييد الفضيلة واستئصالها الرذيلة التى تفسد الدم فى مهجة الهيئة الانسانية فثق وتحقق بدون ان تدقق أن البلاد راقية مراقي النجاح والفلاح والصلاح والاصلاح وانها تعارف فيها وتكاتف وترافق وتوافق الفقيه الاديب والعالم العامل بالفلكي الرياضي الكامل اللذين هما العاملان الاولان والاخوان التوأمان والفرقدان اللذان لايفترقان والعنصران المهمان لتوسيع نطاق الحضارة والعمران لمعرفة ان الدين والعلم سيان وكفى ما قد قيل فى سالف الازمان ان الدنيا فربقان (عالم لا دين له ودين لا عقل فيه) واذا رأيت العكس وكانا لم يزالا أعداء الداء وخصماء أشداء فاحكم بأنهما سبب جلب البلاء والشقاء والعناء والرثا والعزاء والموت والفناء (لا سمح الله) لهم ولوطنهم الذي رواهم ماؤه وسترهم كساؤه وأظلهم سماؤه وفاضت عليهم نعماؤه ثم قصروا فى حق خدمته وجهلوا فرض محبته وغفلوا ما ثر ومفاخر ما ترك الاول للآخر وأقوال الذين حققوا ودققوا وبحثوا ونقبوا وقالوا ودونوا وحرروا وسطروا وبينوا وبرهنوا أن لا شيء يقع فى نفوس البشر موقع الظواهر الجوية وعوارض الاجرام الفلكية وان من يطالع تواريخ الامم السالفة يتعجب من عظم ما كان لهذه الظواهر والعوارض عندهم من المهابة والجلال والغرابة ألا ترى من

فرط استعظامهم لها انهم عبدوا الشمس وسجدوا للقمر وقدسوا الثوابت وارتاعوا واحتاروا من ظواهر الكسوف والخسوف وظهور ذوات الاذناب واختلاف الليل والنهار على انهم بعد ما هاموا فى أودية الاوهام فى هاتيك الايام قد علموا انهم لا يهتدون الى الحقيقة الا بالبحث والمراقبة ولذلك عدلوا لو العقول الثاقبة والآراء الصائبة والافكار السديدة الراجحة منهم عن ترهات الحدس والتخمين الى سبيل العلم واليقين واهتدوا بكدهم وجدهم الى حقائق هذه الظواهر ببراهين حاسمة ودلائل جازمة بالعقل الذي هو اكرم وديعة رزقها الانسان وقد أحلّه الله فى مكان مقدس وأمده بمواهبه إذ العقل لعزته وسمو مقداره وعظمته أجل من أن تحمله كل الهامات فهو يأوى الى كل من صفا قلبه من الناس ولذلك كان صاحبه ذا بصيرة نقادة يتدفق البشر والمكارم من محياه وتنبثق الفضيلة من خلاله وخصاله وأقواله وأفعاله وأعماله واذا وقف صاحبه بين الفضيلة وضدها رأى أشعة الاولى تزري أمام العين بالثانية فيقوم ليأخذ بيد المجد والكرامة ويميل عن كل شيء يدنس مقامه اذ بقدرته وعظمته يمج الجاهل السفيه الذي لا يهتدي الى طريق الصواب والذي نزل عقله من دسته وخلفه شريداً وحيداً طريداً يتولى الهوى قيادته ويغشى الهوس والجنون بصيرته حتى اذا سيق الى ساحة أهل الغرور والطيش الخالون الخاوون من كل كرامة وفضيلة اندفع العقل من خلفه غير مشفق عليه من أن يحطمه او يرشق سهم عنايته فى صميم فؤاده ورمى به فى مهاوى العدم والفناء إذ عاطفة الشفقة والحنان أذهبتها نشوة الجهل والهوس والضلال والغباوة والعياذ بالله

ولقد سخر الله للناس فى كل زمان ومكان فئة يمثلون مرتبة العقل وتصوره وادراكه وشعوره وباهر أحكامه ونقضه وابرامه فى الامور . حيث يفيض عليهم من طاهر آياته ما تطير له النفوس طرباً وتاهيك بعلماء الغرب الفلكيين الذين قالوا :

اذا أردت ان تعرف ايها القاري الكريم التحقيق الواضح من التلفيق الفاضح فى علم الفلك الحقيقى فعليك أن تطالع وتراجع الجدول الآتي لتعرف التنبؤ الفلكي الصحيح الذي نسب اليه الفلكيون المشعوذون انه علم طوالع سعود ونحوس وفرح وبؤوس

(السحر المبين في التنبؤ الفلكي لمعرفة غرر الشهور والسنين)

وضع علماء الفلك جملة جداول لعلم الفلك غامضة على بعض الناس الذين لا يعرفون من العلم الا اسمه لان اكثر المواضيع الفلكية مبنية معرفتها على اصطلاحات علمية وألفاظ فنية لا يعرفها الا أهل هذا العلم المشتغلون به المتصدون لمعرفته المتفرغون له ولذلك حرم من الانتفاع به كثير من الطبقات لا بتنائه على تلك الاصطلاحات لهذا رأيت الحاجة ماسة الى بيان الطرق الموصلة الى الاستفادة من بعض مواضيع هذا العلم مثل معرفة غرر السنين والشهور العربية بأسلوب سهل خالٍ من تلك الاصطلاحات التي اتفقوا عليها أهل هذا الفن وطريقة مجردة عن تلك الرموز التي تندّ عن أذهان العامة وتعلو عن أفكار الكثيرين من أفراد الامة الذين لم يشتغلوا بأمثال هذه العلوم العالية بحيث يمكن أن ينتفع بها ويستفيد منها كل من يعرف القراءة والكتابة وأبسط طريقة لمعرفة ما ذكر من غرر السنين والاشهر

العربية هى معرفة طريقة التقويم المستديم الذي يمنع عنا قوارص الألسنة لعدم معرفتنا غرة كل سنة لفرط سهولتها على الباحثين وذلك انك تكتب الجدول الآتى اولاً :

محرم	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع
صفر	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع	الخميس	الجمعة
ربيع أول	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع	الخميس	الجمعة	السبت
ربيع ثاني	الثلاث	الاربع	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين
جماد أول	الاربع	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاث
جماد ثانى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع	الخميس
رجب	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع	الخميس	الجمعة
شعبان	الاثنين	الثلاث	الاربع	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رمضان	الثلاث	الاربع	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شوال	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع
ذوالقعدة	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع	الخميس
ذوالحجة	الاحد	الاثنين	الثلاث	الاربع	الخميس	الجمعة	السبت

(كيفية استعمال هذا الجدول)

فاذا اردنا معرفة غرة أى شهر وليكن شهر رمضان من سنة ١٣٣٧ (أى وقت تحرير هذه الرسالة) مثـــلا نبحث أولا عن غرة

هذه السنة فنجده يوم الاثنين ثم نبحث عن هذا اليوم فى الخانات الافقية التي في حذاء خانة شهر محرم ونخرج منه على الصف الاول الرأسى ثم نخرج من خانة شهر رمضان على الصف الافقي فهذان الصفان يتلاقيان في خانة يكون فيها الغرة المطلوبة وهو يوم السبت لاول يوم شهر الصوم سنة ١٣٣٧ إذ من المعلوم ان المدة التى بين شروق الشمس فى أى محل كان وبين غروبها تسمى عند كل قوم على حسب لغتهم بالنهار والتى بين غروب الشمس وبين شروقها تسمى بالليل

وكلمة يوم عند العرب تدل على مجموع نهار وليلة واحدة وهو عبارة عن الدورة الواحدة التى تتمها الشمس فى مدة ٢٤ ساعة وبعضهم اطلق كلمة يوم على النهار فقط اطلاقاً حقيقياً وجعل ابتداءه وقت طلوع الشمس وهو خطأ محض لانه يوجد بالقرب من قطبي الكرة الارضية جهات يكون فيها النهار في قسم من السنة مساوياً لجملة ايام من غير ليل ويكون فيها الليل فى القسم الاخر من السنة مساوياً لعدة ايام من غير نهار واما سائر الجهات فتكون الايام فيها مركبة من نهار وليل

وابتداء اليوم عند العرب وقت دخول الليل أى وقت غروب الشمس فى البلد التى يكون فيها الانسان وانتهاؤه وقت الغروب الثانى له فهم يقدمون الليل على النهار وسبب ذلك ان ابتداء الشهور عند العرب يتعلق برؤية الهلال

ولما كان اول هلال لا يمكن رؤيته الا عند غروب الشمس لزم ان يكون وقت الغروب مبدأ للشهور ولما كان الشهر مركباً من ايام كوامل كان اول يوم الغروب

وأما الامم التي لا تبتدئ شهورها برؤية الهلال فابتداء أيامهم وقت شروق الشمس وانتهاؤها اللحظة التي يليها الشروق الثاني فيكون النهار عندهم مقدماً على الليل

واما أهل الفلك فاليوم عندهم هو المدة التي بين مرور الشمس بنصف النهار ومرورها به مرة ثانية فيبتدئ بوقت الزوال وينتهي بوقت الزوال التالى له

(زيادة إيضاح)

وازيدك إيضاحاً لما تقدم بذكر طريقة سهلة بأبسط وجه لمعرفة اسم اليوم (غرة) وتاريخه الشمسي وهذه الطريقة يمكن الانسان بها ان يستخرج الايام الماضية والمستقبلة

يلزم أولاً أن تكتب هكذا :

يناير فبراير مارس ابريل مايو يونيو يوليه اغسطس سبتمبر اكتوبر نوفمبر ديسمبر

١ ٦ ٣ ١ ٥ ٢ ٠ ٤ ٢ ٦ ٦ ٣

اعنى ان اسم شهر يناير بعلم الفلك هو مسمى برقم ٣ الموجود تحته وفبراير برقم ٦ وهكذا

ثانياً ان تكتب هكذا : ا ب ج د

فاذا اردت معرفة اسم اول يوم من سنة ١٣٣٧ أى غرة محرم الموافق إلى تاريخ ٧ اكتوبر سنة ١٩١٨ الشمسية فاجر العمل هكذا :

ا ب ج د

٣ ٧ ٢٢٩ ٩١٨

اعنى أن عدد ٣ الموجود تحت حرف الالف يدل على عامل شهر اكتوبر وعدد ٧ الموجود تحت حرف ب هو تاريخ اكتوبر نفسه وعدد ٢٢٩ الموجود تحت حرف ج هو ربع سنة ٩١٨ وعدد ٩١٨ الموجود تحت حرف د هو السنة الواقع فيها تاريخ غرة شهر محرم لسنة ١٣٣٧ ثم اجمع هذه الاعداد على بعضها يكون حاصل الجمع هو عدد ١١٥٧ فاقسم هذا العدد على عدد ٧ (أى عدد أيام الاسبوع) تر باقى القسمة عدد ٢ أى ان اول محرم سنة ١٣٣٧ هو يوم الاثنين واذا كان باقى القسمة صفراً كان اليوم هو يوم السبت واذا كان واحداً كان يوم أحد واثنين يوم اثنين وثلاث يوم ثلاث واربعة يوم اربع وخمسة يوم خميس وستة يوم جمعة

هذا لمعرفة غرر السنين والاشهر العربية وأسماء أيامها أما بالنسبة لمعرفة غرر السنين والشهور الافرنجية وأسماء أيامها فيكون على حسب ما تقدم سواء بسواء مثلا أردت أن تعرف غرة السنة الافرنجية ١٩١٨ الموافقة للسنة العربية ١٣٣٧ فيكون العمل كما تقدم وبه يظهر ان يوم الاربعاء هو اول يناير مبدإ شهور السنة المذكورة

وبهذه الطريقة يمكن معرفة أول يوم من محرم سنة ١٣٣٨ الموافقة لسنة ١٩١٩ الافرنجية وسنة ١٦٣٦ القبطية ويكون غرة محرم فيها يوم الجمعة الموافق ١٥ توت سنة ١٦٣٦ الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٩ وهكذا يمكن العمل بهذه الطريقة لغاية سنة ١٤٠٠ هجرية الموافقة لسنة ١٩٧٩ الافرنجية الموافقة لسنة ١٦٩٦ القبطية ويكون غرة محرم فيها يوم الاربعاء الموافق ١١ هاتور الموافق ٢١ نوفمبر من السنين القبطية والافرنجية المذكورة ويمكن العمل بهذه الطريقة لغاية

سنة ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ سنة عربيـة وأفرنجية وهكذا الى ما شاء الله

(أثمن هدية لمعرفة أوائل السنين والشهور القبطية)

الحساب القبطي هو كالحساب الافرنكي تماماً بتمام انما يختلف عنه بكوننا نطرح رقم ١ من باقي القسمة ليظهر لك اسم اليوم والطريقة القبطية هي كالآتي : تكتب اولاً :

توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمهات برمودة بشنس

٢ ٤ ٦ ٨ ٣ ٥ ٧ ٢ ١

بؤونه أبيب مسرى النسىء

٦ ٨ ٢ ٥

أعنى ان اسم توت فى علم الفلك ٢ وبابه ٤ وهاتور ٦ وهكذا

وتكتب ثانياً : ا ب ج د

١ ٢ ١٥٩ ٦٣٦

وبهذا الوضع نعرف اسم اول يوم من شهر توت سنة ١٦٣٦ قبطية ولذلك اجمع هذه الاعداد على بعضها فيكون الحاصل ٧٩٨ وبقسمته على عدد ٧ وهو ايام الاسبوع يكون الباقي صفرا اعنى يوم السبب واذا نظرنا إلى ما قبله نجده يوم جمعة وحينئذ يكون أول السنة القبطية سنة ١٦٣٦ اعنى شهر توت مبتدأ بيوم الجمعة

وأيضاً لاجل زيادة الايضاح نضرب مثلا آخر لاجل استخراج اسم أول يوم من شهر توت سنة ١٦٣٧ فتكتب :

ا	ب	ج	د
١	٢	١٥٩	٦٣٧

فبجمع هذه الاعداد على بعضها ينتج ٧٩٩ وبقسمته على عدد ٧ يكون الباقى واحدا اعنى يوم احد وما قبله هو يوم السبت الذي يكون أول توت من السنة المذكورة . واذا اردنا استخراج العربي من القبطى والقبطى من العربى يكون كما تقدم ولنضرب مثلا لسنة ١٦٥٠ قبطية الموافقة لسنة ١٩٣٤ افرنكية ولسنة ١٣٥٣ عربية يكون العمل كما تقدم بان تضع

ا	ب	ج	د
٢	٨	١٦٢	٦٥٠

فاذا جمعت هذه الاعداد على بعضها وقسمتها على ٧ يكون الباقي عدد ٣ فنطرح منه عدد ١ ينتج ٢ اعنى فى سنة ١٦٥٠ قبطية يوم ٨ برموده الموافق ١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ افرنكية الموافق لسنة ١٣٥٣ عربية أول محرم فيها هو يوم الاثنين وسبحان من علّم الانسان مالم يعلم

(ملحوظة) يمكنك أيها القارئ استخراج التاريخ العربي والافرنكى والقبطى والعبرى والفارسى والرومى وو . . . . الخ بعضها من بعض كما سبق

(نظرية تنفع لحساب السماء والارض)

(فى استخراج السنين بعضها من بعض)

لاجل استخراج أى سنة من اخرى يلزمك اولا ان تكتب هاتين المعادلتين (١) ع = ج − ٦٢٢ + $\frac{ج - ٦٢٢}{٣٢}$

(٢) ج = ع − $\frac{ع}{٣٢}$ + ٦٢٢

في هاتين المعادلتين حرف ع يدل على السنة العربية وحرف ج يدل على السنة الافرنجية وعدد ٦٢٢ هو تاريخ أول يوم الهجرة فاذا اردنا معرفة استخراج السنة العربية من السنة الافرنجية ولتكن سنة ١٣٣٧ أى وقت تحرير هذا الكتاب يكون العمل هكذا

ع = ١٩١٩ — ٦٢٢ + $\frac{١٩١٩ — ٦٢٢}{٣٢}$ وبأجراء عملية الضرب والقسمة ينتج ع = ١٢٩٧ + ٤٠ وباجراء عملية الجمع ينتج ع = ١٣٣٧

وبهذه الطريقة يمكن استخراج السنة الافرنجية من المعادلة (٢)

واذا كان المطلوب معرفة السنة القبطية يكون ع = $\frac{ع}{٣٣}$ + ٣٣٨ واذا كانت السنة الافرنجية معلومة والمطلوب معرفة السنة القبطية المقابلة لها فاطرح من السنة الافرنجية هذا العدد ٢٨٣ فالباقي هو السنة القبطية المطلوب البحث عنها

وإذا كانت السنة القبطية معلومة والمطلوب معرفة السنة الافرنجية فضم على السنة القبطية ٢٨٣

ناشدتك ايها القارئ الكريم بحق العلم بعد ما شرحت لك جدول السحر المبين فى معرفة غرر شهور السنين والنظريات الفلكية المتقدمة ان تجرب بنفسك وتباشر العمل بذاتك فى استخراج غرة سنة أو اثنين وانا الضمين لك انك تشعر بلذة غريبة تفوق الارتياح والاغتباط ما عساه يجعل لك اذا عثرت بكنز ثمين

« استلفات نظر لأهل البصر »

لا يغيب عنك ايها القاريء الكريم ان كل ما تقدم كان موجهاً الى ذلك الفقيه قريب الزوجة الثالثة وحيث ان عام تأليف هذا الكتاب ١٣٣٧ الموافق عام ١٩١٩ ذلك العام الهنيء السعيد المبشر بحياة جديدة ظهرت بوادرها الشريفة التي نشر فيها السلام العام والهناء على جميع الانام حقاً ان هذه السنة سنة خير وإسعاد وطالع سعود وإرفاد فلذلك جعلتها مبدأ لسنى الجدول الآتى المنبيء عن السنين العربية التي اجتمعت فيها القلوب وتوحدت العواطف وائتلفت النفوس وارتقت الاميال وتحققت الامال ولا عجب بعد هذا اذا غردت على أشجار الحرية والمساواة والاخاء طيور الكتاب والشعراء والادباء وغنت على أزهار الربيع بأصوات شجية تذهب الحزن عن كل قلب وجيع فاسمع معى هذه الاغانى ببلوغ الاماني ووفود التهاني

« تاريخ الالفة والاتحاد بين أبناء البلاد »

سعد الزمان وساعد الاقبال ودنا المنى و انقادت الآمال

سنة ١٣٣٧

وقبل الشروع في كتابة الجدول رأيت ان أثبت تاريخاً جميلاً لتلك السنة سنة الاتحاد والائتلاف وزوال الشقاق والخلاف سنة النعمة الوفية والتمتع بالهناء والحرية

يا مصر انك فى نعيم دائم ولك السعادة في الزمان القادم
يا امة النيل السعيد لتهنىء بثبات امر مع ثبوت دعائم
عام السعادة والهناء تاريخه لتحي مصر فى نعيم دائم

سنة ١٣٣٧

(جدول حساب السنين وموافقة تاريخ أشهرها وأيامها بعضها لبعض)

عربية			قبطية		أفرنكية	
أول محرم سنة ١٣٣٧	يوم الاثنين	«	٢٧ توت سنة ١٦٣٥	«	١٧ اكتوبر سنة ١٩١٨	
« ٣٨	« الجمعه	«	١٥ « ٣٦	«	٢٦ سبتمبر ١٩	
« ٣٩	« الثلاثاء	«	٤ « ٣٧	«	١٤ « ١٩٢٠	
« ١٣٤٠	« الاحد	«	٢٩ مسرى ٣٧	«	٤ « ٢١	
« ٤١	« الخميس	«	١٨ « ٣٨	«	٢٤ أغسطس ٢٢	
« ٤٢	« الثلاث	«	٨ « ٣٩	«	٢٤ « ٢٣	
« ٤٣	« السبت	«	٢٦ أبيب سنة ١٦٤٠	«	٢ « ٢٤	
« ٤٤	« الاربع	«	١٥ « ٤١	«	٢٢ يونيه ٢٥	
« ٤٥	« الاثنين	«	١٥ « ٤٢	«	١٢ يوليو ٢٦	
« ٤٦	« الجمعه	«	٢٤ بؤونه ٤٣	«	١ يوليو ٢٧	
« ٤٧	« الاربع	«	١٣ « ٤٤	«	٢٠ يونيه ٢٨	
« ٤٨	« الاحد	«	٢ « ٤٥	«	٩ يونيه ٢٩	
« ٤٩	« الخميس	«	٢١ بشنس ٤٦	«	٢٩ مايو ١٩٣٠	
« ١٣٥٠	« الثلاث	«	١١ بشنس ٤٧	«	١٩ مايو ٣١	
« ٥١	« السبت	«	٢٩ برموده ٤٨	«	٧ مايو ٣٢	
« ٥٢	« الاربع	«	١٨ « ٤٩	«	٢٦ أبريل ٣٣	
« ٥٣	« الاثنين	«	٨ « ١٦٥٠	«	١٦ أبريل ٣٤	
« ٥٤	« الجمعه	«	٢٧ برمهات ٥١	«	٥ أبريل ٣٥	
« ٥٥	« الثلاث	«	١٥ برمهات ٥٢	«	٢٤ مارث ٣٦	

(تابع ما قبله)

عربية			قبطية			افرنكية		
أول محرم سنة	١٣٥٦	يوم الاحد	«	٥ برمهات سنة	١٦٥٣	«	١٤ مارث سنة	١٩٣٧
«	٥٧	« الخميس	«	٢٤ امشير	٥٤	«	٣ «	٣٨
«	٥٨	« الثلاث	«	١٤ «	٥٥	«	٢١ فبراير	٣٩
«	٥٩	« السبت	«	٢ «	٥٦	«	١٠ «	١٩٤٠
«	١٣٦٠	« الاربع	«	٢١ طوبه	٥٧	«	٢٩ يناير	٤١
«	٦١	« الاثنين	«	١١ «	٥٨	«	١٩ «	٤٢
«	٦٢	« الجمعة	«	٣٠ كيهك	٥٩	«	٨ «	٤٣
«	٦٣	« الثلاث	«	١٨ «	١٦٦٠	«	٢٨ ديسمبر	٤٣
«	٦٤	« الاحد	«	٨ «	٦١	«	١٧ «	٤٤
«	٦٥	« الخميس	«	٢٧ هاتور	٦٢	«	٦ «	٤٥
«	٦٦	« الاثنين	«	١٦ «	٦٣	«	٢٥ نوفمبر	٤٦
«	٦٧	« السبت	«	٥ «	٦٤	«	١٥ «	٤٧
«	٦٨	« الاربع	«	٢٤ بابه	٦٥	«	٣ «	٤٨
«	٦٩	« الاثنين	«	١٤ «	٦٦	«	٢٤ اكتوبر	٤٩
«	١٣٧٠	« الجمعة	«	٣ «	٦٧	«	١٣ «	١٩٥٠
«	٧١	« الثلاث	«	٢١ توت	٦٨	«	٢ «	٥١
«	٧٢	« الاحد	«	١١ «	٦٩	«	٢١ سبتمبر	٥٢
«	٧٣	« الخميس	«	٥ النسيء	٦٩	«	١٠ «	٥٣

obeikandl.com

(تابع ما قبله)

عربية			قبطية			افرنكية		
اول محرم سنة ١٣٧٤	يوم الاثنين	«	٢٤ مسرى سنة ١٦٧٠	«		٣ اغسطس سنة ١٩٥٤	«	
« ٧٥	« السبت	«	٢٤ « ٧١	«		٢٠ « ٥٥	«	
« ٧٦	« الاربع	«	٢ « ٧٢	«		٨ « ٥٦	«	
« ٧٧	« الاثنين	«	٢٢ ابيب ٧٣	«		٢٩ يوليه ٥٧	«	
« ٧٨	« الجمعة	«	١١ « ٧٤	«		١٨ « ٥٨	«	
« ٧٩	« الثلاث	«	٢٠ بؤونه ٧٥	«		٧ « ٥٩	«	
« ١٣٨٠	« الاحد	«	١٩ « ٧٦	«		٢٦ يونيه ١٩٦٠	«	
« ٨١	« الخميس	«	٨ « ٧٧	«		١٥ يوليه ٦١	«	
« ٨٢	« الاثنين	«	٢٧ بشنس ٧٨	«		٤ يونيه ٦٢	«	
« ٨٣	« السبت	«	١٧ « ٧٩	«		٢٥ مايو ٦٣	«	
« ٨٤	« الاربع	«	٥ « ١٦٨٠	«		١٣ « ٦٤	«	
« ٨٥	« الاحد	«	٢٤ برموده ٨١	«		٢ « ٦٥	«	
« ٨٦	« الجمعة	«	١٤ « ٨٢	«		٢٢ ابريل ٦٦	«	
« ٨٧	« الثلاث	«	٣ « ٨٣	«		١١ « ٦٧	«	
« ٨٨	« الاحد	«	٢٢ برمهات ٨٤	«		٣١ مارث ٦٨	«	
« ٨٩	« الخميس	«	١١ « ٨٥	«		٢٠ « ٦٩	«	
« ١٣٩٠	« الاثنين	«	٣٠ امشير ٨٦	«		٩ مارث سنة ١٩٧٠	«	
« ٩١	« السبت	«	٢٠ « ٨٧	«		٢٧ فبراير ٧١	«	
« ٩٢	« الاربع	«	٨ « ٨٨	«		١٦ « ٧٢	«	
« ٩٣	« الاحد	«	٢٧ طوبة ٨٩	«		٤ « ٧٣	«	

obeikandl.com

(تابع ما قبله)

عربية			قبطية		افرنكية	
أول محرم سنة	١٣٩٤	يوم الجمعة	١٧ طوبه سنة	١٦٩٠	٢٥ يناير سنة	١٩٧٤
»	٩٥	« الثلاث	٦ «	٩١	١٤ «	٧٥
»	٩٦	« السبت	٢٤ كيهك	٩٢	٣ «	٧٦
»	٩٧	« الخميس	١٤ «	٩٣	٢٣ ديسمبر	٧٦
«	٩٨	« الاثنين	٣ «	٩٤	١٢ «	٧٧
«	٩٩	« السبت	٢٣ هاتور	٩٥	٢ «	٧٨
«	١٤٠٠	« الاربع	١١ هاتور	٩٦	٢١ نوفمبر	٧٩

وعلى هذا المنوال تسير أيها المطالع الكريم فى هذا الجدول العظيم إلى ماشاء الله من السنين والشهور والايام على مدى الاجيال والاعوام وسبحان من له الدوام علّم الانسان ما لا يعلم وهداه الطريق الأقوم

واليك جدولاً يبتدئ من سنة ١٩١٩ الموافقة سنة ١٣٣٧ وقد قيل فيها

الدين لله كل فن في طريقته والله رب قلوب الناس علام
دين لنا ولكم دين نجله وحكمة الله لم تدرك بافهام

(تاريخ السلام العام سنة ١٩١٩ بين جميع الانام)

(جدول حساب السنين الافرنكية وموافقتها للقبطية والعربية)

افرنكية		قبطية		عربية
أول يناير سنة ١٩١٩	»	٢٣ كيهك سنة ١٦٣٥	»	يوم الاربع ٢٨ ربيع ثاني سنة ١٣٣٧
» ٢٠	»	٢٢ » ٣٦	»	» الخميس ٩ ربيع ثاني ٣٨
» ٢١	»	٢٣ » ٣٧	»	» السبت ٢٢ ربيع ثاني ٣٩
» ٢٢	»	٢٣ » ٣٨	»	» الاحد ٢ جماد اول ١٣٤٠
» ٢٣	»	٢٣ » ٣٩	»	» الاثنين ١٣ جماد اول ٤١
» ٢٤	»	٢٢ » ١٦٤٠	»	» الثلاث ٢٣ جماد اول ٤٢
» ٢٥	»	٢٣ » ٤١	»	» الخميس ٥ جماد ثاني ٤٣
» ٢٦	»	٢٢ » ٤٢	»	» الجمعة ٥ جماد ثاني ٤٤
» ٢٧	»	٢٣ » ٤٣	»	» السبت ٢٦ جماد ثاني ٤٥
» ٢٨	»	٢٢ » ٤٤	»	» الاحد ٨ رجب ٤٦
» ٢٩	»	٢٣ » ٤٥	»	» الثلاث ١٩ رجب ٤٧
» ١٩٣٠	»	٢٣ كيهك ٤٦	»	» الاربع ٣٠ رجب ٤٨
» ٣١	»	٢٣ » ٤٧	»	» الخميس ١١ شعبان ٤٩
» ٣٢	»	٢٢ » ٤٨	»	« الجمعة ٢١ شعبان ١٣٥٠
» ٣٣	»	٢٣ » ٤٩	»	« الاحد ٤ رمضان ٥١
» ٣٤	»	٢٣ » ١٦٥٠	»	« الاثنين ١٥ رمضان ٥٢
» ٣٥	»	٢٣ » ٥١	»	« الثلاث ٢٠ رمضان ٥٣
» ٣٦	»	٢٢ » ٥٢	»	« الاربع ٦ شوال ٥٤
» ٣٧	»	٢٢ » ٥٣	»	« الجمعة ١٨ شوال ٥٥

(تابع ما قبله)

افرنكية		فبطية		عربية
أول يناير سنة ١٩٣٨	»	٢٢ كيهك سنة ١٦٥٤	»	يوم السبت ٢٨ شوال سنة ١٣٥٦
» ٣٩	»	٢٣ » ٥٥	»	» الاحد ١٠ ذو القعدة ٥٧
» ١٩٤٠	»	٢٣ » ٥٦	»	» الاثنين ٢٠ ذو القعدة ٥٨
» ٤١	»	٢٣ » ٥٧	»	» الاربع ٢٣ ذو الحجة ٥٩
» ٤٢	»	٢٣ » ٥٨	»	» الخميس ٢ ذو الحجة ١٣٦٠
» ٤٣	»	٢٣ » ٥٩	»	» الجمعة ٢٣ ذو الحجة ٦١
» ٤٤	»	٢٢ » ١٦٦٠	»	» السبت ٥ محرم ٦٣
» ٤٥	»	٢٣ » ٦١	»	» الاثنين ١٦ محرم ٦٤
» ٤٦	»	٢٣ » ٦٢	»	» الثلاث ٢٧ محرم ٦٥
» ٤٧	»	٢٣ » ٦٣	»	» الاربع ٨ صفر ٦٦
» ٤٨	»	٢٢ » ٦٤	»	» الخميس ١٨ صفر ٦٧
» ٤٩	»	٢٣ » ٦٥	»	» السبت ١ ربيع أول ٦٨
» ١٩٥٠	»	٢٣ » ٦٦	»	» الاحد ١١ ربيع أول ٦٩
» ٥١	»	٢٣ » ٦٧	»	» الاثنين ٢٢ ربيع أول ١٣٧٠
» ٥٢	»	٢٢ » ٦٨	»	» الثلاث ٣ ربيع ثاني ٧١
» ٥٣	»	٢٣ » ٦٩	»	» الخميس ١٤ ربيع ثاني ٧٢
» ٥٤	»	٢٣ » ١٦٧٠	»	» الجمعة ٢٥ ربيع ثاني ٧٣
» ٥٥	»	٢٣ » ٧١	»	» السبت ٧ جماد أول ٧٤
» ٥٦	»	٢٢ » ٧٢	»	» الاحد ١٧ جماد أول ٧٥
» ٥٧	»	٢٣ » ٧٣	»	» الاثنين ٢٩ جماد أول ٧٦

(تابع ما قبله)

افرنكية	السنة الشمسية	قبطية	السنة الشمسية	عربية
اول يناير سنة ١٩٥٨	»	٢٣ كيهك سنة ١٦٧٤	»	يوم الاربع ٩ جمادأول سنة ١٣٧٧
» ٥٩	»	٢٣ » ٨٥	»	« الخميس ٢٠ جماد ثاني ٧٨
» ١٩٦٠	»	٢٢ » ٧٦	»	« الجمعة ٢ رجب ٧٩
» ٦١	»	٢٣ » ٧٧	»	« الاحد ١٣ رجب ١٣٨٠
» ٦٢	»	٢٣ » ٧٨	»	« الاثنين ٢٤ رجب ٨١
» ٦٣	»	٢٣ » ٧٩	»	« الثلاث ٥ شعبان ٨٢
» ٦٤	»	٢٢ » ١٦٨٠	»	« الاربع ١٥ شعبان ٨٣
» ٦٥	»	٢٣ » ٨١	»	« الجمعة ٢٧ شعبان ٨٤
» ٦٦	»	٢٣ » ٨٢	»	« السبت ٩ رمضان ٨٥
» ٦٧	»	٢٣ » ٨٣	»	« الاحد ١٩ رمضان ٨٦
» ٦٨	»	٢٢ » ٨٤	»	« الاثنين ٣٠ رمضان ٨٧
» ٦٩	»	٢٣ » ٨٥	»	« الاربع ١١ شوال ٨٨
» ١٩٧٠	»	٢٣ » ٨٦	»	« الخميس ٢٢ شوال ٨٩
» ٧١	»	٢٣ » ٨٧	»	« الجمعة ٤ ذوالقعدة سنة ١٣٩٠
» ٧٢	»	٢٢ » ٨٨	»	« الاثنين ١٤ ذوالحجة ٩١
» ٧٣	»	٢٣ » ٨٩	»	« الاثنين ٢٦ ذوالحجة ٩٢
» ٧٤	»	٢٣ » ١٦٩٠	»	« الثلاث ٦ ذو لحجه ٩٣
» ٧٥	»	٢٣ » ٩١	»	« الاربع ١٧ ذوالحجه ٩٤
» ٧٦	»	٢٢ » ٩٢	»	« الخميس ٢٨ ذو الحجه ٩٥
» ٧٧	»	٢٣ » ٩٣	»	« السبت ١٠ محرم ٩٧

obeikan.com

(تابع ما قبله)

افرنكية		قبطية		عربية	
اول يناير سنة ١٩٧٨	«	٢٣ كيهك سنة ١٦٩٤	«	يوم الاحد ٢١ محرم سنة ١٣٩٨	«
« ١٩٧٩	«	٢٣ « ٩٥	«	« الاثنين غرة صفر ٩٩	«
« ١٩٨٠	«	٢٢ « ٩٦	«	« الثلاث ١٢ صفر سنة ١٤٠٠	«

وهكذا إلي ما شاء الله وسبحان من علم الانسان مالم يعلم وهو علام الغيوب

(فائدة عظيمة لها في حساب الفلك قيمة)

اذا اردت ان تعرف ما هو الشهر الذي تزيد عدد ايامه أو تنقص من الشهور الافرنكية فما عليك الا ان تكتب هذه الجملة وهي (فاز رجل ختم بحج) فالحروف التي بها نقط تدل على الشهور الزائدة والحروف المهلة تدل على الشهور التي عدد ايامها ٣٠ يوماً فقط واليك مثال

يناير	فبراير	مارث	ابريل	مايو	يونيه	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
ف	ا	ز	ر	ج	ل	خ	ت	م	ب	ج	ج
٣١	٢٨	٣١	٣٠	٣١	٣٠	٣١	٣١	٣٠	٣١	٣٠	٣١

وحيث سبق لك ايها القارئ الكريم الاطلاع على جداول السنين العربية والافرنكية فاليك الآن جدول يبين غرر الشهور للسنين القبطية المعول عليها في قطرنا المصرى لاوقات الاراضي الزراعية وقد قيل فيها أحد الادباء

فالمسلمون لقوم عيسى اخوة نسباً عن الاوطان والارحام
شدوا التآخي قوم عيسى قدمضى زمن التعصب وانقضى بسلام
فاليوم يجمعنا نداء واحد حب البلاد وروعة الاهرام

(سنة ١٦٣٦)

(اعظم هدية جدول حساب غرر شهور السنين القبطية)

قبطية		افرنكية		عربية
اول توت سنة	١٦٣٦	« ١٢ سبتمبر سنة	١٩١٩	« يوم الجمعة ١٦ ذو الحجة ٣٧
«	٣٧	« ١١ «	١٩٢٠	« السبت ٢٧ ذو الحجة ٣٨
«	٣٨	« ١١ «	٢١	« الاحد ٨ محرم سنة ١٣٤٠
«	٣٩	« ١١ «	٢٢	« الاثنين ١٩ « ٤١
«	١٦٤٠	« ١١ «	٢٣	« الاربع ٣٠ « ٤٢
«	٤١	« ١١ «	٢٤	« الخميس ١١ صفر ٤٣
«	٤٢	« ١١ «	٢٥	« الجمعة ٢٢ « ٤٤
«	٤٣	« ١١ «	٢٦	« السبت ٣ ربيع أول ٤٥
«	٤٤	« ١٢ «	٢٧	« الاثنين ١٥ ربيع اول ٤٦
«	٤٥	« ١١ «	٢٨	« الثلاث ٢٥ « ٤٧
«	٤٦	« ١١ «	٢٩	« الاربع ٦ ربيع ثاني ٤٨
«	٤٧	« ١١ «	١٩٣٠	« الخميس ١٧ « ٤٩
«	٤٨	« ١٢ «	٣١	« السبت ٢٨ « ١٣٥٠
«	٤٩	« ١١ «	٣٢	« الاحد ١٠ جماد أول ٥١
«	١٦٥٠	« ١١ «	٣٣	« الاثنين ٢١ « ٥٢

(تابع ما قبله)

قبطية	الموافق	افرنكية	الموافق	عربية
اول توت سنة ١٦٥١	«	١١ سبتمبر سنة ١٩٣٤	«	يوم الثلاث غرة جمادأول سنة ١٣٥٣
« ٥٢	«	١٢ « ٣٥	«	« الخميس ١٣ جمادثاني ٥٤
« ٥٣	«	١١ « ٣٦	«	« الجمعة ٢٤ « ٥٥
« ٥٤	«	١١ « ٣٧	«	« السبت ٥ رجب ٥٦
« ٥٥	«	١١ « ٣٨	«	« الاحد ١٦ « ٥٧
« ٥٦	«	١٢ « ٣٩	«	« الثلاث ٢٧ « ٥٨
« ٥٧	«	١١ « ١٩٤٠	«	« الاربع ٨ شعبان ٥٩
« ٥٨	«	١١ « ٤١	«	« الخميس ١٩ « ١٣٦٠
« ٥٩	«	١١ « ٤٢	«	« الجمعة ٢٩ « ٦١
« ١٦٦٠	«	١٢ « ٤٣	«	« الاحد ١٢ رمضان ٦٢

نقل الصخر على الاعناق أيسر من تفهيم من لايفهم

تلوت على هذا الفقيه هذه الآيات البينات وحاججته بتلك الحجج الباهرات وكنت أظن انها توقفه عند حده وتفيده فى عقله وتخرجه عن خطيرة جهله فما زاده كلامى إلا نفوراً وما أثر فيه إلا ان زاده غروراً وقابلنى بما لم يكن فى الحسبان ولايطرأ على الاذهان إذ قال :

انك قد أوجعت رأسي بهذا الكلام القاسي الذى ليس فيه نتيجة ولا أثر فأين ما عندك من المال والضياع والبقر وأين ما تملكه من الدور الواسعة والقصور الشامخة والاموال الغزار فهي التى تحجه اليه فى هذا الزمان الانظار ويكون عليها مدار المعيشة ونظام الدار وبغير ذلك لا يقر لزوجتك معك قرار . . . . . الخ

أما أنا فلم استغرب عليه تمسكه بالضلال والغواية وبعده عن طريق الرشد والهداية حيث علمت منه انه من جماعة العرافين المشعوذين الذين يدعون الاطلاع على الغيب بالتنجيم ولذلك قال لي انه أولى بنت اختى ان تقترن برجل عظيم من ارباب المعرفة بالتنجيم الذين اسعدهم الحظ والطالع بمعرفتهم المطالع وكل شيء لهم طائع فأصبحوا ذوى ثروة هائلة واموال طائلة بما يجمعون من صناعتهم ويحصلون من اعمالهم واما انت فما الذى تستفيده من جداولك وعلومك وما الذي يعود الينا وعلينا من تحريراتك وفنونك التى لا يقترن بها اكتساب الدراهم والدنانير ولا يترتب على الاشتغال بها الربح الكثير هكذا يقول هذا الجهول الذى لايدري الالف من الباء ولا يعرف ما هو الانفع من الاشياء

ولما عرف هذا الفقيه انى لست ممن يدخل عليهم الترهات والتمويهات ورأى من اني واياه على طرفى نقيض فتطلعت همته القاصرة إلى الافتراق بواسطة الطلاق فطلقت بنت اخته غير مأسوف عليها ولا على خالها وحمدت الله تعالى فقط على الخلوص من نسبه ونسبها وجهله وجهلها ولطف الله بمن ابتلى به وبها لاني صرفت ٢٠٠ جنيه فى شهر ونصف وحسبي الله ونعم الوكيل

استلفات النظر الى عبرة من العبر

فانظر ايها القارئ الكريم الى ما ابتليت به من هاتين المصيبتين في نهاية امر هاتين الزوجتين الاولى والثالثة من جهة ذينك الخالين الذين اوقعاني فى نارين

ومن غريب المصادفات التي تدعو إلى العجب والاستغراب ان احدى هاتين الزوجتين كان لها خال حسن بخدها يزيدها حسناً على حسنها لا كهذا الخال الفقيه الذي من أجله اكرهت ان اسمع لفظة خال هذا اللفظ المحبوب الذى يقترن بالجمال فى النساء والرجال كما قال فيه واصفيه ،

لها خال على صفحات خد ... كنقطة عنبر فى صحن مرمر
والحاظ بأسياف تنادي ... على عاصى الهوى والله اكبر

(ملحوظة) قد وجدت فى كتب اسفار الاندلس ما ينطق عليّ وعلى معاشرتي للثلاث زوجات السابق ذكرهن وهو

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكانى
مالى تطاوعنى البرية كلها ... واطيعهن وهن في عصياني
عجباً يهاب الليث حد سنانى ... وأهاب لحظ فوارالأجفان

ثم طلقتها وقلت عند طلاقها

كم وعظ القائمون فينا ... وقام فى الأرض أنبياء
وانصرفوا والبلاء باق ... ولم يزل داؤك العياء

(المخطوبة الرابعة التي رفض عمها أن اكون له صهرا)

(بحجة ان الماسونية تعدّ فى نظره كفرا)

وكم عـيم اتت منهُ هموم وخالٍ من جنى الخيرات خال

علمت ايها القارى الكريم من الكلام على الزوجة الثانية أن الهناء البيتى والسعادة الزوجية لا ارتباط لهما بكون الزوجة من البيوت العالية ذات الثروة الطائلة والابهة الكاذبة وانه ربما كان فى البيوت الصغيرة أو المتوسطة من الزوجات من هن مفتاح كل سعادة وهناء وعليهن مدار راحة الضمير واطمئنان البال وعلى نور هذه العقيدة سرت فى خطبة هذه السيدة الرابعة فقد كان والدها رجلاً قحاحاً يتاجر في الغلال والبقول بعيداً عن ابهة العظماء وفخفخة الكبراء فاردت الاقتران بابنته وشرعت في ذلك بحول الله وقوته : توجهت مع بعض اصحابي من الوطنيين والاجانب اليه وعرضت امام ما كنا عزمنا من قبل عليه فقابلنى اخوه وهو عم المخطوبة بذكرتهم شنيعة نسبها إلىّ بجهالته وعقائد فاسدة اسندها إلىّ ببساطته وعباطته حيث قال : انك رجل (فرماسوني) كافر لا يحل لمسلم ان يصاهرك سواء كان من الاصاغر أو الاكابر فسألته من أين لك هذا الحكم القاسى ؟ وما الذي ظهر لك حتى تكفرني وانا مسلم مؤمن بالله وبكتبه المنزلة على انبياه ولم يظهر علىّ مكفر ولم يبد منى انكار لما علم من الدين بالضرورة ؟ فاجابنى بانة قرأ لي فى الجرائد مقالتين ماسونيتين فحينئذ وجدت نفسي مضطراً أن اشرح له ماهي

الماسونية وما الغرض منها وما هى شروطها وقوانينها ليكون على بينة من امرها لعله يعدل عن فكره ويحقق لي المأمول ويتلقانى صهراً لاخيه بالقبول

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ولو لما يشتهي قد مهد الزمن
حتى اذا انبسطت بحر البحار له تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

وقلت فى نفسى عقب ذلك ما اكثر هذه العقبات التى تلجئنى الى ذكر هذه المقالات ارشاداً لهؤلاء الرجال فكأننى فى هذه المقام بسوق اعرض بضاعتى فيه على الاقوام وحينئذ تسليت وتصبرت وقلت وما عسي أن تعرضه على الناس الا امثال هذه الارشادات فانها رأس مالى أنا وكثير من امثالى وذكرت له هذه المقاله :

(الماسونية واسباب وجودها)

لما كان البقاء من لوازم الوجود فالانسان من حيث انه موجود مكلف بحفظ ذاته ترشده البداهة إلى معرفة نواميس الطبيعة الضامنة لذلك الحظ

والحيوان الناطق داجن مؤلف فالانسان من وجه انه مدنى فهو مكلف بحفظ نوعه تهديه القوة العاقلة إلى الاحكام الأدبية الكافلة لذلك الحفظ وعلى هذا الناموس الطبيعى كانت احكام هذه القاعدة

(الحرية والمساواة والاخاء)

كلمات كانت قواعد الحضارة والمدنية فى كل بلد راق وفى كل أمة ناهضة وكانت ايماناً صادقاً بل يقيناً وطيداً يدين به كل من ذاق لذة الوطنية وعرف نواميسها وشرائعها وقد عرف من اطوار التاريخ وثمراته فى الامم ان هذه القواعد اذا ثبتت وتوطدت جعلت بنيان الامة وطيداً متيناً فلا يقال للمصري ما مذهبك وما معتقدك بل يقال له فقط أمصرى وطنى انت ؟

ومن كان مصرياً ينعم بخير مصر ومالها وسلامها وامانها فرض عليه لها الواجب المحتم على كل وطنى لوطنه حق خدمته فعلى هذا الاساس تبنى الامم وبهذه الروح الشريفة ترقى الشعوب وهذا مانراه ونسمعه فى كل محفل وناد ومن كل شفة ولسان تتلقاه العامة عن الخاصة ويأخذه الساذج عن العالم وهكذا دواليك تتلقى الاذن من الالسن ما ترسله إلى القلوب فتغرسه فيها غرساً طيباً جميلاً ولا نشك بان مصر ستجنى ثمار هذه الجمعية الطيبة المقدسة ويصبح ابناؤها جميعاً جسماً واحداً سليماً معافى

ولقد تهذبت النفوس وتربت على هذه الشروط وصارت الناس تتجاوب به ويجعله كل فرد دستوراً له فى الحياة والعمل حتى انك ترى الألوف ومئات الألوف تتأخى وتتصافح والوالد يلقي كلمة الاخاء على ولده والمرأة ترتلها فوق رأس طفلها وكل انسان يرتل وينشد الاخاء الحرية والمساواه :

هذه وجهة الماسونية المقدسة بالعلم والادب والتعاون والتعاضد والاتحاد على ما فيه خير الهيئة الاجتماعية الانسانية خصوصاً وان هذه العشيرة اسست على الفضيلة بافرادها الذين هم امراء وعظماء ووزراء وادباء وحكماء وعقلاء ونبهاء ونبلاء وظرفاء ولطفاء وفقهاء وخطباء وو . . . . . الخ وأغنياء وملوك العالم اجمع الذين قاموا بواجبات تأييد العلم والادب وصيانة الافكار عن مفاسد الجهل وجمع الكلمة وتوحيد الوجهة والاخذ فى الامور بوسائل الحكمة والموعظة الحسنة وحفظ اسباب المحبة والائتلاف والاعتصام بروابط النفع العام ووقاية الوطن واعلاء شأنه وتمهيد طرق السعادة والرفاهية المدنية الحقيقة والوطنية اذ ما وجد الماسوني الا ليكون عضواً عاملاً فيها يذود عنها ويفتديها بما يستطيع من كل طارئ حسى ومعنوى

اما خرافات الجهلاء وتعصب الاغبياء واباطيل ذوي الاغراض الذاتية لمفاسد الهيئة الاجتماعية فانه يحبس حرية عقل الانسان ويترتب على هذا الاحتباس عدم قدرة الانسان على البحث في الحقيقة الادبية المطلوبة للحياة الشريفة التى لا بد لها من مربٍ حكيم يأخذ بيد الانسان فيما يعانيه من آلام الجهالة والتطوح فى مهاوى العدم والفناء فى وادي الجرائم القتالة

وها أنا أقول لك ايها العلم المفتخر المحترم ماتحرك بنان ولاجرى قلم ولا نطق لسان بأحسن من الثناء الحق على نصراء الحق فانه سبيل الوفاء ومنهج الاقتداء فتتحلى به النفس الطاهرة بما كسبت من الخير وتهتدي به الى الصراط المستقيم اذ لا احق بالشكر واولى بالثناء واخلق

بالحمد واجدر بالاطراء الا على رجال الطائفة الماسونية الشريفة المقدسة المعدة لتهذيب الجنس الانسانى

واننا لنهنئ انفسنا بانتشار هذه المبادئ الشريفة فى قطرنا السعيد الذى اصبح ما يشبه به فى هذه الايام أنه مدرسة يلقن فيها العلماء والادباء والكتاب والخطباء ورؤساء الدين والحكماء والساسة للشعب العزيز في وادى النيل الخصيب درساً واحداً جميلاً ذلك الدرس النفيس الذي تتلقفه الأذهان قبل الآذان ألا وهو . الاخاء والحرية والمساواة

واليك ايها العم العظيم انشودة يتغنى بها الصغار والكبار وتنتعش بها الافكار بالليل والنهار لعلها تزيح عنك الوهم الذي يؤدي بك وبأمثالك الى أن تعتقدوا في الماسونية شراً هى منه براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقبل ان تقرأها تذكر قول من قال وأطرب وأنشد وأغرب فى تشبيه الجمعية الماسونية الموقرة عند أهل التذكرة : من باب (حجاز كار)

التربية أصل الدنيا والعدل اسباب العمران
والناس منافعهم منهم فيهم وأحسنهم من كان
يخدم بلاده وينفعها وتعرف الايام فضله

واسمع احسن ما قيل ايها الاستاذ النبيه النبيل اغاني درر المعانى فى الماسونيه وهى الجمعية المقدسة الطاهرة

اعقد لك على الخنصر أخ يحزن على حزنك وينوح
وافهم معانى كلمة اخ اذ انها تطلع من الروح
آدم براه ربه من الطين وكون الناس من نسله

والفرع من هذا التكوين ساوي بتمثيله أصله
خذ لك بقى من دا شاهد على المساواة بالعنيه
ما دمت أنا وانت واحد لماذا التعاظم فى الدنيه
أوعى تقول أنى قادر على البناء من غير اخوان
من غير مساعدة يا شاطر فى شبر مويه تكون غرقان
عنتر لوحده كان عنتر لكن بناسه عنتر عبس
والمرء باخوانه يكثر ومن أستقل بنفسه هلس
فى كل حاجة تكون معذور لاجل يبقى معاك واحد
لما ابنى البيت المعمور كان للخليل ابنه مساعد
للكف معصم وبدونه معدوم كذا حال الاخين
وللشمال تلقى يمينه ومن يسقف له أيدين
بالاجتماع غيرك دونك والديب يصيب المقطوعة
خذ لك شواهد من كونك فيك العناصر مجموعة
ابنى وخل لك آثار من قبل رميك فى رمسك
وايه حياتك فى دي الدار غير خدمتك ابناً جنسك
ابنى على قدر الطاقة وقل من الندر وأوفي
وان شفت في السكة عاقة ملزوم لنارها أنت تطفى
قل للذي فى تلوينه غرك ومقصوده الاضرار
الماء اذا طال تسخينه لا يمنعه من طفى النار
اوعى تقول احنا أخين دى الثنية غير الوحدة
قل يا أنا واجعل نفسين بالاتحاد حالة واحدة

وهكذا من مثل هذه الاقوال الدارجة التي يفهمها الخاص والعام من أهل هذه العشيرة الكرام ولما لم أجد فائدة من هذا الفقيه ورأيت ان أقوالي ذهبت سدى في مهب الرياح قد تركته وحررت في مذكرتي عبرة من العبر وهي

(التعصب الذميم خلق كل وغد لئيم)

من كان يجهل لا تفيد مقالة فيه ولا تهديه للخيرات
فانظر الى ذا العم بئست حاله عم غبي لم تفده عظاتي

ولا أنكرك ايها القاريء الكريم فقد علمت اخيراً عن هذه العائلة من الغرور والشرور وحمدت الله على انه أبعدني عنها ونجاني من شر مصاهرتها ومن محاسن الصدف اني بعد ذلك قرأت قول الامام علي كرم الله وجهه قصيدة من ضمنها

ان لم تكن في منزل الحرّ حرة تدبره ضاعت مصالح داره
وان شئت أن تختار لنفسك حرة عليك ببيت المجد خذ من خياره
وإياك من البيت الدنيء فربما تعار على طول الزمان بعاره
ففيهن من تأتي الفتى وهو معسر فيصبح كل الخير في وسط داره
وفيهن من تأتيه وهو ميسر فيصبح لا يملك عليق حماره
وفيهن من لا بيض الله وجهها اذا غاب عنها الشخص طلت لجاره
وفيهن من يخرب البيت كعبها وفيهن من تغنيه عند افتقاره
فلا رحم الرحمن خائنة النساء ويحرق كل الخائنات بناره

ومن الاتفاقات الغريبة والمصادفات العجيبة اني وجدت فائدة للامام علي كرم الله وجهه عرفت بها كيفية كفء انتخاب الزوجة يصدق

عليها القول المأثور (ولكل أمرء ما نوى) ولا بأس من ذكرها والعمل بها لانها عن حكمة بالغة لا يعلمها الا عالم الكون جلا وعلا واليك البيان والتجربة أعظم برهان وناهيك اني جربتها في نفسي وكثير من اخواني واستفدنا منها وها هي بنصها وفصها

يحسب اسم الرجل والمرأة بدون لقب ويجمعان على بعضهما ويزاد على حاصل الجمع عدد (٧) سبعة ثم يقسم المجموع على عدد (٩) فاذا كان الباقي

عدد ١ فيكون بين الزوجين حب متواصل وربما فيه فراق

« ٢ « حب زين

« ٣ « فشل مستديم

« ٤ « حب بين الزوجين ولكن كالديوك

« ٥ « خصب ومال وبنون

« ٦ « نحس مستديم

« ٧ « المرأة جنة

« ٨ « حب متواصل دائماً والزوجة تكون رئيسة تدبير المنزل والادارة

« ٩ « حية تسعى

وأخيراً قال أبعد عن (أجوط) وخذ ما شئت فانه مبارك ولقد تضافرت الخواص والعرام على بذل الوسع وزيادة التحري في اختبار الزوجة وعدم التساهل في هذا المقام المهم ومن الاقوال العامية الدارجة الموجودة في بعض كتب العلماء الادباء الذين لا يشك الانسان في صفاء قلوبهم وطهارة ضميرهم قولهم بما ينطبق على مبنى ومعنى

الفائدة السابق ذكرها ولا عجب فانها جاءت بالاعداد العشرة البسيطة هي

بحق واحد بلا ثانى منير الدمس
طلق ثلاث وخلى رابعة للخمس
الست يا سبع هى من يوم ثامن امس
تسعى لغيرك فعاشر غيرها يا شمس

فأخذت شاهداً من هذا لنفسى واستبدلت كلة شمس بكلمة هلال وفرحت لعدم تمام هذا النسب والابتعاد عنه خصوصاً عند ما بلغنى ان المخطوبة عليها الزار يعاودها فى كل شهر نوبة ثم جعلت أسلي نفسي بقراءة أقوال شاعر مصر فى هـذا العصر فى أن تربية البنات من أهم الواجبات

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى ... فى حب مصر كثيرة العشاق
انى لأحمل في هواها صبابة ... يامصر قدخرجت عن الاطواق
لهفى عليك متى أراك طليقة ... يحمي كريم حماك شعب راق
فالناس هذا حظه مال وذا ... علم وذاك مكارم الاخلاق
والمال ان لم يدخره محصناً ... فالعلم كان نهاية الاملاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يتوج حبه بخلاق
من لي بتربية النساء فانها ... فى الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الاعراق
الأم روض ان تعهده الحيا ... والري أورق أيما إبراق
الأم استاذ الاساتذة الاولى ... شغلت مآثرهم مدى الافاق
ربوا البنات على الفضيلة انها ... فى الموقفين لهن خير وثاق

وعليكم أن تستبينوا بناتكم نور الهدى وعلى الحياة الباقي

ان فى ذلك لعبرة لقوم ينادون ويصيحون فى كل مساء وصباح حى على الفلاح وان المرأة أساس الافراح بتربيتها وينبوع الشرور والاتراح بجهلها والقاء حبلها على غاربها

(من ذا الذى يصاحبه الانسان ليسعد ؟)

قال حكيم :

من ينصر الخوان فهو شريكه
ومن يألف الكذاب ساءت مقاصده

ومن يصحب النصاح يعليه قدرهم
ويمسي وفوق النيرين مراصده

قرأت هذا القول ودبت فى جسمي روح النشاط وأغطبت بذلك أجمل اغتباط واكثرت من التردد على ذوي المكانة العالية مثل المرحومين الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ حسن الطويل فيلسوف الشرق والشيخ عبد الكريم سلمان وو .. الخ وكانت اول مقابلة هى بالاستاذ محمد عبده فبعد ان سلمت عليه ورحب بي وزاد فى اكرامى كعادته مع كل شيخص سألنى عن بعض مسائل رياضية وهندسية وفلكية ومن ضمنها سؤال عن خواص عدد ٧ الذي حير الالباب وأدهش العقول سواء فى ذلك عقول الطبعيين والفلكيين والمهندسين والرياضيين والاطباء والنباتيين والعلماء السنيين وغيرهم من مختلف الطبقات حيث خفي على الكثيرين أسراره وغمضت

عليهم آثاره فالاطباء من حيث المولود يولد فى سبعة أشهر فى بعض الاحيان والفلكيين من حيث خلق السموات السبع وخلق الارضين السبع والكواكب السيارة السبع وو .. الخ والطبعيون من حيث ألوان قوس قزح السبع (ألوان الطيف)

وعلماء الشرع من حيث السنين السبع التى سجن فيها سيدنا يوسف عليه السلام ومن حيث ماتضمنته رؤيا ملك مصر من السبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف والسبع سنابل خضر وأخر يابسات وو . الخ والمؤرخون من حيث عجائب الدنيا السبع وهى : اهرام الجيزة بمصر . منارة الاسكندرية . الحدائق المعلقة وأسوار بابل . المدفن المعروف بالموسوليوم . صنم رودس . هيكل فسس . تمثال جوبيتر . والنباتيون من حيث السبع زهرات ذات الالوان والروائح العطرية المختلفة المتممة والمكملة بعضها لبعض و و ... الخ وناهيك بالرياضيين أمثالى الذين أخذ العجب منهم فى عدد ٧ مأخذه وهم الذين كانوا محور سؤال الاستاذ الامام حيث قال بعد ان ذكر خواص هذا العدد عند الفرق المتقدمة : وما خواصه وأسراره عندكم معاشر الرياضيين ؟ فأجبته قائلا : ان عدد ٧ خاصيته ومزيته على الاعداد دون غيره جعلته فى نظر العلماء الرياضيين الاقدمين والمفكرين العصريين مما يدهش أفكارهم ويبهر ألبابهم

فخاصيته ومزيته على غيره من الاعداد انه أول الاعداد الكاملة لانها جمعت العدد كله اذ هو أزواج وأفراد فالازواج منها اول وثان فالاثنان اول الازواج والاربعة عدد ثان والثلاثة اول الافراد والخمسة

فرد ثان فاذا جمعت الزوج الاول مع الفرد الثاني يكون عدد ٧ واذا جمعت الفرد الاول مع الزوج الثانى كان الحاصل ايضاً عدد ٧

وهذه الخواص والمزايا لا توجد في أي عدد غير عدد ٧ وسبحان العالم القدير المنزه عن كل وهم وتقدير

ثم سألنى فى هذا الموضوع عن المسألة الرياضية الاتية وهى :

ما تقول السادة العلماء أهل الآداب العقلاء ومعرفة الحساب النبهاء النبلاء وأهل الفكر الاذكياء فى مدينة لها سبعة أبواب وأى واحد دخل من باب فيها أخذ نصف ما معه وان بالمدينة رجلا ضعيفاً اشتهى تفاحة واحدة صحيحة لا غير فكيف تصل اليه هذه التفاحة على هذا الحكم ؟؟ فأجبته أن يأخذ الداخل معه ١٢٨ تفاحة فيعطي في الباب الاول نصفها اي ٦٤ وفى الباب الثانى ٣٢ وفى الباب الثالث ١٦ وفى الباب الرابع ٨ وفى الخامس ٤ وفى السادس ٢ وفى السابع ١ ويدخل على المريض بالواحدة الباقية معه

فأجابنى رحمه الله لله درك يا هلالى في توضيح وحل مثل هذا الاشكال ثم قال ان الدكتور باستور بفرانسا استكشف قتل الميكروبات فى الانسان والحيوان والنبات والمسيو ماركوني استكشف التلغراف الهوائى الذي أوصل على سطح الكرة الارضية القريب بالنائى والمسيو أديسون بأمريكا استكشف الفونوغراف والسينماتوغراف وعمل الكهرباء فى أشعة رنتجن و و . . الخ حتى الترام ومن الاسف اننا نحن الشرقيون فى معرفة سر عدد ٧ فى أوهام وأضغاث أحلام

فانظر يا هلالى الى رجال اوروبا تجد منهم « المصلح » والفيلسوف

والمكتشف وصاحب مذهب جديد فى الحياة الانسانية والاجتماع الادبى والشرقيون لم يكن باقي رأس مال علومهم وفنونهم وصنائعهم واكتشافاتهم سوى كثرة الكلام وبلاغة التحرير والتعبير فى الرسائل والقصائد التي لم تعد بفوائد لأى اختراع يحسم النزاع بين ما ضاع وماتقتضيه فلسفة اليراع التى ملت منها الأسماع فى جميع البقاع

(المقابلة الثانية)

ثم قابلت بعد ذلك الاستاذ الشيخ حسن الطويل وبعد ان حييته بواجب التحية وحيانى بأحسن منها وعرف إنى قابلت أولا الاستاذ الشيخ محمد عبده ووقف على ما دار بينى وبينه من أحاديث العلم ومسامرات المفاكهة عن عدد ٧ ثم احتطه علماً بما ختمت به حديثي مع الاستاذ الاول وما أثنيت به عليه بما لم يخرج عن موضوعنا حيث قدمت اليه سبعة أبيات مدحاً فيه واثباتاً لما يوجبه فضله ويقتضيه وهى هذه :

شيخ إلى سبل الرشاد مسلك ... وطريقه فى العلم مالا يجهل
شيخ بحسن شروحه وبيانه ... ما بات بالمفتاح باب يقفل
شيخ تبحر فى العلوم فمن رآى ... بحراً يسوغ لواردية المنهل
شيخ عليه من المهابة رونق ... كالبدر لكن وجهه متهلل
شيخ له فى الحاسبين مسائل ... فى العلم عمن ليس يسأل يسأل
شيخ تقدم فى العلوم لأنه ... إن عد أرباب الفضائل أول
ما قيل هذا كامل فى ذاته ... إلا وقلت الشيخ عندا أكمل

وعند ما وصلت مع الاستاذ الشيخ الطويل إلى ذلك قال لى

حيث ان الكلام مع الاستاذ كان دائراً على عدد ٧ فلتكن أنت دائراً معي على الثلاثة فظننت لأول وهلة انه رحمه الله يريد المزاح معي فضحكت كثيراً حتى ضحك هو أيضاً ولكنه وضح لي مراده وقال اسمع منحك الله السعادة ورزقك الحسنى وزيادة :

أفد طبعك المهموم بالجد راحة تفده وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

ثم قال أما الثلاثة التي أقصدها وأستحسنها وان كنت أحاشي بعضها فهي :

ثلاثة تستحب وهي : الشجاعة والرقة والوراعة
« يعجب بها « : الفهم والشرف والكرم
« تكره « : القساوة والجهل والبخل
« يسر بها « : الجمال والمحبة والحرية
« تجتنب « : الكسل والنميمة والغيبة
« تتبع « : الكتب المفيدة والأصدقاء والسجايا الطيبة
« تريح الضمير « : المرأة المطيعة والدار الوسيعة والدابة السريعة
« يقتنع بها « : الشرف والوطن والخل الوفي
« يحكم بها « : الطبع واللسان والمعيشة
« تعمر الكون « : الحرية والمساواة والاخاء
« تشجي النفس « : الموسيقى والتصوير والمرأة
« ليس لها أمان « : البحر والسلطان والزمان

ثلاثة هن من شرك الحمام وداعية الصحيح الى السقام
دوام مـــدامة ودوام وطء وادخال الطعام على الطعام

ثلاثة تنفى عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما انتهى الاستاذ إلى هنا استدركت عليه ما أهمله واعترضت بما تركه في كلامه وأغفله حيث قلت مازحاً : وأنا أذكر أيضاً ما له عظيم خطر وشديد أثر فى هذا الباب عندذوى الألباب فقال هات مثل هذه الثلاثات التى تذهب الحسرات وعساها تجلب لنا المسرات وتطيل معنا المسامرات وتطيب لنا المحاورات فى هذه الاوقات فقلت :

ثلاثة تنفى عن القلب الكدر الجنيه والبنتو والحاج مجر

وبينما نحن فى هذا الحديث نتسامر وبهذه اللطائف نتحاور إذ دخل علينا شيخ بسيط عبيط قطع علينا الكلام فظن الاستاذ انه جاءه لأمر هام وإذا هو يعرض على الاستاذ سؤالاً محصله لم زادوا الواو في عمرو ؟ وزاد على ذلك ان هذه المسألة عرضت عليه فى مجلس فأعطى فيها فكره وبعد ان زيفوا رأيه راهنهم على أنه هو عين الصواب وانه أتى إلى الاستاذ الطويل ليكون هو فى المسألة فصل الخطاب . فرد عليه الاستاذ بقوله سامحك الله انك عندي فى هذه الساعة كأشد الناس حمقاً وأسوأهم خلقاً وما مثلك إلا كمثل من أتى إلى فقيه يسأله عن ثمن الخمز أو أتى إلى حمار يسأله عن أصول الدين . وبعد أن انصرف الرجل وضحكنا من حاله وسوء سؤاله استأنفنا الكلام ورجعنا الى المقام فتكلمت عن المواليد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن ثم عن الكواكب الثلاثة الظاهرة أعنى الارض والشمس والقمر كما سبقت الاشارة إلى ذلك

وكأن الاستاذ يقصد بهذه المحادثة اللطيفة التدرج منها إلى الكلام عن أحوال الشمس وكسوفها وأسباب ذلك والوقوف على

حقيقته لانه كان يعرف ان كسوفاً للشمس سيحصل في اليوم التالى لليوم الذى كانت فيه هذه المسامرة ولكنه من ظرفه رحمه الله لم يرد أن يفاجئنى من أول الامر بالاستفهام عن ذلك خصوصاً وأن فيها كسوفاً تحاشي أن يكون أول حديثنا ومفتتح كلامنا فانتقل إلى سؤالى عن ذلك فقلت :

(كسوف الشمس)

من المحاسن ان الكلام على هذا الموضوع لا يخرج عن الموضوع الذي كنا بصدده وهو موضوع الثلاثة وذلك ان كسوف الشمس على ثلاثة أنواع كلي وجزئي وحلقى وسبب هذه الانواع ان القمر قد يقترب من الارض حتى يظهر قرصه أكبر من قرص الشمس للواقف على سطح الارض وقد يبتعد عنها حتى يظهر قرصه أصغر من قرصها وقد يكون بين بحيث يظهر قرصه مساوياً لقرصها

فاذا اتفق انه مر أمامها وقرصه أكبر من قرصها كسفها كسوفاً كلياً بالنسبة إلى الواقف في مركز ظله وجزئياً بالنسبة إلى الذين على جوانبه وإذا مر أمامها وقرصه مساو لقرصها كسفها كسوفاً كلياً عمن تحت ظله حال مروره أمامها أو كسفها كسوفاً جزئياً عمن حاد عن رأس ظله واذا مر أمامها وقرصه أصغر من قرصها لم يصل ظله الى الارض والواقف تجاه رأس ظله يرى الشمس المكسوفة حلقة مضيئة ويكون الكسوف عنده حلقياً وأما الواقف منحرفاً عن رأس ظل القمر فيرى جزأ من الشمس مضيئاً والباقي مكسوفاً

هذا ما قلته للشيخ حسن الطويل من التعبيرات الفلكية والمعلومات الرياضية الثابتة بالبرهان ولا تحتاج الى تبيان لمن كانت له عينان

(فبنات شعري لا يكون مهورها إلا كنوز مودة الاخيار)

قالت الحكماء الاخيار الادباء : بالدين عمار البلاد وصلاح وإصلاح ونجاح وفلاح العباد وبالذمة الطاهرة وصداقة القلب وحرية الضمير تسمو الآداب وتهذب الاخلاق وبالعكس يموت الشعور وتتلاشى الانسانية

وان السعادة والرقي هما في المقدرة على قمع الشهوات النفسانية الأمارة بالسوء التي تفقد الاحساس الشريف ولم يعد الانسان يميز بين الحسن والقبيح عقلاً ولا بين الحلال والحرام شرعاً

والعاقل هو من يأخذ من كل شيء أحسنه بقمع نفسه وتقوية إرادته وتطهير ضميره وحرية قوله وعمله مع الصغير والكبير والغني والفقير

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وما أعظم من يعامل الناس كما يحب هو أن يعاملوه به وان يعرف من هو ممن معه في معاملة أدبية أو حكومية رسمية وفي أي رتبة هو من مراتب النظام العام وأي وظيفة يؤديها في الهيئة الاجتماعية

ناشدتك الله أيها القاريْ الكريم بأن كل ما فات هو مقدمة أزفها اليك كعروس مهرها هو أن تلقي لي سمعك وتعيرني التفاتك فيما قالته الحكماء الامراء أيضاً

من الظلم أن تتوق نفس الانسان إلى ما لا يحل شرعاً حتى يقف موقف الاتهام الذى هو موقف الطغاة الطغام أهل الاجرام الذين لم يعرفوا قولا من ناصح أو ارشاداً من معلم أو ربما كانوا عارفين وغرهم الطمع والجشع وعاملوا اخوانهم الآدميين بالقسوة الوحشية فلعنة الله عليهم وعلى من هو على شاكلتهم

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى

من الامر أو يبدو لهم ما بدا ليا

عاشرت هؤلاء العلماء واكتسبت منهم على قدر الامكان ومساعدة الزمان ما جعلنى أسابق الاخوان فى كل ميدان وأغوص معهم بحار العلوم لالتقاط دررها وجواهرها فمن عالم عامل ومن نبيه نابل ومن تقى فاضل حتى وجدت نفسى فى أعلا عليين كالملائكة المقربين. ومما أذكره أيضاً في تاريخ حياتى معاشرتي لرجال مصر العظام أهل الثروة والجاه سلالة الامجاد فى النواحي والبلاد المتحليين بحلية الآداب الذين كان جل مرغوبهم سعادتى الأبدية التي غمرت بعض رجال الحكومة المصرية في هاتيك الأيام التى كان فيها مستخدمي الحكومة أصحاب الكلمة العليا فى أتفه الأمور وحل المشكلات من ادارية وهندسية جراً إلى منفعتهم الشخصية وأغراضهم الذاتية

وقد أرادت مشيئة الله عز وجل أن أكون من ضمن القائمين بأعمال فك زمام أراضي الدائرة السنية بمديرية الفيوم من مدة ٤٢ سنة وقد رأيت فيها ان أغلب عمد البلاد كانوا امثالا فى التقوي والصلاح والجود والكرم ما جعلنى أذكرهم بدوام مصر والهرم أصحاب

الشيم العالية أخص بالذكر منهم حواس أغا عمدة إطسا والحاج علي مؤمن عمدة طهار وموسى مزار عمدة نزلة شكيته و. . . الخ وكانت الايام التي قضيتها معهم لايحلم بها النائم وما يتمناه لافطاره الصائم من لذيذ المعاشرة حيث كانت معاملتي معهم ليست كمعاملة موظف في الحكومة ولكن معاملة الانسان لاخيه الانسان بالشفقة والحنان وهذا ما جعلني ان وجدت المدير والمأمور وجميع موظفي المديرية رجعوا عن الدخول فيما لا يعنيهم وقد قلّت سطوة الرشوة واستقامت أخلاقهم حيث رؤوني انى مهندس ضابط أركان حرب وأقسمت على المصحف والسيف أن أسير مع أهل وطني بالحسنى وأمنع من استطعت كل من يخالف ذلك لان المبدأ الشريف للانسان هو الكنز الثمين إذا أنفق في المنفعة العمومية لتربح تجارة صاحبه وأما إذا انفق في المنفعة الشخصية خسرت تجارة صاحبه وقد رأينا رجال الغرب الراقيين متمسكين بمبادئهم الشريفة فخلصوا أوطانهم من وهاد التأخر ودخلوا بها الى مغبة كان فيها سلامتها وكانوا بما انطوت عليه قلوبهم من خير للوطن منائر الحق لا يأتيهم الباطل من امامهم أو خلفهم فالوطني الحر هو من اكتسب حلالا طيباً ليس فيه غش على أحد أو ظلم على فرد أو جماعة فتعود عليه فائدة عظيمة من اجراء مكسب أطاع فيه الله ورسوله وأولى أمره وتكون خدمته لوطنه شريفة تحفظها له الايام والاعوام وها أنا أقول والله على ما أقول شهيد بالنسبة للذين سبق ذكر أسمائهم ورأيت افعالهم وجليل اعمالهم لو اني جعلت ماء النيل مداداً واحصيت كواكب السماء احصاء وتعداداً للقيام بواجب شكرهم لنفد ماء النيل وكان عدد الكواكب بالاحصاء قليل رحمهم الله رحمة

واسعة وجعل أبنائهم واحفادهم يحفظون مآثر ومفاخر ما ترك الأولون للآخرون ولى فى همة وغيرة ونخوة وكرم اخلاق حفيد المرحوم حواس اغا وكذلك أبناء واحفاد المرحومين الحاج علي مؤمن والشيخ موسي مزار ان يكونوا محافظين على هذا الصيت الشريف من قديم الأزل لعائلاتهم المرحومين

(وأما بنعمة ربك فحدث)

لا تعجب أيها القارئ الكريم إذا قلت لك انه عرض عليّ من طريق الرشوة مبالغ بقدر مائة وخمسون الف جنيهاً وثمانون الف وخمسون الف ... الخ حيث مطبوع فى مخيلتي من اساتذتى زيادة عن نصح الوالدين قولهم (من الظلم ان تتوق نفس الانسان إلى مالا يحل شرعاً) ولذلك دست بقدمى على كل رشوة كانت تقدم إليّ فى مدة وجودى فى الحكومة المصرية وهي ٤٤ سنة وناهيك بالقسم العظيم الذى اقسمته على نفسي بأنى اذا حنثت فيه اكون مستعداً لضرب العنق وسل اللسان ورمى جثتى فى رمال شطوط البحار والصحارى والقفار فيارب كن معينى على حفظ هذا القسم المعظم ما دمت حياً أسمع وأميز وأبصر وأحس بأقوال هاتيك الايام قبل الدخول فى الاسلام الذى عرفته من والدتي المرحومة وهو

إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تعيش جباناً

وحيث ان ما أوردته من الكلام يكفى للدلالة على ان ارتقاء الأمم مقرون بتربية المرأة تربية لائقة لا تخرج عن مقتضيات الدين والعادات وجب عليّ أن أذكر بعض ملاحظات وأبين طرفاً من

الواجبات على بعض الهيئات التي تطالبهم بها الانسانية أولاً والعواطف الدينية والوطنية ثانياً فأرعني سمعك وارهف لي أذنك :

(عماد الاصلاح وقوام النظام)

(العلماء والشعراء والحكام)

اريد أن اتدرّج من الكلام على حالات الزوجات الثلاثة والمخطوبة الرابعة من حيث التربية والتعليم إلى الكلام على هذه الاركان الثلاثة التي هي أسس الاعمال في الامم واعمدة النظام الاساسي التي عليها يشاد بناء الشعوب واعني بها العلماء والشعراء والحكام ذاكراً في هذا الباب وظيفة كلّ شخص وما يجب عليه نحو أمته من المساعي التي ترقي شأن المرأة المصرية وترفعها من وهدة الانحطاط إلى ذروة السعادة والمحبة التي وصلت اليها المرأة الشرقية في سالف الايام أيام أخذ بيدها المصلحون ونشلوها من ورطتها متبعين في ذلك أوامر دينهم الكريم وابدأ بذكر العلماء ثم الشعراء ثم الحكام تبصرة وذكرى (وان الذكرى تنفع المؤمنين) :

(العلماء)

لا يخفى أن العلماء ورثة الانبياء وخلفاء المرسلين في هديهم للخلق وارشادهم إلى الحق وان كل حكومة يلزمها أن تحافظ على العمل بما يلقنها اليه علماؤها من احكام الشرع التي سهر في استنباطها المجتهدون من الايات المقدسة والاحاديث النبوية ولذلك كان تعيين القضاة

للفصل بين الناس فى القضايا والخصومات ورفع المنازعات أمراً لا بد منه ولاغنى لكل حكومة عنه

فالحكومة أشبه بأجسام أرواحها العلماء وأعنى بهم العاملين ذوي الآداب الحسنة والنفوس المهذبة المخلصين فى بذل النصيحة وتعليم الفضيلة والحث على طاعة الله الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المطلقين في نشر الاحكام بين الخاص والعام المقيدين بالكتاب والسنة الذين أمضوا نفيس عمرهم لتحفظ الاحكام وتعرف الحوادث وكيفية تطبيقها عليها وتنفيذها حتى على الملوك ولا يخافون وهم بذلك ميزان العدل بين الحكومة والامة وبقدر الاختلال في الاحكام الشرعية يكون فى الحكومات عدم الاستقامة فى الافراد وما تلاشت دولة من الدول إلا وكان السبب الأقوى فى ذلك هو تساهل أهلها فى أمر دينهم وعدم تمسكهم بآدابه ومخالفتهم العمل باحكامه مهما كانت درجتها فى ارتفاع المكانة وعلو الصيت واتساع المملكة وكثرة العدد وقوة العدد

فالواجب على العلماء أن لا يفرطوا فى الدعوة إلى العمل بتعاليم الدين والتمسك بحبله المتين وأن لايقصروا فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر فيدعوا إلى المحافظة على الواجبات واجتناب المنهيات بعد أن يتسلحوا بأسلحة العلم الصحيح ويتدرعوا بدروع الكفاح فى ميدان الدعوة إلى الاصلاح من اخلاق فاضلة وآداب كاملة ونفوس من الشوائب خالية وهمم عالية وبصر باحوال الناس واخلاقهم ومعرفة بمكامن عيوبهم حتى يعرفوا منهم مواضع الداء فيكونوا على علم تام بنافع الدواء . نعم يجب على العلماء أن يقوموا بكل ذلك ولو ترتب

عليه نزولهم من عالي مناصبهم وانخفاضهم من رفيع مراتبهم وضياع رواتبهم وحرمانهم من سكنى الدور وفسيحات القصور بل يطالبوا الحكومة بكل حرية في كبح جماح الفساق عن فسقهم وردع الغواة عن غوايتهم وردهم عن المعاصي والآثام

ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم من القضاة وغيرهم على جانب عظيم من الامانة والصدق فى اقامة شعائر الدين والتمسك بحبل الله المتين فكان الواحد منهم أحسن الله اليهم يقيم الحجة القاطعة على الملوك والأمراء ويصدع بأمر الله فيهم مستسهلا ذلك أمام كل اساءة منهم وفى تاريخ الأئمة الاربعة رضي الله عنهم ماقام دليلاً واضحاً وبرهاناً قوياً عن ذلك مفصحاً يعرفه من قرأ تاريخهم وسبر أخبارهم ومنهم من ضرب بالسياط وحبس حتى مات ومنهم من سحب على وجهه من جهة إلى أخرى ومنهم ومنهم . . . . الخ وكل ذلك لم يكن ليفت فى عضدهم أو يثبط من هممهم فى الدعوة إلى التمسك بفضائل دينهم والحث على العمل بأوامر شرعهم حتى سعدوا وسعدت الامـــة بهم

فكيف بنا الان وقد وصلنا إلى حالة لا يرضى بها إنسان من فساد في الاخلاق وكذب ونفاق وضعة وضعف وجبن وخوف وفقر واحتياج وانحراف واعوجاج وخيانة وتحاقد وتباغض وتحاسد وتخاذل وافتراق وتنافر وشقاق إلى مثل هذا من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة التي ما فشت فى أمة إلا وساء حالها وخاب أملها وسقطت فى مهاوي العدم ولم تعد شيئاً مذكوراً بين الامم . وما نشأ كل ذلك إلا من بعض كبراء ميالين للاهواء مائلين عن الطريق

السواء ساورتهم الاغراض الذاتية وغلبت عليهم شهواتهم البهيمية ومن بعض علماء محبين للمظهر والجاه ولو من طريق المداجاه مفتونين بالدرهم والدينار ولو ارتكبت في الحصول عليهما آثام وأوزار لا يعملون بعلم جعل لهم نبراساً ولا يتمسكون بدين أقامهم الله عليه حراساً غايتهم حب الرئاسة مع اهمال ما يلزمها من الحزم والكياسة والتوسع في المطعم والمشرب والملبس والمسكن مع العلم بان التوسط فى كل شئ أولى وأحسن فأدى ذلك كله إلى تساهلهم وقعودهم عن طلب منع كل ما يخالف الشرع الشريف خوفاً منهم على انتقاض حظهم وعدم نيلهم ما يطلبون الوصول اليه وما تسوّل لهم به انفسهم الحصول عليه وانه لأمر فظيع وحال مريع يسجل علينا التأخر ويفضى بنا إلى شنيع التقهقر

وليس لمن رام بلوغ اوج السعادة والوصول إلى ذروة المجد والسيادة إلا أن يعمل على كبح جماح النفوس العاتية وايقافها عند حدها حتى تتهذب الاخلاق وتصـــل فى الحسن والسموّ إلى اسمى غاياتهـــا

ولا يغضبن سادتنا العلماء منى اذا رأو شدة فى اللوم أو حرارة فى العتاب فانى ما قصدت الا خيرهم وخيراتهم وأي خير اكثر من ان يقوم كل بواجبه ويؤدي ما عليه لامته ووطنه وشريعته واصبح الجميع متمسكاً بحسن عاقبة عمله ونتيجته مغتبطاً باقتطاف شهي ثمرته غير أنه لامحل للغضب والحق اذ المقام مقام تنبيه على اداً واجب وفرض قد قصر فى فعله الكل والبعض خصوصاً وان اللوم والمؤاخذة يأخذان من الشدة والتعنيف بقدر ما يكون للملوم من مقام شريف

وان لحضرات العلماء من المزية والفضل الاكبر ماهو أشهر من ان يذكر فهما اشتد فى معاتبهم معاتب فهو قليل بالنسبة لما لهم من المناقب ومهما قسى فى تسديد سهام المؤاخذة اليهم مناضل فانه يصغر ويهون فى جانب ماخصوا به من غزير الفضائل

ومن كان ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

فاللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً ووفق علماء الامة إلى السعى فيما يرفع شأننا ويذهب عنا الردى واكثر فيهم من امثال الافاضل الاعلام الذين خدموا الدين خدمة محمودة وناضلوا عنه مناضلتهم المعهودة وكم لهم فى تأييد احكامه مواقف مشهودة وناهيك بما فعله الاستاذ الشيخ مهدي العباسي مفتي الديار المصرية فى حادثته المشهورة مع خديو مصر (اسماعيل) وما اتاه البطل الهمام الشيخ حسونه النواوي فى مجلس الشوري : ولا عجب فكهذا يجب ان يكون موقف علماء الدين حتى يقتدى بهم المقتدون وينسج على منوالهم المهتدون ولمثل هـذا فليتنافس المتنافسون وليعمل العلماء الافاضل العاملون

(آية الحزن وشكوى الوطن لأولى الفطن)

كنت أود ان اطوى كشحاً في رسالتي هذه عن الكماليات المتناهية فى الدقة والابداع التي يأتيها اكابر رجال العلم والادب في أوروبا الذين شرفوا بسعيهم وجليل آثارهم امهم وذلك مراعاة منى للحالة التي نحن عليها وتجنباً مما يؤلم النفوس والعواطف غير اني أرى مالا بد منه وهو الاتيان على وصفه ولو بمنتهى الايجاز وان مما يرينا قصورنا هو افيد لنا اذ لا بد أن يستحثنا يوماً ما على اصلاح انفسنا

بما يكف عنا عار هذا التوغل فى الانحطاط المزرى بامة لها من الصيت والكرامة بين الامم بكثرة العلم وغزارة المادة والتاريخ المجيد وقد اعجبنى صرخة من صرخات العظماء ينادى بها اسيادنا العلماء ألا وهو الشاب الرجل الكريم الاستاذ محمود رمزي نظيم بقوله

دأونا استعصى على أهل الدواء اننا مرضى نفوس وقلوب
فاذا شئنا اهتدينا للدواء ولنا منا دواء وطبيب

***

أمة النيل إلى اين المصير كان أجدادك للدنيا منار
أم الارض مع الطير تطير عزمها ضاقت به الارض فطار
كيف يبقى شأننا فيهم حقير ولنا ملك فسيح وبحار
إننا بالامس قد كنا نسير فتقهقرنا وعدنا للصغار
وقعدنا بين نوح وبكاء لست ادرى أرجال أم نساء
وعداة كلنا ام اصدقاء اننا ياقوم فى وقت عصيب
نافسوا فى العلم ابناء الوجود نافسوهم فى فنون الاقتصاد
ابذلوا للسبق والفوز الجهود تبعثوا شعباً جديداً للبلاد
لا تظنوا اننا يوماً نسود أو ننول المجد من غير جهاد

(الشعراء)

هم الركن الثانى الذي عليه مدار تحقيق الاماني بما يبثونه فى الامة من درر اقوالهم وما ينشرون بين الناس من منظوم كلامهم ويناجون به العقول والافكار من رقيق شعرهم فيجعلون الفقير غنياً والشيخ فتياً والجبان شجاعاً والبخيل سخياً والمعوج مقوماً

والضعيف قوياً والبائس راجياً والوضيع شريفاً والبليد نشيطاً والغبي زكياً والخامل ذا ذكرى تعطر الأندية

نعم ان الشعر لسان حال الزمان وخلاصة وصف أعمال الانسان تهذب به الاخلاق وتستنير القرائح وتشفى السخائم وتطيب المحاسن وتقضى الحوائج لان الشعراء صيارفة اخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال شهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل فهم ادباء وامراء الكلام يقصرون طويله ويطولون قصيره ويخففون ثقيلة . . . . . .

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بنات الندى من اين تؤتي المكارم

فالشعر قديم مصاحب لتاريخ اللغات وقد ذكر بعض مؤرخي العرب اشعاراً نسبوها إلى عاد وثمود وقحطان وذلك منذ ٥٣ قرنا وهو لا يختص بلسان واحد بل هو موجود فى كل لغة عربية كانت أو اعجمية ولقد كان هذا الفن شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطاءهم واصلاً يرجعون اليه في كثير من فنونهم وحكمهم وانسابهم وتاريخهم وكانوا يتنافسون فى انتحاله فيقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على كبار الشأن واهل البصر حتى انتهوا فى المنافسة إلى تعليق اشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم ونقطة ائتلافهم كما فعل اصحاب المعلقات وهم امرؤ القيس والنابغة وزهير وعنترة وطرفة وعلقمة والاعشى وغيرهم وناهيك بان الخلفاء كانوا يجيزون الشعراء ويقربونهم إلى مجالسهم ويحرصون على اقتناء اشعارهم ويطلعون منها

على الآثار والاخبار واللغة والانساب والحكم كما يدل على ذلك مسامرة الرشيد للاصمعي وابي نواس وغيرهما مع ما كانوا عليه من المعرفة بهذا الفن والرسوخ فيه

وكفى المصري العربي تذكار قيمة الشعر عند العرب القدماء بالآتي:

انه لما مدح ابن هانيء جوهر القائد عند سيره لفتح مصر بقصيدته التي مطلعها :

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع وقد راعني يوم من الحشر اروع

فجمع جوهر اركان الحرب وقواد الجيش وامر بتلاوتها عليهم فكانت أول باعث في الجند روح الشجاعة والامل ولما تم فتح مصر على يديه أمر باحضاره لديه فلما حضر اكرمه غاية الاكرام وقال له اشفقت عليك لقولك .

وان بنا شوقاً اليه ولوعة تكاد بها اكبادنا تتصدع

وو . . . . . الخ من مثل هذه الاقوال التي جعلت الشعر واهله في أعلى عليين مع الملائكة المقربين ولقد نبغ من بين ابناء اللغة العربية في هذا العصر كثيرون من مجيدي الشعراء ومبتكري المعاني ومعيدي شباب اللغة اليها ومن يفتخر العصر بهم ويتباهى المشرق بشعرهم

هؤلاء الشعراء المعدودون من الحكماء قد يعذرون اذا لم يظهروا في الامة بالمظهر الواجب على امثالهم لقلة موارد ارزاقهم وشدة احتياجهم إلى النفقات الكثيرة لطبع اقوالهم ونشرها بين امتهم

خصوصاً وان اغنياء الامة واكابر حكامها لا يعبأون بالنظم ولا

يأبهون بالشعراء فالشعر فى اعتبار اكثرهم لغو باطل ومحنة يصاب بها في نظرهم كل عاطل ولهذا أرجو من القارىء قبول عذرى فى ما اتيته برسالتى من الاقوال الزجلية والعامية لانى احرص واغار على الشعر الجد الجزل ان لا يعرف قيمته كثيرون ولا يقدرون قدره وغير خاف انه يجب على الانسان ان يسير في اقواله وكتاباته بما حكم به الزمان ولاحول ولا . . . . نعم هكذا حكمت الايام علينا وعلى لغتنا التى هي سحر البيان ودرة عقد البلاغة على ممر الزمان ولكن نسج عليها أهل الجهل الأغنياء الأغبياء عناكب النسيان

فما أجدر العالم والغنى أن يجودا بما عندهما فى سبيل نفع قومهما ولغتهما ذلك بالغرر وهذا بالبدر لان العالم والغنى هما الصنوان والاخوان التوأمان والجوهران الكريمان والفرقدان اللذان لا يفترقان لبث روح الجد والعرفان فى سبيل التقدم والعمران

وان بخل الاغنياء وتقاعد العلماء هما الداء العضال والمرض الوبيل الذي يجب استئصاله من جسم كل أمة

هذا هو الداء الذي ضاقت به حيل الطبيب وطال يأس العائد

على اني لا انكر اننا الآن فى زمن بزغت فيه شموس المعارف وسطعت انوار العرفان وعرف كل من الطبقات واجبه وتبارى الكل فى ادائه وتسابق فى فعله فلا نرى من اكثر الشعراء إلا من ضرب فى مهنته بسهم وافر وتكلم فى كل فرصة بما يناسبها من اقوال بليغة تدعوا إلى الشهامة والاقدام وحكم بديعة تهز الجبان وتحرك الصخر وعرف الناس قيمة الشعر فاعزوه واعتزوا بأهله وكذلك قام العلماء بواجبهم خير قيام واخذوا من كل فن طرفاً يؤهلهم لمزاولة وظائفهم

واداء واجبهم نحو أمتهم وبالجملة عرف كل فريق ما هو مطلوب منه فتسابقوا فى المضمار وتباروا أعظم مباراة فى اداء الواجب وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

وبهذا نستبشر خيراً ونستأنف حياتنا الاولى ونستعيد مجد شعرائنا ويمكننا الحكم بان الشعر ستعود سيرته الاولى أيام كان الناس يعرفون مقامه ويعزون أصحابه

(لا يعرف الفضل إلا ذووه ولا ينكره إلا جاهلوه)

ومما أذكره في هذا الباب دلالة على فضل العرب فى أيام دولتهم وعرفانهم مراتب العقول واقدار الشعراء كما يعرفها لهم أهل هذا الزمان أن ابن الزقاق كان فقيراً جداً وكان ابوه حداداً لا يكتسب قوت يومه ولكن الولد كان مولعاً بنظم الشعر حتى كان يسهر من أجله الليل فكان ابوه ينهره ويردعه عن النظم ويقول له نحن قوم لا نملك ما نشترى به الخبز فكيف تضيف علينا ثمن الزيت للمصباح ؟ فلم يكن الولد يعبأ بهذا القول على شعوره بهذا الفقر بل ظل ينظم القريض ويصقل قريحته حتى جاء إلى بلدة ابو بكر بن عبد العزيز فمدحه الولد بقصيدة يقول فيها :

ناشدتك الله نسيم الصبا ان استقلت بعدنا زينب
لم نشر إلا بشـــذا عرفها أولا فماذا النفس الطيب

فاعجب بها الحاكم اعجاباً شـــديداً واجازه عليها بثلثمائة دينار فاخذها الفتى وجاء بها إلى ابيه وهو يشتغل بالحدادة ورماها بين يديه وقال خذ هذه فاشتر بها زيتاً فانها جائت من الشعر الذي انفقنا عليه الزيت

وبالجملة فان للشعر وأدبه قوة لا توجد فى غيره وقد يكون سبب نجاة صاحبه أو منشده وان لم يكن قائله فكم كان سبباً فى إيماد شر وضير وموجباً لجلب بر وخير وكم ورطة كان الشعر مخرجاً منها ومبعداً من مأزقها وذلك ان (حافظ ابراهيم) الشاعر الشهير العظيم كان قد كتب فى سابق ايامه وقت ان كان موظفاً تحت سلطة الغير وأحكامه لفظة أجزخانة خالية ألفها من الهمزة فشكاه غرّ جاهل إلى رئيسه الانجليزى الذى لم يكن يعرف من العربية إلا اسمها واتهمه عنده بأنه كتب أجزخانة بدون همزة وهذا التقصير في نظره يوجب نقص قدره فما كان من الرئيس إلا أن عاب عليه هذا الخطأ الفاحش وعده جريمة كبرى وذنباً لا يغتفر — وفى أثناء هذا اللوم حضرت ووقفت على جلية الامر فأردت أن أسهله على الرئيس وأخلي صاحبي حافظ من المؤاخذة ونسبته إلى الغلط فأخذت أوضح لذلك الرئيس الامر بأن الهمزة هنا يصح اثباتها كما لا يمتنع اغفالها فأراد الرئيس منى أن يعرف الهمزة ويقف على حقيقتها فى اللغة العربية بألفاظ عامية أذكرها له فما وجدت أحسن من ذكر القصيدة الهمزية الآتية السهلة الواضحة المعاني وكلما ذكرت منها بيتاً بالعربية شفعته بتفسيره له باللغة الانجليزية حتى اقتنع الرئيس بما قلته وبذلك عرفت فضل الشعر وحسن تأثيره حتى فيمن لا يعرفه واليك هذه القصيدة البديعة التى أؤمل أن يخرج منها القاري بعبر عديدة :

الارض أرض والسماء سماء والارض سفلى والسما علياء
والريح غاز والمياه سوائل والماء ماء والهواء هواء

والبحر بحر والجبال رواسخ والضحك ضحك والبكاء بكاء
والنور من شمس السماء مولد والليل ليل والظلام عمـــاء
والحر ضد البرد قول صادق والصدق صدق والرياء رياء
والصخر صلد والنبات خلافه والصيف صيف والشتاء شتاء
والعين عين ثم ماء دمعها والدوح دال ثم واو حاء
والمر مر والحلاوة حلوة والمدح مدح والهجاء هجاء
والبيض ابيض والطيور تبيضه والنار قيـــل بأنها حمراء
والمشي صعب والركوب نزاهة والموت موت والفناء فناء
والأكل يحيي جسمنا ويقيته والنوم فيه راحة وهناء
والجيم غير الميم جاء مصححاً والفعل دون الحرف والاسماء
وإذا فعلت الفعل تمشي فاعلا وإذا كتبت الحاء فهي الحاء
والباء عين التاء ان صحفتها والجيم في هذا حكمتها الخاء
والضاد عين الصاد إن أهملتها والزين إن أهملت فهي الراء
ان المدام لدى التعاطي مسكر والسكر سكر والجنون سواء
براحت عقول المدمنين بشربه وبشربه قد جنت العقلاء
والحرب مهلكة النفوس وانما طمع الملوك مهالك وفناء
ان المكاسب قصدهم لكنما بالجبن تأكل خبزها الجبناء
فيها المهند كالمهند لامع فيها صهيل الخيل والغوغاء
إن الرجال على العموم مذكر لفظاً ومعنى قد تجوز التاء
ان رمت تعرف طبعهم فؤنث أما النساء فكلهن نساء
مالي أرى الثقلاء تكره دائماً وحديثهم لا تهضم الامعاء
فاليك صاح قصيدة منظومة وبمثلها لم تشعر الشعراء

جداً بهزل يحسبون كلامها قد أودعت ما قاله الحكما
لكنها فضت مشاكل جمة ان رمت فاسأل أشعر الشعرا
فازت بحسن السبك فى تاريخها غين وشين ثم زين يا ١٣١٧

ومما يلتحق بهذا الباب . ويقضي بالعجب العجاب . ويدهش العقول والألباب . ويدل على أن للأدب سطوة . قد يكون دونها كل قوة . وجولة قد تسقط دولة وتقيم على انقاضها دولة . ما يروي من أن جيشين كانا يتحاربان ويتقاتلان فأسر أحدهما أركان حرب الآخر بعد ما حاصره حصاراً شديداً ثم أشار قائد الجيش الظافر على أركان حرب الجيش المحصور بأن يكتب الى قائد جيشه ليعرفه بقوة عدوه وقدرته على افنائه وابادته فأولى له أن يسلم فما كان من هذا الضابط الكبير الا أن أظهر الموافقة وأخذ يكتب امام قائد الجيش الظافر حتى أتم كلاماً طويلا قال فى اثنائه بعد ان كتب بين قوسين استلفاتاً للنظر الجملة الآتية :

(نصحت فدع ريبك ودع مهلك) ظاهرها التسليم للعدو بدون امهال وأرسل هذا الخطاب الى قائده ولما وقف عليه لفت نظره هذه الجملة المحصورة بين قوسين فأخذ يتأملها ويقلبها على عدة وجوه الى أن رتب حروفها وهى مقلوبة معكوسة فكانت فى عكسها دالة على مغزى كبير كان هو السبب فى حيازة الانتصار بعد الانكسار والظفر بعد الاندحار اذ انها دلت بعكسها على ما يأتي : (كلهم عدو كبير عد فتحصن) ولقد أخذ هذا القائد بعد ذلك العدة وأقام الاستحكامات والمتاريس وبث الألغام وأقام الاستعدادات باحكام حتى ظفر بعدوه وخلص ضابط أركان حربه المأسور

ومن هذا القبيل ما يؤثر من ان ملكاً كبيراً كان ظالماً جباراً طالما نصحه النصحاء فلم يرعو عن غيه ولم يكف عن بغيه جاؤه ذات يوم طائفة من الأدباء والشعراء وبعد ان مثلوا بين يديه لم يفه أحدهم كما هي العادة بتهنئة بقدوم ولا مولود ولا مدحوه بقصائد المدح المعتاد ارجاؤها الى الملوك فلاحظ الملك عليهم ذلك وسألهم عن سبب هذا التقصير فما كان من أحدهم الا أن ارتجل قصيدة ظاهرها مدح وباطنها قدح جاء فيها قوله :

(باهي المراحم لابس كرماً قدير مسند)

ثم رحلوا بعد ان رضى الملك بها وظن انها مدح له واعجاب به وبعد ان ارتحلوا وتفرقوا عنه تأمل فى هذا البيت الذي كان وحده محصوراً بين قوسين فظهر له ان معناه بعد قلبه وعكسه هكذا .

دنس مريد قامر كسب المحارم لا يهاب

فعرف ان الشاعر عرض به وبظلمه فكان ذلك داعياً الى استقامته ورجوعه عن الغى الى الرشد وصلح حاله من بعد .

وبالجملة ففائدة الأدب لا تنكر . وقوة الشعراء فى التأثير أشهر من أن يذكر . وما من شاعر من المتقدمين الا وله تأثير فى نوع خاص لا يوجد في سواه ولا يمكن أن يقدم به الاه فرحمهم الله

اما امرؤ القيس فهو اول من وقف بالديار وعرصاتها واغتدى والطير في وكناتها ووصف الخيل بصفاتها ولم يقل الشعر كاسباً ولم يجد القول راغباً فهو افضل من تفتق للحيلة لسانه وانتجع للرغبة بنانه

والنابغة الذبياني يثلب إذا خنق ويمدح إذا رغب ويعتذر إذا رهب فلا يرمى الا صائباً

زهير بن أبي سلمى يذيب الشعر والشعر يذيبه ويدعو القول والسحر يجيبه

طرفة بن العبد هو ماء الاشعار وطينتها وكنز القوافى ومدينتها مات ولم تظهر اسرار دفائنه ولم يفتح ابواب خزائنه

جرير والفرزدق ايهما اسبق ؟ فجرير ارق شعرا واغزر نثرا . والفرزدق امتن صخراً واكثر فخراً. وجريراً اوجع هجواً وابعد شأواً. والفرزدق اكبر روحاً واكرم قوماً. وجرير اذا نسب اشجى وإذا ثبت اردى وإذا مدح اثنى . والفرزدق اذا افتخر اجزى واذا احتقر ازرى واذا وصف أوفى .

المحدثون من الشعراء والمتقدمون منهم : المتقدمون اشرف لفظاً واكثر من المعاني حظاً . والمتأخرون الطف صنعاً وارق نسجا .

ومما يذكرنا باراً كتابنا فى وصف الشعر : قصة ذلك الحاكم الأمى الذي جيء له برجلين ليمتحنهما فى الخط فامرهما بكتابة كلمة ثور وكان احدهما اميا مثله فرسم الثور رسماً ساذجاً وكتب الثانى الكلمة باجود خط واحسنه فاستجهل الحاكم صاحبنا هذا وقضى للاول عليه لانه رأى قرني الثور وذنبه فى ورقة الامى ولم ير اثراً لذلك فى ورقة الكاتب القدير الخبير

وكذلك يظن كتابنا عفا الله عنهم ان الوصف الشعري من شأنه ان يمثل المناظر للعين فيغنيها عن النظر ويجهلون انه وصف يرمز الى

العواطف والاحساسات التي فى النفس كرمز الحروف الى الصور المعنوية فاذ اوصف الشاعر الوردة فليس المقصود من وصفها ان تعلم أي شيء تشبهه والشاعر المطبوع لا يعنيه ان يشبه حبيبه كما يشبه الشرطة المجرمين فى اوراق تحقيق الشخصية وانما يعنيه ان يشبه كلفه به وهيامه بمحاسنه وما يأتي فى خلال ذلك من تمثيل تلك المحاسن فانما يأتي عرضاً لاظهار مبلغ ذلك الهيام أو للدلالة على استحقاق المحبوب له ان كان لتلك الدلالة قيمة

ولما كنت مهندساً رساماً فقد تمثلت بقول الشاعر .

انما ريشة المصور تحاكي ... قلم الشاعر المجيد تماماً
هذه لاتنى تصوراً محسو ... ساً وهذا يصور الاوهاما
ولأن تقرأ الرسوم نقوشا ... مثل ما تقرأ القصيد تماما

(الحكام)

اذا صلحت أحوال حكام أمة ... فياسعدها وسعودها وهناها
وان فسد الحكام فالويل كله ... يقيم بساحات لها ورباها
فيا رب وفق كل راعى رعية ... لاصلاح أدواء لها بدواها
وحبب اليه كل سعي يفيدها ... لتحقيق آمال لها ومناها

الحاكم أيدك الله هو الذى يدور عليه سعادة الأمة أو شقاؤها طرداً وعكساً فان كان خيراً محباً للعدل والانصاف ميالاً الى الخير والاصلاح فهو ملاك السعادة ورائد الهناء والفلاح وان كان شريراً خلواً من الفضائل لاهياً بنفسه مشغولا عن السعي فى رقيّ قومه وتقويم أود أمته فهو نذير السوء ومعول الخراب

هذه قضية ظاهرة للعيان . لا يكاد يختلف فيها اثنان . ولقد قام على تأييدها الدليل والبرهان . بما يقع من الحوادث العديدة فى الدول والحكومات فى كل زمان . حقاً ان الحكام هم ميزان العدل بين الانام . وهم بمثابة بارومتر الاعتدال والنظام . قائمون بين الناس بتنفيذ الشرائع والاحكام . لا تصلح امة الا بهم ولا تستقيم أمور الناس بدونهم

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا نجاح اذا جهالهم سادوا

وقد أوجب الله عليهم القيام بالعدل والانصاف . وعدم الظلم والاعتساف فقال عزّ من قائل. (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وأوجب سبحانه على الرعية الطاعة لهم والامتثال لأمرهم فقال جل شأنه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)

وحثت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلاً من الحاكم والمحكوم على قيام كل منهما بواجبه نحو الآخر وكفى هذا الحديث الشريف : (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) و (اطيعوا من أمّر عليكم ولو عبداً حبشياً)

فلعمري اذا لاحظ ذلك الحكام وعملوا به وكانوا فى امتهم حازمين اصيلي الرأى أعلياء الهمة وساسوا الأمة بالعدل ورفعوا فيها منار العلم ومهدوا طريق الثروة واليسار وفتحوا لها ابواب التفنن فى الصنائع والحذق فى جميع لوازم الحياة وبثوا روح النشاط والشجاعة فى الرعية بمكافأة العاملين المجدين لأفادوا امتهم كثيراً وعلو بها علواً كبيراً وان اهمل الحكام امر الرعية وعكفوا على ملذاتهم

الخصوصية وضربوا بين الشعب والعلم بسور من الجهل والاهمال وتركوا حبل الامور على غواربها فسدت الاخلاق وكثر النفاق ونخر في الناس سوس الخلاف والشقاق فيضطرب حبل الامور ويذايل الناس الهناء والسرور وينيخ بكلكلها عليهم المضار والشرور

فما اجدر الحكام في كل امة ان يتيقظوا الى صالح امهم ويسعوا فيما يرفع شأنها ويعلى بين الامم مقامها وينهض همتها ويحقق في الخير رغباتها . وان من اكبر الواجبات على متولي زمام اي شأن من شؤون الامة ان يؤيد الفضيلة بتأييد اصحابها ويمجد الصناعات والمهن الشريفة في اشخاص صناعها ويقدس العلوم في ذوات اربابها وبالجملة يكافئ المحسن باحسانه ويجازي المسيء على إساءته ليزداد جدّ المجدين ويقصر باع المسيئين

على ان الحكام وولاة الامور تلقاء ما يزجونه إلى محكومين من هذه الخدم المفروضة عليهم ينالون منهم فوق ما يعطونه . اليسوا يرون تلك العيشة الرغيدة الهنية وتلك المنزلة الرفيعة العلية وتلك الاحترامات والتعظيمات الظاهرية والقلبية من جميع افراد الرعية ؟ وما تلك النعم والآلاء كلها الا من المحبة المتداولة بين الامة وحكامها ولا محبة الا حيث يكون كل من فريقي الحاكم والمحكوم قائماً بما يجب عليه ساعياً جهده في نفع الآخر وايصال الخير بقدر الامكان اليه وليس هذا بدعاً فخير الممالك والحكومات ما كان مؤسساً على عروش القلوب لا ما كان قائماً على رصاص دمدم أو مدافع كروب

قلت فيما سبق ان عماد الاصلاح وقوام النظام هم العلماء والشعر والحكام واقول الآن ان عماد العلماء وقوام الشعراء هم الحكام

فهم مظهر تأييد العلماء ومشرق انوار الشعراء يؤيدون العلماء فى ما يتصدرون له من الاحكام الدينية ويبثونه فى الامة من النصائح الشرعية ويجزلون للشعراء الصلات على كدّ العقول بنثر الدرر والآيات البينات لولاهم ما ظهر رونق هؤلاء ولا أولئك ولا وجد لهم اثر فى انارة المسالك وتربية المدارك فهم عماد الاعمدة وسياج ارتياح الافئدة وواجباتهم كثيرة متعددة ويقظتهم دائماً لكل ما يرقي الامة متأكدة

وحيث ان من المناسب أن آتي على تلك المقالة الآتية فى موضوع التربية والاندية لما لها من المناسبة ولان موضوعها الذي ترمى اليه أعنى واجب بث الاخلاق ونشر التربية وتعويد النفوس على الثبات والتضامن يشترك فى تحقيقه تلك الاركان الثلاثة : العلماء والشعراء والحكام . واليك المقالة :

(تأثير التربية والاندية)

(فى انهاض الشبيبة الراقية)

يراد بالتربية تعويد النفوس على الفضيلة إبان الصغر ليخرج اصحابها عارفين واجباتهم مما لهم وما عليهم ويسيروا بعد هذا فى طرق الكمال غير متعثرين بين المآزق ولا متهورين على المزالق

وكما ان تربية الفرد تسمو بنفسه إلى اوج كمالها ومستوى رقيها كذلك تربية الجماعات والشعوب تظهر فيهم آثارها وتشرق عليهم انوارها اذ الشعب أو الجماعة أو الامة ما هو الا الفرد مكرراً والواحد متعدداً

ونريد بتربية الشعوب والجماعات اصلاح اخلاق الطوائف المختلفة فيها وتحبيب فعل الواجب إلى نفوسها حتى تصير اهلاً للخير ومصدراً للنفع العام فتصبح عاملة دائبة على ما فيه فائدة المجموع وهناء الجمهور

ومن هنا يتبين ان تربية الفرد غير تربية الامة فكم من اخلاق نراها تعلى شأن الافراد وترقى بهم ولا نرى لها كبير تأثير فى شأن الجماعات وحياة الامم . خذ مثلا لذلك الامة المصرية فانك اذا دققت النظر في حياتها الاخلاقية وجدت ان التربية اظهر فى افرادها وتكاد تكون معدومة فى مجموعها بل يصح ان اقول ولا اخشى لائماً ان الفرد المصرى والشرقي على العموم لا يقل فى تربيته واخلاقه الشخصية عن نظيره الاجنبي بل قد يمتاز بما جبل عليه اكثر الشرقيين من صفات الكرم والمروءة ولطف المعاشرة ولين العريكة والطيبة والتسامح ولكنك لا ترى لهذه الفضائل والكمالات أثراً ظاهراً فى حياة الجماعات

فلهذا يجب على رجال النهضة الاخلاقية وروّاد الاصلاحات الاجتماعية أن يعملوا على بث روح الاخلاق الفاضلة التي تقوي بناء المجتمع وتثبت دعائمه مثل التضامن والتضافر الذي هو اقوى العوامل في حفظ الجماعات وأقوم السبل لانهاض الشعوب فانك تجده ضعيفاً جداً بل يكاد ينعدم عند الشرقيين على العموم وكان كذلك عند المصريين منهم على الخصوص وهذا الضعف كان اكبر اسباب

فشل الاعمال العامة واندثار المشروعات العديدة التى يقوم بها نفر من افضل الناس علماً وأتمهم كفاءة وكأن هذا الضعف الاخلاقي فى الجماعات الشرقية يرجع إلى تأثير الاستبداد فى نفوسهم وساعد ذلك ما تغلب عليهم من ضعف القلب وسلطان العواطف والرحمة ولو فى غير موضعها واللطف ولو مع الخصم والقناعة والتهاون فى المستقبل والاتكال على الغير وعدم الاعتماد على النفس

ومما كان عاملاً فيهم على زيادة عدم ثقة بعضهم ببعض ما أثارته عوامل التفريق بينهم وحركته مساوئ العصور القديمة حيث تندفع الجماعات تحت التأثير السريع وتميل مع كل رأس بدون بحث ولا تروٍ ثم لا تلبث ان يصادفها اول عقبة أو اقل مثبط فترجع إلى الوراء وهذا كان السر فى فشل كثير من الشركات والجماعات المصرية حيث تقبر قبل ان تنمو ويجنى الناس ثمراتها وكان يرجع هذا الفشل إلى امور كثيرة فمنها عدم الثقة وحب الرياسة الناشئان غالباً من تسلط الغرور في الافراد والتساهل في اختيار اعضاء الجمعيات فكنت ترى الصغير لا يحترم كبيراً كما ان الكبير لا يرحم صغيراً ولا يود وصول خير اليه سواء كان قليلا أو كثيراً وبينما ترى الامة المصرية فيما كان في تخاذل وتنافر مع مالها من التاريخ المجيد والماضي العجيب تبصر أهل الامة السودانية (البرابره) فى اتحاد تام وتضامن وتضافر على ما هي عليه من بساطة العيش وقلة الوسائل وضعف العلم وعيشة الصحارى والقفار وخشونة فى المأكل والملبس والمسكن وكل موارد

الحياة فى حين أن الفريق الاول يسكن فسيح الدور وشـــاهق القصـور ويتقـلب على الأرائك والسـرير والفرش الوثير من اجـل انواع الحرير ويتمتع بشهيّ المآكل والمشـــارب وينتقل بين الاماكن المتنائية على افخر المراكب تجـده في بلاد اعتدل هواؤهـا واتسع رزقها وتوفرت نعمها واتسقت طرقها وتعددت حرفها وسهـــل كل شئ فيها ولـكن كان أهلها كالسمك يأكل كبيره صغيره ولا يوقر صغيره كبيره مع ان الفريق الآخر في قطر شديد الحرارة ضيق العمارة ضعيف حركة التجارة ولـكنه فى اتحاد وائتلاف بعيد عن التخاذل والاختلاف

ورحم الله نوبيا منهم أوضح وبيّن ونصح بما يأتي وزيّن إذ قال

التبصر فى الامور كله مكاسب ... وشواهد الحال بتحسينه ادله
والنصيحة بها فى الخلق واجب ... والرجوع للحق دين فى كل مله
البرابره يكرموا ذا الفضل منهم ... ومحمـد يندهوله محمـــدين
يكرموه مع الف جنسه وناسه ... ولاجل واحد ينكرم له الف عين
وابن العرب ينكر على ذى الفضل فضله ... ويرى بخس ابن جنسه فرض عين
البرابره تعرف النفع العمـومى ... وترى الدين النصيحة والمعاملة
البرابره حين يلاقوا من بلادهم ... بربري محتاج يلموا له فلوس
والـكل يبقوا في خدمته حتى يلاقوا ... له خدامة عند واحدم الرؤوس
وان شافوا واحد عليه فى يوم تعدى ... يرطنوا ويعملوا حرب البسوس
وان مرض مره يروحوا الـكل عنده ... يبقوا حداه لاجـل المطله
شي الطيف لما أشوف انسان تربى ... واجتهد فى العلم وتعـلم كثير

مانظر شي لكون ابوه بنكير وصاحب ... ابعادية أو أبوه فى الناس وزير
بهجة الدنيا العلوم والفخر منها ... للغنى زينة ومكسب للفقير
سير على قدك ولا تنظر لغيرك ... تحفظ الكثرة وتكثر كل قله
اجتهادك فى العمل مهر المعارف ... والمعارف مهر تخطب به المعالى
والامور يمكن تحي صدفه ولكن ... طالع الصدفه كمان له برج عالي
جتهد فى الزرع تحصد ما زرعته ... وبقاع البحر غوص لاجل اللالي
واطلب العلم وان عاقك زمانك ... عن حصوله اتخذ للوصل وصله
هيأة الناس فى الوجود هيأة تطالبك ... بالدخول فيها وكونك عضو منها
ما خلقنا من عبث حتى نقضي ... عمرنا فى لهو يخلى الحر عنها
لا تبع عاجل بآجل ما ضمنته ... واغنم الفرصة وبيع شينها بزينها
لا تسوف ينهبك وقتك وتصبح ... مضحكة للناس بحاله مضمحله
اطلب العلم الشريف واخدم رجاله ... واصحب أهل المعرفة وأهل الفضائل
واتخذ صنعة وكل من كسب يدك ... لا تكن عوله على اكتاف الارامل
والسؤال لو كنت تأخذ ملك كسرى ... فيه ذميم برده واسمه أمر سافل
ربنا انشاك واعطاك عين وعافية ... وخلق اعضاك لتشغلها بشغله
كل واحد يلزمه لابنه يعلم ... القراءة والكتابة وكل حاجة
أولاً لاجل ان كبر يطلع مربى ... لا يكن خبله كاولاد السذاجة
ثانياً من خوف اذا فاته شبابه ... ما يلاقي غير امور أهل السماجة
ثالثاً من كون طلع له نجل بعده ... بدر مشرق بالكمال بين الاهلة
اترك التقليد وعيش عيشة بلادك ... لاحسن التقليد عليك يحكم باشية

وتأخذ الدين بالربا وتصبح مفلس ... والامور تعطل وكانت قبل ماشية
يخدش عرضك وكل الناس تذمك ... والمذمة في قبيح العرض فاشية
والقبيح مشيك مع الجاهل بقدرك ... أو مع البطال ومن مشيه لعله
استمع قول النصيح واسمع نصيحته ... حيث ظهر لك انها منه نصيحه
شاور الناس في الامور وافرز بعقلك ... منتهى الفكره واختار المليحه
والقط الحكمة ولو من فم كافر ... لا تقل له انها منك قبيحه
واخدم الروح خدمة الجسم المدرج ... في الحرير واعمل باقوال الاجله
يلزم الناس كلهم يعشو بحالة ... طيبة والكل يبقوا شخص واحد
في مساعي الخير لهم سيرة حميدة ... والمساعدة والتعاون والتعاضد
ليه أنا مامشيش بحالة ترتضيها ... كل اخواني وابقى لهم مساعد
الزمان يا ما يبورى الناس عجائب ... تقرف الليمون وتضحك كل ثكله
والنصيحة بثها في الخلق واجب ... والرجوع للحق دين في كل مله

تم الجزؤ الاول بما فيه من محاورات ومسامرات ومقالات أدبية ورياضية وفلكية وطبيعية وكيماوية وهندسية بين المرأة والمهندس ويليه الجزؤ الثاني الذي يوضع ويفسر ويعبر عن عجائب وغرائب المرأة والمهندس بما لم يخطر على بال النساء والرجال في أي حال من الاحوال أو جيل من الاجيال

قاسم هلالي

المهندس

ضابط اركان حرب

(من بصرك فقد نصرك)

اليك ايها القارئ الكريم نبذة من تاريخ الأقدمين الذين صار خلفهم على خلافهم بل بقلوبهم غلف وعلى آذانهم وقر وفى أبصارهم عمى فلم يعقلوا مجد الآباء والأجداد ولم يسمعوا ما يقرع الدهر به الأسماع من محزن الانشاد ولم يبصروا ما حولهم من آثار الجدوالاجتهاد فليصغ الغافلون آذانهم لسماع هذه الاشعار التى كل سطر فيها يكوي قلوبهم بميسم من نار وصدق من قال النار ولا العار

هذا ولكوني رجل حربى وقرأت أخبار ميادين القتال في الجرائد عن حرب الروس مع اليابان سنة ١٩٠٤ وكنت أبحث عن عمل كل رئيس فرقة أمام عدوه وأخيراً انتصرت دولة اليابان على دولة الروسيا ففى وقتها أرسلت لقواد اليابان تحت صورهم الآتى

(توجو) توج تاريخه بتاج النصر في البحر

(ونوجي) نجاه نجاة الجيش فى البر

(وكروكي) كر كسكر كروب فى كهف البرد والحر

(ووزو) امتاز فى هز الباز لحز ابزاز إلى نحر

(واوياما) قام كما قيامة لاعطى النهى والامر ١٩٠٤

١٩٠٤ وصار الروس كما المهووس كدوخ تيوس من السكر

وقد أرسل لي المرحوم الاميرال توجو يوعدنى بأنه إذا حضر لمصر سأنال منه الشكر الكثير والخير الوفير ولكن جاؤه القدر المحتوم قبل أن أفوز بما أروم . وناهيك بالآتى عبرة على ما نحن فيه

بجانب ما هى عليه دولة اليابان الشرقية الحديثة التى ابتدأت مصر فى الرقي قبلها فانظر بعينك واحكم بطبعك وقل معى عسى الله يصلح القلوب ويفك الكروب ويقوم الحبيب بما يجب عليه للمحبوب

(الوطن المفدى)

(تذكار الاحرار الابرار)

(ماثر ومفاخر ما ترك الأول للآخر)

سل التاريخ عن ماضي السنينا ... عن العرب الكرام الأقدمينا
عن العرب الأولى سادوا وشادوا ... وخلّد ذكرهم فى العالمينا
غزاة كم بلاد دوّخوها ... بسطوتهم وكم دكّوا حصونا
وكم بطل همام قام منهم ... يقدّ بسيفه الصخر المتينا
وذكر ملوكهم بالفتح يغ ... نيك عما دونته الواضعونا
تدلّ عليهم الآثار شرقاً ... وغرباً حيث كانوا حاكمينا
لقد شاعت مكارمهم وفاقوا ... بها كلّ الشعوب المكرمينا
وسادوا بالفصاحة فى المعانى ... وكانوا بالعلوم السّابقينا
ومنهم أهل أوربا استمدوا ال ... معارف والصنائع والفنونا
بعصر سائر الافرنج كانوا ... بأودية الجهالة هائمينا
ومن علمائهم عدد عديد ... لقد كانوا جهابذ افضلينا
أخصهم المكنى بالغزالي ... وعدّ من الفلاسفة ابن سينا
لهم لغة قد امتدت وذاعت ... كصولتهم بكل العالمينا
تقادم عصرها فى عصر سام ... فما فنيت وقد أفنت قرونا
لها فى الخافقين صدى وذكر ... يخلدها لدهر الداهرينا

وكم لغة سواها اهملوها ... وأدرج أهلها فى الغابرينا
لتشرف ولتدم جيلا فجيلا ... بها وليحي ذكر الناطقينا
ملوك كلامها في كل عصر ... أولو النظم الدهاة المفلقونا
نرى العلماء بالتاريخ تقـــلا ... بصـــحة قولهم يستشهدونا
لهم فى الشعر سبع معلقـات ... بهـا أهل الفصاحة يفخرونا
وكم خرت لها الاعراب طوعاً ... بعصر الجـاهلية ساجدينا
فذي لغة قد اتصـــلت الينا ... وشـاعت منذ حـكم السالفينا
وقـد كان العراقيون فيها ... ذوي التصنيف علماً بارعينا
ولم تنفـك زاهرة بمصـر ال ... سعيدة والعراق مدى السنينا
وسوريّا وأرض الغرب حتى ... بـلاد أميركا حيناً فحـينا
لقد وفرت جرائدها وشاعت ... بكل الارض بـين العالمينا
واضحت كتبها فى كل عـــلم ... باوروبا هـــدى للمهتدينا
عليهـا تقبـل العلما اعتبـاراً ... بهـــا وملوكهم يتفـاخـرونا
وما زالت بأيديهم كـنوزاً ... وقد عكفت عليها الدارسـونا
وهـذا مغنم الافرنج من عر ... ب اندلـس وكانوا الفـائزينا
وكانت دولة العـرفان فينـا ... وسـار الجهل واستولى قرونا
وأما العرب فى ذا العصر فاقوا ... لمـا فقـدوا فراحوا ينشدونا
وقـد نهضـوا بجد واجتهاد ... إلى طلب المعارف مسرعينا
فأشرق في بلاد الشرق نور ال ... علوم وللحضارة قد هدينا
مكاتبنـا لقد وفرت وزادت ... معارفنـا وقـلّ الجـاهلونا
بهـا من كل تصنيف مفيـد ... يفوق لمجتناه الـــراغبـونا
ودائرة المعارف فضّـلوهـا ... على ماألفـــته الاوّلونا

فـذي لغة بها الافرنج عالماً ... لقد رغبت وجدّ الطالبونا
ومن آثارهـا العلماء منهم ... لقد اخـذوا مليّاً يحثونا
وأندية لهـا أيضـاً أقاموا ... تراهـا بهجـة للنـاظرينـا
وأهـل العلم افواجاً اليها ... بيـوم الملتقى يتقـاطرونا
ألا يا سـادة جاؤا فحلوا ... ديار أميركا مستوطنينـا
وفضّلها عن الاوطان اعنى ... بحرف الضاد كل الناطقينـا
حللنا عالمـاً جسراً جديداً ... واكثرنا به متجـددونا
إذاً فلندّرع حزماً وعزماً ... فتحى نخـوة الاعراب فينـا
ونتخـذ الوئام لنا سـلاحاً ... ونجتنب التعصب ما حيينـا
لعمرك أنـكم فى الاصـل عرباً ... بذى الاصقاع أو مستعربينا
فعرب نحن فى ذى الارض ندعى ... ولا عار علينا إن دعينا
فان لنا بجنس العرب فخراً ... اذا كنا بهم متجنّسينا
لسان العرب يجمعنا إذا ما ... غدونا فى البلاد مشتتينا
لنا لغة سمت فضـلاً ولـكن ... بها بعض الاعاجم يسخرونا
وهذي أمّنا لنذبّ عنهـا ... ونشـهر فضـلهـا للعالمينا
باقـلام اسنّتهـا حـداد ... نشـقّ بها قلوب العاذلينا
نرى ألفاظها عائت فساداً ... بها احـداثنا المتفرنجـونا
وفاقوا أهل مالطه فى حديث ... إذا ما اصـبحوا يتحدثونا
وقد كادت من الاهمال أيضاً ... لسان العرب تجهله البنونا
فذا عار علينـا ثم عار ... ولا يمحى على طـول السنينا
علوم وسائط التهذيب قلّت ... بها أيضاً وقلّ الدارسونا
لنجهد باكتساب العلم سعياً ... لأحراز العلى متسـابقينا

ونرشد سائر الجهال أيضاً إلى طرق الهدى والغافلينا
فيصلح شأننا فى كل عصر ونغدو بالاماني فائزينا

***

فقل لي بربك : من ذا الذي يقرع سمعه هذا الكلام الذي هو أشد من وخز السهام وأنفذ من وقع الحسام ويستعرض به ذلك المجد الدائر وهاتيك المفاخر والمآثر ثم لا يذوب أولا حرقة وجوى ويزداد ثانياً شوقاً وهوى إلى السعى فى تجديد معالم الفخر والشرف التي أسسها من سلف واضاعها بالاهمال الخلف وكاد يقضى ذلك عليهم بالضياع والتلف : فرحم الله امرأ أخلص فى خدمة وطنه النية وصرف فى نفعه الهمة واشترك معى فى تجديد ذلك الميثاق والعهد الذي اخذته على نفسي من قبل ولا أزال عليه بعد ويقول كما أقول وعلى الله سبحانه وتعالى تحقيق المأمول :

كل حال لضده تحول فالزم الصبر أذ عليه المعول

(يا فؤادي) استرح فما الصبر إلا

ما به مظهر القضاء تنزل

قدر غالب وسر الخفايا فوق عقل المهندس مهما تكمل

(العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة)

فى سنة ١٩١٦ سافرت من القطر المصري إلى بلاد اليونان ونزلت فى لوكاندة هرمس باثينا وحضر عندي بهذه اللوكاندة جملة يونانيين يعرفونى من القطر المصري منهم الحكيم والمهندس والتاجر ورب بضاعة وصاحب صناعة ومعهم بعض معارفهم من القسس

والمطارنة والشماسين والاساقفة وو .. الخ وعندماعرفوا اني حضرت إلى اثينا للاستشفاء وانى من ضباط الجيش المصري القديم ومن ضباط اركان حرب المعروفين سألوني هذا السؤال

(ما قولك في هل اليونان تدخل الحرب مع الحلفاء أم لا)

فقلت لهم أن الجواب يحتاج إلى برهان كبير وإيضاحات كثيرة وأني غير سياسى ولا أعلم من السياسة الا اسمها ولكننى أعلم كنهها وما ترمى اليه وسرها وما تنطوي عليه فقالوا نرجوك زيادة الايضاح بالكلام المباح الذي يعبر عن المساء بالمساء والصباح بالصباح : فقلت

تعلمون أيها اليونان الحاضرون أن دولتكم وأمتكم وفلاسفتكم وعلومكم وآدابكم ومعارفكم وفنونكم وخصالكم وأفعالكم في قديم الزمان هى سبب رقي مانراه الآن فى جميع البلدان فى الغرب والشرق والجنوب والشمال حتى ان دولة الاسلام قبل دخولها فى الاسلام تقر وتعترف لكم وبمجدكم وناهيك حين تركوا عصر الجاهلية ودخلوا فى الديانة الاسلامية فقد أخذوا منكم بعض العلوم والمعارف وأقوال وفلسفة فلاسفتكم العظماء الامراء العلماء الادباء كبقراط وجالينيوس وارسطاطاليس وسقراط وسولون وارشميدس و . الخ وفحصوها وزادوا عليها خصوصاً فى علم الفلك والكيميا العلمين الذين عليهما مدار حياة ما فى الكون أجمعه كل ذلك كان فى وقت لم يكن فيه لأهل الغرب شيئاً مذكوراً بل كان يتخذ الكهوف والاكواخ مسكناً وداراً وجلود ما يقتات به من الحيوانات لباساً

وشعاراً والآن جنى مالذّ وطاب ورمانا فى الشرور بعد السرور والهموم والغموم بعد أخذه الفنون والعلوم التى سرقها منا ومنكم وهو الآن يسعى كل السعى فى القضاء علينا وعليكم وان جزاء الاحسان عنده هو ظلم أخيه الانسان لأن الغرب مطمحه ضمير مستتر جوازاً تقديره الدنيا لمن غلب بالقوة والمدفع والنار والحديد وناهيكم بالاختراعات الحربية الحديثة التى يقشعر من ذكر اسمها الجبان قبل الانسان وو . . . الخ ثم قالوا لي فهمنا منك ذلك كله ولكن ماقولك الآخر فقلت : أن الأحسن لنا ولكم ان نتحد ونتعاضد ونتآخى ونتعاون ونتصافح ونتسامح معكم ونكون كيد واحدة نعمل لرد مجد أسلافنا وأسلافكم وان نتبع قول فلاسفتنا وفلاسفتكم فى قولهم Filos Ipizimyous Ikhtiros ipikality ومعناه بالعربى ليس بصاحب لك من يسعى لك فى الضرر وبمعنى أخرى عدو عاقل خير من صديق جاهل وها نحن دولة الاسلام قد عرفنا مالنا وما علينا من القرآن والاحاديث وصرنا فى درجة يحسدنا عليها أهالي الغرب الذين يسعوا فى محونا ومحوكم لأجل أن يخلو لهم الجو منا ومنكم حتى لا يقال كان اليونان يقولون وان دولة الاسلام امتدت إلى نهر سيحون وجيحون وو . . الخ وما أعظم رابطة العلوم التى هي أثمن من كل عقد نحلى بالجواهر كالياقوت والألماس والزمرد منظوم وأخيراً وجدت ان الأغلبية وافقت على كلامى ثم حضرت إلى بلادي وفى هذين اليومين تحققت أن كلامى كان

في وادي وهم فى وادي وسبحان مغير الأحوال من حال إلى حال :

واليك أيها القاريُ الكريم ما ترجمته لحضرات الزائرين المذكورين تذكرة وعبرة للقارئين وعظة للمكابرين وان الذكرى تنفع المؤمنين

(صلاح السلف في إتباع الخلف)

للأسلاف الصالحين فى أكثر الأمم فضائل وهدايات وطرق أرتقاء وكمالات بلغت بهم شوطاً بعيداً فى طريق السعادة وأوصلتهم إلى قمة السيادة حتى بهروا العالمين وأدهشوا الباحثين ولقد كان جديراً بخلفهم أن يحذو حذوهم ويتبع سيرهم إن لم يكن لرفعة مجدهم وزيادة فخرهم فعلى الاقل محافظة على تراثهم ولكن الخلف في اكثر الأمم أهملوا فذاقوا جزاء ما فعلوا وأصيبوا بسوء نتيجة ما كسلوا مما لا يزالون يئنون منه ويتنصلون عنه وهيهات أن يعود المجد الدائر لأي أمة إلا إذا بذل أهله الهمة وحافظوا على ما كان عليه اباؤهم الأولون وأسلافهم المتقدمون وأنت لا تنسى ما نذكره الجرائد لك اجمالا عن الدنيا الجديدة (امريكا) وأهلها وما تحلّوا به من المحاسن البديعة التى رفعتهم مكاناً علياً يليق بترتيبهم وعلو هممهم واقتباسهم من فضائل الامم التى سبقتهم فأرْجِعُ بك أيها القارئ إلى أهل الدنيا القديمة وهي أمة اليونان ذات المجد الشامخ فى القدم والفخر الباذخ الذى هو أشهر من نار على علم أيام سطوتها واتساع مملكتها ووفور

علمائها وكثرة حكمائها فسرْ معي لاطلعك على نبذة من حكمهم ونتائج أفكارهم وعلوّ أمثالهم التي لو ذكرتها الآن وخاطبت بها أي كبير أو صغير من اليونان لخضع لها وسارع إلى احترامها واحترام قائلها والمنافسة في تحقيق غرض صاحبها حتى إذا كان المخاطبُ بها شريراً انقلب خيّراً وإن كان مدلساً صار أميناً وإن كان ظالماً أصبح عادلاً وإن كان واقفاً دون قضاء حاجة سارع في قضائها . ولقد جربت أنا ذلك مع كثير من اليونانيين فكنت اذكر لهم بعضاً من أقوال أسلافهم الحكماء فسرعان ما يخضع وتهدأ نفسه وتهجع ويصير وديعاً هادئاً من ذلك قول حكمائهم قديماً : (أو سي مي سيس ايتيرو مي بي ييسيس) بمعنى : « إذا شئت أن لا تؤذى فلا تفعل الاذى » وقولهم : (ما تيوتس ما تيوتى تون تابانتا ما تيوتس) بمعنى : « ألا كل شيْ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل » وقولهم : (مي ذن يروتوتيلس مكارزه) بمعنى : « العبرة بالأواخر » أى — إنما الأعمال بخواتيمها — وقولهم : (أو إيخون فيلون بي ستون إيخى تسافرون) بمعنى : « الصاحب في الضيقة هو صاحب في الحقيقة » أى — وقت الشدائد تعرف الاخوان — وقولهم : (في لوس ايبي ذمْ يوس إيختروس ايي كاليتى) بمعنى : « ليس بصاحب لك من يضرك » أى — عدو عاقل خير من صديق جاهل — وقولهم : (أما ارتيه غوني غون بذي فوسي تكنه) بمعنى : « كما تدين تُدان وبالكيل الذى تكيل تكتال جزاء وفاقاً » وقولهم : (يتدوني لي كي

أنزيسو كاني ميستي اسكلافيا استو خاسوكي انيمو كاسي اورا استو فوتيا) بمعنى :

« واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تعيش جبانا »

أى — نار مع الشرف خير من حرية مع الذل — وقولهم : (كالترامبا اورا ايلفترى زو إى پارا سراندا خرونيا اسكلا فيا كي كي فلا كي بمعنى : « حياة ساعة بحرّية أحسن من الحياة طول العمر بمذلة » . وقولهم . (باتا أوكسومميه أوكوسونذيه) بمعنى : « أعطنى أجر ظلمك لي باستماع كلامى وإتباع نصيحتى » وقولهم : (پوللى تون پولوتون إى مى سي سان تين زوكسون أوزيس) بمعنى : « الشرف أثمن شيْ في الوجود وأحسن حتى من المال والبنين » وقولهم : (أوسّا ثيلبس ذوليفى كي أوسّاثيلي سيوس ناسي ذوسى) بمعنى : « لست تنال شيئاً فى الوجود الا ما قدره لك الله وإن أتعبت نفسك » وقولهم : (ثين أثينا كى شيرا كينى) بمعنى : « يقول الله للعبد اسع وأنا معك » وقولهم : (اسكي بتون اونوس ديبلوس أوكوبوس) معناه بالدارج : « إذا أعطيت مجنوناً الف عقل على عقله لا يعجبه إلا عقله » وقولهم : (پاس مى الين فارقاروس استى) معناه : « من لم يكن يونانيا فليس بادمى » .

ومن مثل هذه الامثال شيْ كثير يحتاج اثباته إلى مجلدات ضخمة وناهيك بأقوال علماء العرب في ذاك الزمان الذين أخذوا عن أمة اليونان علوماً ومعارف ترجموها إلى لغتهم من طبيعه وفلكية وطبية وكيماوية وجولوجية وجيودوزيه وو . . . . الخ زيادة عن معاني الاغاني من اللغة الالينيكا الأصلية مثل قولهم

(فاسيلى كوس ميريزي سى توتو توستي نو . كمّ ياتون بوتيزى سى توكريوناروه) بمعنى الكلام المشهور عن العرب فى قولهم : « ثلاثة أشياء تذهب عن القلب الحزن . الماء والخضرة والوجه الحسن » وقولهم : (توجي ناتى فجزي ماتي) معناه : « العناد يخرق العينين » وبعبارة أخرى : « العناد يورث الكفر » وقولهم : (أبو بي تابو زيندروس تى سي ميلى كان كاييه) معناه : « الفطيرة التى فى النار إذا كنت لا تأكل منها فدعها تحترق » وبعبارة أخرى : « أردب ليس لك لا تحضر كيله » :

(هذا من باب كل عائدة فيها فائدة)

ورحم الله الجميع برحمته الواسعة وان يوفق اولادهم واحفادهم بان يردوا مجدهم ويحذو حذوهم انه السميع المجيب

(ملحوظة) يكون فى علم القارئ اللطيف ان هذه الاقوال اليونانية كل كلمة فيها لها مجلدات ضخمة جداً مثل قولك (باتا أو كسوميه أو كسون ذيه) التى معناها اعطنى اجر ظلمك لي باستماع كلامى واتباع نصيحتى

والعبارة هى ان جنرالين كانا يريدان الهجوم على العدو فى حرب العجم فاحدهما اراد ان يتوجه شمالا والآخر لم يرغب فى ذلك ثم حصل بينهما خلاف وشقاق وخناق وسب وضرب احدهما الآخر وذلك حباً فى الوطن ثم باتباع قول الجنرال المضروب كسبا النصر على العدو ولذلك جعلت هذه الكلمة في اعظم تواريخ اليونان...فتأمل .

(قاسم هلالي المهندس ضابط أركان حرب)

فهرست الكتاب

صحيفة	
١	فاتحة الكتاب
٧	الترجمة لصاحب الكتاب
١٦	ترقيته من مدرسة أركان حرب
٤٠	النادرة الأولى من نوادر العرابيين الجهلاء الاغبياء العبطاء
٤٠	« الثانية « « « المفزعة
٤١	« الثالثة « « « المفجعة
٤٢	« الرابعة « « « الموجعة
٤٣	« الخامسة « « « المصدعة
٤٣	« السادسة « « « شاملة الكل فى الكل
٤٦	عظة موعظة ناصحة شارحة
٥١	ملحوظة عجيبة واتفاقية غريبة
٥٤	ما العمل خاب الأمل بين صاحب الكتاب واحد الوزراء الاصحاب
٦١	من غاب عنك أصله فدلائل نسبته فعله بالبرهان المرعي والناموس الطبعى
٦٦	فيها شفأ للناس الاكياس الافلاس الانجاس
٦٧	فر من المجذوم فرارك من الاسد والقبيح من الصفات المتضادات
٧١	عظة وعبرة لمن كان ذا فكرة
٧٢	نشيد الأطفال يحقق الامال فى الحال والاستقبال

obeikan.com

تابع الفهرست

صحيفة

٧٥ الاحتلال وضباط أركان حرب الذين هم السبب فى الهم والغم والكرب

٧٦ اسمع وعي أيها الأديب اللوزعي

٧٩ اسمع تعلم اسكت تسلم اسأل تفهم

٨١ الحر فى القبر حي والغر ميت حي

٨٣ الاحكام المبرمة فى محكمة الضمير أحكم محكمة

٨٦ قضايا الضمير باسهل تعبير وتفسير

٨٦ القضية الاولى فى التبكيت

٨٧ « الثانية جراحات الضمير أشد من حسابات ناكر ونكير

٨٨ « الثالثة وخز الحواس يزيل الالتباس

٨٨ وبضدها تتميز الأشياء لمعرفة الداء والدواء

٨٩ أحكم الحاكمين جل ثناؤه وتعالت أسماؤه

٩٠ المنظور وغير المنظور

٩٠ العقل السليم سيد حياة الناس

٩٢ التسليم المستديم ايمان كل عظيم كريم

٩٢ لكل حادث محدث

٩٣ حكم حارت البرية فيها

٩٦ الدور الثاني فى الحياة الخارجية

٩٧ الزوجة الاولى (كمالها وجمالها وحسن خصالها ومهارتها وشكارتها)

صحيفة — تابع الفهرست

١٠٥ الزوجة الثانية (المؤدبة المهذبة المثربية المتعلمة)
١٠٨ الكسوف والخسوف والجهل عماء وفناء وشقاء وعناء
١٠٩ فكاهة رب سارة ضارة وضارة سارة
١١٣ الشاقه والعنأ بين علماء الفلك والفقهاء
١١٧ الزوجة الثالثة المحتالة الغدارة المكارة صاحبة البدع وضارية الرمل والودع
١٢١ علم الفلك العلوى والفلك السفلي
١٢٤ الشمعدان الفلكي العجيب والاندهاش وسكون الجأش
١٢٩ رجوع إلى موضوع لمعرفة المطبوع من المرجوع
١٣٠ الفلك والفلكيون والعبطاء المتفيقهون
١٣٢ الموت ولا العار أيها الفقهاء الاحبار
١٣٥ اسمع أيها الفقيه القول الحق وما يقتضيه
١٣٧ الطريقة العقيمة فى معرفة الطوالع السقيمة
١٣٩ نصيحة صريحة علمية فلكية دينية صحيحة
١٣٩ تنبيه وجيه لتوبه
١٤٠ جدول كشف المخبأ ومعرفة سر الضمير بالتنبأ
١٤١ مزيد التفات للماضي والآت
١٤٤ السحر المبين فى التنبؤ الفلكي لمعرفة غرر الشهور والسنين
١٤٩ أعن هدية لمعرفة أوائل السنين والشهور القبطية
١٥٠ نظرية تنفع لحساب السماء والارض فى استخراج السنين يعضها من بعض

تابع الفهرست

صحيفة	
١٥٢	استلفات نظر لأهل البصر
١٥٢	تاريخ الألمة والاتحاد بين أبناء البلاد
١٥٧	تاريخ السلام العام بين جميع الأنام
١٦٠	فائدة عظيمة لها فى حساب الفلك قيمة
١٦٢	نقل الصخر على الاعناق أيسر من تفهيم من لا يفهم
١٦٢	استلفات نظر إلى عبرة من العبر
١٦٥	المخطوبة الرابعة التي رفض عمها أن اكون له صهراً بحجة أن الماسونية تعد فى نظره كفراً
١٦٦	الماسونية واسباب وجودها التحلى بحلية الفضائل
١٦٧	الحرية والمساواة والاخاء
١٧١	التعصب الذميم خلق كل وغد لئيم
١٧٤	من ذا الذى يصاحبه الانسان ليسعد الخ
١٨٠	كسوف الشمس ونظرياته وشرح حالاته
١٨١	فتات شعرى لا يكون مهورها إلا كنوز مودة الأخيار
١٨٢	ألا ليت شعري هل يرى الناش ما أرى
١٨٤	وأما بنعمة ربك فحدث
١٨٥	عماد الاصلاح وقوام النظام العلماء والشعراء والحكام

شكوى الوطن لأولي الفطن

﴿ خطأ وصواب ﴾

سطر	صحيفة	خطأ	صواب
٤	٧	الراكش	الركشى
٣	٨	سعد	سعيد
٤	٢٠	انعدما	انعداما
١١	٢٥	الادب	الارب
١٣	٦٨	برمادد	برمادى
١٥	٦٩	احقاد	احفاد
١٧	٦٩	مداد	مدادى
٣	١١٣	العنائن	العنا بين
١٢	١٦٤	ينطق	ينطبر
١٤	١٦٦	الحظ	الحفظ
٥	١٧٠	سبر	شبر
٢٠	١٧٧	عند	عندي
٩	١٧٨	الوراعة	الوداعة
١٢	١٨٠	بين	بين بين
٢١	٢٠٢	الشعر	الشعراء
١٢	٢٠٢	محكومين	محكوميهم

obeikandl.com